الكتاب
الماسي

أحيانا يحتاج الكاتب لكي يكتب - أكثر مما يحتاج
إلى القلم - إلى التشجيع، كنت أول من شجعني
وأول من عاونني فإليك يا سعد، يا زوجي
وشريك حياتي أهدي النسخة الأولى من
كتابي الأول

إحسان كمال

سجن أملكه
"وقصص أخرى"

بقلم : إحسان كمال

تقديم الدكتور عبد القادر القط

مقدمه

من الظواهر التي يغتبط لهـــا من يتتبع انتاجنا الأدبي المعاصر ازدياد مشاركة المرأة في فنون هذا الأدب المختلفة من شعر ورواية وقصة قصيرة • فبعد أن كان عدد الأديبات عندنا صغيرا محدودا وبعد أن كان الناس ينظرون الى وجودهن في عالم الأدب كأنه شيء طريف غير مألوف ، أصــبحنا نلتقي كل يوم ـ في صحفنا ومجلاتنا وكتبنا بكثير من الأديبات ، منهن ناشــــئات مازلن يلتمسن طريقهن في دأب واخلاص ، ومنهن مبرزات يقفن جنبا الى جنب مع المرموقين من الرجال في دنيا الأدب •

وفي هذا المقام يتساءل كثيرون – عادة ـ هل لدينا أدب نســائي ؟ والحق أن هذا السؤال يقـــوم على فهم غير صحيح لطبيعة الأدب والفن بوجه عام وعلى تأثر بوضع المرأة القديم في المجتمع • فالأدب ـ من حيث مقوماته الفنيــة ـ لا يمكن أن يختلف عنـــد الرجل والمرأة وانما تختلف اهتمامات كل من الجنسين بحسب مايدخل في نطاق تجربة كل منهما وما يقع على احساسه من مظاهر الحياة والمجتمع • على أن هذه الاهتمامات نفسها تتقـــارب وتتداخل عنـــد الرجل والمرأة كلما زادت ممارسة المرأة للحياة وتخلصت من احساسها القديم بالعجز • لذلك لا ينبغي أن نلتمس عند المرأة أدبا خاصــا له مقومات فنية متميزة ولكننا يجب مع ذلك أن نعترف لها باهتماماتها التي تنبع من طبيعة ظروفها النفسية والاجتماعية • وللسيدة احسان كمال ـ من هذه الناحية ـ اهتمامات متميزة تشارك فيها الكثيرات من الأديبات ممن يكتبن في الفنون القصصية المختلفة • فاغلب الشخصيات الأولى في قصصهـــا شخصيات نسائية • وفي القصص القليلة التي يلعب الرجل فيها دورا كبيرا ، لا نلبث أن نرى هذا الدور في ختام القصة وقد تضاءل

حتى أصبح مجرد وسيلة للكشف عن عواطف شخصية نسائية لم يكن لها ـ قبل الختام ـ شأن كبير فى القصة ٠ ولعل خير مثال على ذلك قصة « ما أحلى الرجوع اليه » التى نلتقى فيها لقاء طويلا برجل يبحث فى صالة مزاد عن بعض أثاث يشتريه وتقدم لنا الكاتبة خــلال ذلك نماذج انسانية كثيرة لمن فى الصالة من رجال ونساء ثم لا يلبث ذلك كله أن يصبح مقدمة لظهور الشخصية النســائية المهمة فى القصة والكشف عن طبيعة عواطفها ٠ والمرأة فى أغلب هذه القصص تقف دائما موقفا ضعيفا أمام الرجل ٠ فهى تارة مظلومة يزوجها أبوها ممن لا تحب فاذا واتتها فرصة الحرية بوفاة زوجها عجزت عن ممارسة هذه الحرية وآثرت أن تعــود الى سجن « تملكه » بمحض اختيارها كما فى قصة « سجن أملكه » ٠ وهى تارة تستجيب لنداء الحب ولكنها تظل عاجزة عن أن تسلك الطريق السليم للقاء من تحب حتى تموت حاملة سرها معها كما فى قصة « آن الأوان » ٠ ومرة أخرى نراها فريسة سهلة لخداع لون خاص من الرجال يوشك أن يفســد حياتهــا الزوجية السعيدة ولا تستطيع أن تستعيد ســعادتها الا حين تكشف لزوجها عن حقيقة عواطفها نحوه وهو يســترق السمع الى حديثها مع ذلك الشاب العابث والى هذيانها تحت وطأة الحمى كما فى قصة « الأمل الثالث » ٠ وهى فى كل هذه الأحوال مخلوقة طيبة محبة ليس فى نفسها من النوازع المتصــارعة ما يخلق منها شخصية مأزومة وانما تعرض فى حياتها بعض الأهواء الوقتية التى ما تلبث أن تخلى المكان لعواطفها الخيرة الثـــابتة ٠ ولا أدرى اذا كان ذلك التصـــوير لوجود المرأة وطبيعتها عند السيدة احسان كمال ، نابعا من تعصبها لبنات جنسها أم لاحساسها بأن المرأة مازالت رغم ما نالت من حقوق فى وضع يجعلها فى كثير من الأحيــان ضحية الرجل أم لأن طبيعة تجاربها لم تتح لها أن تنصرف الا الى هذا اللون من النساء ٠ ولكن الشىء الواضح عند الكاتبة أنها تجيد التقاط موضوعها وتحسن تصويره بعناية فائقة يحس القارىء معها أنه أمام كاتبة جادة تحاول قدر طاقتها أن تلقى على صورتها من الظلال والألوان ما يوحى بكل الدلالات النفسية والاجتماعية التى تهــدف اليها من رسم تلك الصورة ٠ وقد تمل طبيعة

بعض القصص وأجوائها على الكاتبة أن تستخدم أحيانا أسلوبا فيه مزاوجة بين العامية والفصحى أو ليس فيه - على الأقل - قدر كاف من التماسك ، ولكنها حين تقصد الى الأسلوب الجميل فى بعض قصصها التى تستلزم مثل هذا الأسلوب ترتفع الى مستوى يقرب من مستوى الشعر ، كما فى قصتها « وجدت الأمل » التى توشك أن تكون قصيدة منثورة فيها قدرة بارعة على توليد كثير من المعانى والخلجات النفسية الدقيقة من موقف واحد ثابت ٠

وللسيدة احسان ميل واضح الى الفكاهة ولكنها فكاهة لا تهبط الى مستوى الاضحاك المحض دون هدف ولا تصل الى أن تكون سخرية مريرة غير متعاطفة من الناس ، وانما هى فكاهة تجمع بين الامتاع من ناحية وبيان مفارقات الحياة من ناحية أخرى وتهدف الى الكشف عن كثير من الأوضاع الاجتماعية ٠ والنزعات النفسية وتمتزج فيها المأساة بالدعابة ٠ وأغلب هذه القصص - الى جانب احتوائها على ألوان كثيرة من الفكاهة فى المواقف والتعبيرات - تنتهى نهاية طريفة تلقى ضوءا على القصة كلها وتبرز الدلالة الكلية لها ٠ ومن هذه القصص « عقبال عندكم ، أمل يجرى ، دعاء ، جاء الشتاء ، العمل شرف ، حدث فى عزبة الورد ، الموسيقار » ٠ ولعل من خير هذه القصص الضاحكة ذات الدلالة الاجتماعية قصتى « حدث فى عزبة الورد وجاء الشتاء » وتوشك أن تكون قصة « الموسيقار » القصة الوحيدة من بين هذه القصص التى يمكن أن يقال انها خالصة للفكاهة المحض ٠

وقد يكون من طبيعة هذه القصص التى يغلب عليها طابع الفكاهة ألا تسير فى خط محكم وأن تتشعب فيها الأحداث وتتعدد الشخصيات لتستعين الكاتبة بها على خلق المواقف والتعبيرات الفكاهية ولكن هذا الطابع يصبح عيبا لا مبرر له فى القصة الجادة التى تصور معنى اجتماعيا أو حالة نفسية أو غير ذلك ٠ وبعض القصص الجادة عند السيدة احسان لا تخلو من هذا العيب اذ تتعدد فيها الشخصيات وتتشعب

الأحداث وان كانت الكاتبة لاتلبث أن تعود بعد حين الى الخط الرئيسى للقصة • ولو استطاعت السيدة احسان أن تفرض على نفسها التزام خط واضح للقصة وتركيزا لاحداثها وشخصياتها ، ولو استطاعت فى انتاجها المستقبل أن توسع من دائرة تجاربها وانطباعاتها فتخرج عن هذا المحيط النسائى الى قطاعات أرحب من المجتمع والنفس الانسانية فانها جديرة — بما أوتيت من موهبة كبيرة فى التقاط الموقف وحكايته — أن تبلغ شأوا بعيدا من التقدم والاجادة •

عبد القادر القط

سِجْنُ أمْلَكَه

لست ادرى لماذا ؟ ٠٠ لماذا كنت اشعر برهبة تملأ نفسى ، ورعدة تشمل جسدى كلما مررت امام سجن الحدرة بحوائطه العالية الكئيبة التى تحجب عن نزلائه الدنيا والناس ٠

ولماذا كان مجرد تصورى لحال هؤلاء النزلاء المساكين يثير اسفى ورثائى لهم وعطفى وشفقتى عليهم ٠

هل كنت اعلم وقتها ــ وقت أن كنت طفلة ــ اننى انا ايضا سأعيش فى سجن مماثل لمدة عشرين عاما ؟

لا ٠٠ لم اقتل قتيلا ولكنى تزوجت ٠٠ ولست ادرى منذ متى كان الزواج جريمة يعاقب عليها بالسجن المؤبد ٠٠ ولكن هذا ما حدث لى ٠٠ اجل أقمت فى سجن ٠ سجن لم تكن قضبانه من الحديد بل من التقاليد٠٠ ولم يكن ذلك الفرق من العوامل المخففة ٠٠ بل على العكس فان الحديد قد يلين ٠٠ ولا تلين التقاليد ٠

ولكن كان الذى خفف من قسوة ذلك السجن على نفسى ــ حتى أننى لم احاول مرة واحدة ان اغادره ــ طيبة السجان ورقته وحبه لى ٠٠ زوجى الذى اعجبت به من زمان منذ كان شريكا لوالدى فى تجارته ويقطن فى الشقة المقابلة لشقتنا فى رمل الاسكندرية وكانت تصرفاته واحترامه لجيرانه اول ما أثار انتباهى اليه ٠٠ كان اذا دخلت والدتى الشرفة غادر هو شرفته فى الحال وعندما كان يزور والدى يبالغ فى المحافظة على حرمة المنزل فيجلس على مقعد بعيد عن الباب ولا يخرج الا بعد ان يخلى له والدى « السكة » واذا تصادف وسلمت عليه والدتى او انا كان يرد السلام باحترام مهذب وهو يغض من بصره وأعجبتنى منه هذه الصفات التى كانت تختلف تماما عما عهدته فى باقى جيراننا ومعارفنا ٠٠ حتى خيل الى انه فارس قادم من بلد غريب ولكن لماذا أتى ؟ أللتجارة وحدها أم لكى يخطف

فاتنة من حينا ٠٠ ومن تكون تلك الفاتنة ياترى ؟ هل ٠٠ هل أكون انا ؟ واذا كان هذا تفكيرى وقتها فلم يكن غريبا ان أقبل الزواج منه عندما طلبنى رغم انى كنت فى السادسة عشرة وكان هو فى ضـــعف عمرى تقريبا ٠٠٠ ورغم ان والدى ترك لى حرية الخيار مر العامان الاولان كحلم جميل استيقظت منه على رنين جرس الدلال وهو يعلن عن بيع محلات والدى وزوجى بالمزاد بعد ان اصيبت تجارتهما بضربة قاضية اتت عليها٠

ذهب والدى الى القاهرة ليعمل وكيلا عند عدد من التجار كان بعضهم يعملون وكلاء عنده اما الحاج احمد فقد قرر العودة الى البلد ليعيش على ريع بضعة افدنة يملكها وبالطبع ذهبت معه الى هناك ٠٠ الى البلد ٠٠٠ البلد الذى كنت اسمع عنه كثيرا ولم اره ولم يمر على وجودى هناك شهر واحد حتى تمنيت لو كنت ظللت اسمع عنه دواما دون ان أراه ٠٠ لم تكن الاقامة هناك تختلف عن الاقامة فى سجن ، وفيم الاختلاف ؟ نفس الحوائط العالية الكئيبة التى تحجب عن المقيم فيها الدنيا والناس ٠

وكلما حاولت أن أفعل أى شىء او اتحرك فى أى اتجاه ، وجدت حولى سياجا من التقاليد تمنعنى ٠٠ الغريب أنه كان سياجا وهميا لم يره أو يحس به سواى ودهشت فى أول الأمر عندما فكرت لم أر اى تذمر من أية واحدة من قريبات زوجى ، ولكنى عندما فكرت قليلا وجدت ان هذا طبيعى ٠٠ فان البنت تولد هنا ولا ترى حولها سوى ذلك المنزل فتعتقد ان هذه هى الدنيا كلها ٠ ولكن أنا التى تفتحت عيناى على البحر الذى ليس له آخر والشواطىء الممتدة والحدائق المزهرة ودور السينما والشوارع الواسعة والمحلات الفخمة و ٠٠ والناس ٠٠ الناس يروحون ويجيئون ، ماذا عساى أرى فى تلك الدار سوى سجن ؟

ومع أن الصعيد تسوده التقاليد الشديدة ٠٠ الا ان هذه القـرية بالذات من أعمال مركز جرجا كانت تنفرد بتقاليد أشد قسوة ، حيث تجدهم يرددون فخورين ان البنت عندهم لاتخرج من دارها سوى مرتين اثنتين فى حياتها مرة من دار والدها الى دار زوجها والثانية من دار زوجها الى القبر ٠

والدار هناك عبارة عن مجموعة من المنازل بنيت حول فناء كبير ، وابواب جميع تلك المنازل تفتح على ذلك الفناء الداخلى عدا المنزل الأمامى منها وهو الذى يسمى الدوار حيث يجتمع رجال الأسرة فيه كل مساء ويستقبلون فيه ضيوفهم من افراد العائلات الاخرى او الحكام ٠



اما من الخارج فيبدو شكل الدار وكأنه قلعة كبيرة خالية من المنافذ٠٠ ويوجد بالبلد ثلاث من هذه الدور تجمع الفروع الثلاثة للأسرة الوحيدة التى عقدت لها السـيادة فى البلد والتى كان زوجى احد افرادها ولا فخر ٠٠ اما باقى البلد فكانت تحوى أكواخ الفلاحين او العبيد على حد قولهم ٠

وكان مسموحا لساكنات الدار بالتزاور فيما بينهم بعد المغرب اما بالنسبة للدارين الآخرين فلم تكن تذهب اليهما سوى للواجب أى للعزاء، اما الخروج لخارج البلدة فكان وقفا على سعيدات الحظ اللاتى يصـيبهن مرض شديد لايكفى فيه حضور الطبيب اليهن ، بل لابد من ذهابهن اليه فى جرجا ٠

وتمر الايام ويزداد احساسى بالملل القاتل ، لم اعد اشعر ان الحياة تسير بل خيل الى انها أصـبحت تحاكى فى ركودها ماء البرك الآسن المتعفن ٠

وبدا لى اليوم طويلا يمضى ببطء وكأن عجلة الزمن قد ضـعفت واصبحت بحاجة الى ونش يساعدها فى القضاء على المقاومة المستميتة من

جانب الايام التى لاتريد ان تلفظ آخر انفاسها واحسست كأن رقبتى قد حشرت بين هذا الشد والجذب حتى كدت اختنق وقررت القيام بثورة وأخذت أبذر بذورها فى نفوس قاطنات السجن ــ أعنى الدار التى كانت تضمنى حتى يثرن على الاوضاع القائمة ويحطمن الاسوار فنخرج جميعا من سجن التقاليد ولم أكن اعتقد اننى افعل ما ألام عليه بل على العكس ظننت اننى اقوم بعمل مجيد سيدخلنى التاريخ كمحررة للصعيد ولكن نظرات الاستنكار وكلمات السخرية التى قوبلت بها اطفأت حماستى ، ولم يقف الامر عند هذا الحد ٠٠ ذكرت كل سيدة ماحدث لزوجها فابلغوه بدورهم الى زوجى شاكين اليه اقوالى ٠ وقررت ان اقلل من زياراتى لأولئك القريبات ليس فقط بعد عتاب زوجى لى ولكن لان سهراتهن لم تكن تبدد شعورى بالملل ، بل انها كانت تزيده فلم يكن حديثهن يزيد عن فلانة قالت وفلانة عادت وأظلمهن لولمتهن على ذلك ، ففيم كان فى استطاعتهن ان يتحدثن ؟ أفى اخبار السياسة الدولية ٠٠ أم فى اتجاهات الادب فى مصر والخارج ام عن آخر الافلام واحدث الازياء ٠

وحتى القراءة التى كنت اقطع بها اوقاتى اول الامر كرهتها اخيرا ، خيل الى ان الكتب والمجلات التى اقرأها تكتب وتتحدث عن عالم آخر غريب غير العالم الذى اعيش فيه ولم يعد يخفف عنى سوى الاوقات القليلة التى كان يقضيها الحاج فى المنزل بعد عودته من الدوار ، فالحق انه كان فى معاملته لى انسانا ٠٠ كريما رقيقا ، الى اقصى حد ٠٠ ابتعدت عن أبى فوجدت عنده رعاية الأب وافترقت عن أمى فمنحنى هو حنان الأم ، وحرمت الأصدقاء فلمست منه مشاركة وتفاهم الأصدقاء ٠٠ الى جانب حب الزوج.

وكان يحس بما أعانيه فكان دائما يسرى عنى ويؤكد لى اننى ما ان ارزق بطفل حتى تنسينى خدمته كل احساس بالملل وتمسح ابتسامته عنى كل شعور بالضيق ٠

ولكن ٠٠ تأخر وصول الطفل المرتقب أكثر من عامين وليته بعد ذلك جاء طفلا بل كانت طفلة ٠٠ وأنا لا أكره البنات بل بالعكس أحبهن جدا ، وسلوى بالذات ٠ احببتها الى درجة لايمكن تصورها ٠٠ الى درجة اننى قررت ألا أرضعها حتى تموت ٠

فقد افزعنى التفكير فى حياتها المنتظرة فى هذا السجن ، ولهذا لم أكن أريد بنتا من أول الأمر ولكن عاطفة الأمومة لم تدعنى امضى فى قرارى هذا لأكثر من نصف ساعة ٠

وتستعيد عجلة الزمن بعضا من قواها فتسرع فى سيرها وهى تطوى معها الشهور والأعوام وتكبر سلوى ويبدو أنها كانت تنمو على حساب ضيقى وسخطى الذى أخذ ينكمش ·· ليفسح الطريق لمشاعر الفرحة التى كانت تزداد كل يوم وأنا ارى سلواى تتفتح أمامى ·· لم يتبخر تماما شعورى اننى فى سجن ولكنه أصبح يطل على فقط بين الحين والحين بعد أن كان يذكرنى بنفسه كل ثانية وكأنه ضرس تالف لا يكف عن النقح ·

طيلة الفترة التى قضيتها زوجة للحاج احمد لم اسافر الى القاهرة سوى مرتين كانت الأولى لحضور مأتم أبى الذى توفى دون أن اراه وقابلت يومها لأول مرة زوج اختى الصغرى واولادها ورأيت اخى الوحيد وقد أصبح شابا وعند ما بكيت ونحن عائدون الى البلد وعدنى الحاج بتكرار هذه الزيارة ولكن ·· الدنيا تلاهى كما كان يقول ·

لم نعد الى القاهرة الا عند ما الح عليه المرض ونصحه طبيب بالسفر اليها لعمل بعض التحليلات ، وفى هذه المرة كانت سلوى قد كبرت ولذا شاركتنى البكاء عند ما كانت اسرتى وبعض من أسرة الحاج المقيمون فى القاهرة يودعوننا بالمحطة وأمام دموعنا تلقينا وعدين وعدا من زوجى باننا قريبا سنعود الى القاهرة ــ وان لم يف بهذا الوعد ولن يفى به قط ــ والآخر من اخى بالحضور عندنا فى البلد ،وقد جاء فعلا بعد اكثر من عام·· جاء ليحضر مأتم الحاج ·· زوجى ·

وانتهت ليالى المأتم الثلاث وبعدها جاء اخى ليحدثنى فى مصيرى ·

طبعا دلوقت اصبح مافيش داعى لقعادك فى البلد ·· حاتيجى معايا مصر ·

ــ طبعا ··

واخبر اخى الاسرة ، من باب العلم بالشىء ، فقامت قيامتها ولم تقعد الا بعد سفر اخى الى القاهرة ·· وحده ، تكلم ابو المجد ابن اخ زوجى والذى أصبح بعد وفاته اكبر الاسرة سنا وبالتالى زعيما غير رسمى لها ومتحدثا باسمها ابدى دهشته لاخى من مجرد تفكيره فى اخذ البنت عنده ·

ــ ده عار يابوى ·· اكبر عار ·· البنت تتربى فى بيت غريب ؟·· دى الحكاية دى تطير فيها رقاب ده لولا اننا متأكدين انك ماتعرفش عاداتنا وانك ماتقصدشى تهيننا ماكانش حصل طيب البنت ما تفضل فى بيت

ناسها وحاتتجوز من ناسها .. ده حتى دلوقت لانا ولا اى فرد فى العيلة يقدر يصرح لها تروح مصر حتى زيارة .. الا بقى بعد ما تتجوز اما الست والدتها فاذا كانت تحب تسافر فده امرها .. تحب تفضل معانا هنا .. الف اهلا وسهلا .. بيتها ومطرحها ، واحنا كلنا خدامينها .

ولكن الفكرة الاولى لم تجرؤ حتى على ان تعلن عن وجودها امام تفكيرى اسافر وحدى ؟؟ مستحيل .. وسلوى .. انها اهم شيء فى حياتى، بل هى حياتى كلها لقد حرمت من ابيها فهل احرمها من أمها ايضا ؟ ولمن اتركها ؟ قال لى أخى وهو يودعنى :

— بعد ما تجوزى سلوى وترتاحى من ناحيتها تبقى تيجى ..

ولم أرد ، وماذا عساى أقول ؟ ، هل أقول له اننى بتزويجى سلوى فى بلدها لا أعرف بالضبط هل سأرتاح من جهتها أم سيبدأ انشـغالى وقلقى عليها .. ، يارب ألن أغادر هذا السجن أبدا ؟

وسافر أخى وحده ، ولم أره من يومها ولا أعرف اذا كنت سأراه ثانيا أم لا فقد علمت من والدتى بعد حوالى عامين عن طريق الخطابات ـ انه سافر الى سوريا لبعض شئون تجارته ولكنه تزوج من أهلها ، واستقر نهائيا هناك حيث وجد سبل الرزق أمامه أوسع ، سافر بدون أن أراه ويبدو أن ظروفه لم تمكنه من الحضور عندنا وكذلك أنا لم أذهب لزيارة أهلى رغم ان ذلك كان فى اسـتطاعتى ، فان قلبى لم يطاوعنى على ترك سلوى ولو لأيام ، خاصة وحالها فى الأعوام الأخيرة أصبح يحيرنى ، فهى تارة سعيدة مرحة تغنى .. وأحيانا مكتئبة . أحيانا تخلق الحجج لتذهب لزيارة بعض أقاربها ، وأحيانا أخرى تعزف عن كل زيارة .. ولكم وددت أن أدخل هذا الرأس الصغير لأعرف فيم تفكر ، بل هممت أكثر من مرة أن أسألها ، ولكنى كنت أعود واستسخف سؤالى .. فماذا عسى يشغل بالها ؟ حتى صارحتنى هى من تلقاء نفسها .

كنا فى زيارة لمنزل عمها أبو المجد وبعد عودتنا فوجئت بهـا وهى تلقى بنفسها بين ذراعى وتحدثنى بكلمات منقطعـة غارقة بين بحر من الدموع وأمواج من الضحكات وعندما استطعت اصطياد كلماتها وضمها الى بعض كنت كالمذهولة ، هل هذا معقول ؟ .. أجل انه معقول بدليل انه قد حدث فعلا .

هذه الحوائط العالية .. هذه العادات البالية .. هـذه التقـاليد القاسية ، كان فى استطاعتها أن تمنع التسلية والتعليم والمدنية والمرح

٠٠ بل والشمس والهواء ولكنها لم تستطع أن تمنع الحب ٠٠ ابنتى تحب فؤاد ابن أبو المجد منذ أكثر من عامين منذ كنا فى القاهرة وكان هـو هناك يدرس فى كلية الهندسة وطيلة الشهرين اللذين قضيناهما هناك كان هو يضع نفسه فى خدمتنا فيصحبنا الى عيادات الاطباء والسينما وحديقة الحيوان وأحست سلوى بحب فؤاد لها وبادلته هذا الحب وفهمت ساعتها أشياء كثيرة لم أكن أجد لها تعليلا من قبل ٠

لماذا بكت سلوى ونحن نغادر القاهـــرة ، ولماذا كنت أراها أحيانا سعيدة وأحيانا أخرى باكية ولماذا كان هذا التقلب يحدث دائما مع حضور رمضان خادم فؤاد الذى يأتى لزيارة زوجته وأولاده مرة كل شهر أو شهرين ويحضر معه الطلبات التى اشتراها سيده من القاهرة بتوصية من أسرته ويأخذ له وهو عائد بعض الطيور والفطائر والزبدة ، وهل كان فى وسعى أن أخمن ان سلوى وجدت ــ داخل احدى شلل الصوف التى طلبتها ــ رسالة منه ، تحوى أول اعتراف بحبه بعد أن كان تخمينا ،وان سلوى اخفت شلتين من هذا الصوف وادعت ان الكمية لم تكف وانهـــا تريد لبلوزتها تكملة وكانت فى الحقيقة تريد لقصة حبها تلك التكملة وانها يوم الحت فى أن تعمل ذلك النوع التركى من الفطائر الذى كان قد أكله يوما فى منزلنا بالقاهرة ــ والذى لم تكن تعرف طريقة عمله فىالبلدة سواى ــ ثم تلح بأن تهدى بعضا منه لمنزل «أبو المجد» كانت تعرف أن رمضـان مسـافر فى ذلك اليوم وان «فؤاد» كان قد قال لها فى رسالته انه يعلم انه ليس باستطاعتها الرد على رسالته ولكنه سيعلم أنها هى الأخرى تحبه لو وجد فى هدية أسرته ذلك النوع من الفطائر ، أو انه عندمـــا أرسل لوالدته مجموعة من خيوط الصوف ورجا أن تشتغلها له واحدة من القريبات كان يقصدها هى وانها لذلك حزنت وبكت عندما أعطت والدته الصوف لقريبة أخرى ؟ وغيره وغيره ٠٠٠ ظلت ابنتى تحكى وأنا أستمع بسعادة وسرور ٠ وزادت سعادتى عندما قرأت الرســـالة التى كانت فى علبة الشيكولاته التى أحضرها هدية لها وقدمتهـــا لها والدته اليوم عندما ذهبنا لزيارتها فى مرضهـــا وكان هو قد حضر أيضا لرؤية والدته والاطمئنان عليها وأحضر الهدايا لعدد كبير من الاسرة كان لى فيها أيضا نصيب ٠ اما الرسالة فكانت تحكى لها انه قد طلب من والده يدها وان الأب قد وافق ٠

لقد كنت أسعد منها ، وهل يحق لى بعد ذلك أن أقلق عليها ، ان فؤادا سيكون مهندسا . أى انه لن يقيم فى البلد وحتى لو أقامت معه فى جهنم فسأكون مطمئنة عليها معه اذ اننى أعرفه ٠٠ أعرف انه شاب ممتاز

على درجة عالية من الاخلاق والشـــهامة وأهم من ذلك كله انه يحبهـــا وانها ٠٠ تحبه ٠٠

وأخذت أساعد سلوى وهى تبنى قصور امانيها وزادت تلك القصور ارتفاعا عندما ذهبت فى اليوم التالى للسؤال عن صحة أم فؤاد ووجدت عندها عمته بهانة وتحدثنا معى فى رغبة «أبو المجد» فى أن يأخذ سلوى لفؤاد وان الخطبة ستعلن خلال أسبوع ، ولكن يبدو أن قصور أمانيهـا كانت على الهواء ونفخة واحدة كانت كفيلة بهدمها من أساسها وخاصـة اذا كان الذى نفخ ٠٠ ملك الموت عزرائيل ، كان يقصـــد أم فؤاد ، نفخ شمعتها فأطفأها ونال قصورنا من نفخته رذاذا فاذا هى كومة أنقاض ٠

انتهت ليالى المأتم وسافر فؤاد الى كليته وبعـــد الاربعين جاءتنى عمته بهانة لتخبرنى ان أبا المجد يريد يد ســـلوى لـ ٠٠ نفسه وكدت أصعق ٠٠ وكدت أتهمها بالجنون ولكنى أخيرا علمت انها الحقيقة ، وأن اخبارى بها كان من باب العلم بالشىء فقط ٠

وثرت عليها وأخبرتها ان هـذا مستحيل فنظرت الى كما لو كنت مخبولة تهذى ٠

ــ ايه هو اللى مستحيل ؟ هو انت لك فيها عشان تتكلمى ؟ دى بنت عمه لزم وهو دلوقت أولى واحد بيها فى العيلة كلها ولا فيش أى حـد يقدر يتعدى عليه ٠

ــ ايه اللى يتعدى عليه وأولى واحد بيها؟هى ايه ؟ تركة بتقسموها؟

ــ التقاليد عندنا كده ٠٠ ابن العم قبل غيره ٠٠ والكبير فى أولاد العم قبل الصغير ٠٠

ووجدت نفسى أصرخ وكأننى قد أصبت بمس ٠

ــ التقاليد .. التقاليد .. التقاليد .

حاولت بعدها بأية وسيلة منع ذلك الزواج بالرجـاء أبعث به الى أبى المجد أو الكبار فى الأسرة وبالثورة واعلان التحدى ولكن لا فائدة وكانت دموع سلوى تحرق قلبى كأنها قطرات من ماء النار حتى لقد فكرت فى أن أقتل أبا المجد ومرحبة بعده بالشنق ما دمت أعلم ان ابنه فـؤاد سيكون أولى الأقارب بسلوى ، لأن باقى أولاد أعمامها متزوجون جميعا ٠

وخطر لى خاطر أخير ، طلبت مقابلة أبو المجد شخصيا والحت فى

ذلك وتمت المقابلة وكانت أعجب مقابلة فى التاريخ ٠٠ جلست أنا فى حجرة وهو فى حجرة أخرى وبيننا باب مفتوح ٠٠ وأخذت أحدثه وهـــو يناقشنى حول حقوقه ولم اسـتطع على ذلك صبرا فخرجت اليه برأسى عارية ووجهى لايغطيه أى شيء سوى بعض من خصـلات شعرى الذهبى الطويل تهدلت عليه ولم أحس بها فى ثورتى وأخذت أرجوه :

ـ ازاى بس تتجوز واحدة أصغر من بنتك بسنين ٠٠ حرام عليك ٠٠ انت مش ممكن حاتسعدها وانت كمان ازاى حا تكون سـعيد معاها وهى عايشة معك غصب عنها ؟ ٠٠ هى وفؤاد من سـن بعض ولايقين لبعض ٠٠ انا عارفة انك أولى واحد بيهـا لكن لو اتنازلت عنها حتكـون انسانية منك ارجوك ياحاج ابو المجد ٠٠ أبوس ايدك ٠

وتقدمت منـه فعـلا وركعت أمامه وأخذت يده فى يدى ـ كنت على استعداد لأن أفعل أى شيء ولو كان التنازل عن كرامتى أو حتى عن حياتى فى سبيل سـعادة ابنتى وسـحب ابو المجد يده من يدى بسرعة وهو يستغفر ولكن بعد أن تركت عليها رجاء اشترك فى التوقيع عليه شفتان وعشرات من الدموع ٠

وأنهضنى فقمت وأنا أترنح ويكاد يغمى على لولا أن اسندنى بذراعه٠

قضيت الأيام التالية فى فراشى أحس بمائة مرض فى جسمى حتى جاءتنى بهانة لتخبرنى أن أخاها يرجو مقابلتى واعطتنى طرحتها لاضعها على وجهى ودخل أبو المجد ٠٠ قال لى انه يريد أن يلبس سلوى الشبكة ٠٠ وتمتمت وكأنى أحدث نفسى :

ـ يعنى ما فيش فايدة ؟

وأردف وهو يضحك

ـ حانقدم الشبكة للعروسة فى غياب العريس ٠

ورفعت رأسى اليه فأومأ برأسه مؤكدا فى سماحة :

ـ شبكة فؤاد على سلوى ٠٠

واحترت أنا ولم أجد ما أقوله ودخلت ابنته لتنادى ابنتى فهمس لى هو :

ـ أنا لقيت كلامك تمام سلوى صغيرة على ٠٠ أنا عايز لى واحدة أكبر شوية تكون عاقلة وست بيت ٠٠

وفهمت ما يعنيه فورا وأحسست بغصة فى حلقى وقلت له ساخرة ٠

ـ هو ده بقى الثمن عشان تترك سلوى ؟

فاذا به ينتفض كما لو قد أهين :

ـ ثمن ؟ ٠٠ ثمن ايه يا ست هانم ؟

احنا ما عندناش هنا حاجات بثمن

وأقبلت فى تلك اللحظة ابنتى فقال بعد أن ألبسها السوار :

ـ بكرة آخر يوم فى امتحان فؤاد وأنا حابعت له تلغراف أول ما يخلص ييجى هنا على طول وزى النهاردة كتب الكتاب ٠

وفى ذلك اليوم الموعود أحسست كأن القدر قدم الى اعتذارا يكفى لأن يمسح جميع ما ارتكبه فى حقى من غلطات ولا أستطيع أن أقول اننى كنت يومها سعيدة فان هذه الكلمة لا تكفى ، ولا أية كلمات أخرى بمستطيعة أن تعبر عن مشاعرى ٠

تم القران على خير وبعدها جاءنى أبو المجد يهنئنى ثم قال :

ـ أنا مارضيتش أكلمك غير بعد الكتاب عشان ما تفتكريش انى باغصبك ٠ دلوقت تقدرى تقولى ردك بكل حرية ٠٠ أيوه والا لأ ٠٠ ؟

« أنا آسفة يا حاج ٠٠ سامحنى ٠

ـ على راحتك ٠٠ ومش حالح ما دمتى بتكرهينى ٠

ـ أنا مـا باكرهكش ٠٠ وبالعكس انت راجل شهم وكريم وأنا باقدرك وأحترمك وقلبى بيشكرك على كرم أخلاقك لكن ٠٠ أنا قضيت هنا ٠٠ فى السجن ده ٠٠ عشرين سنة وكنت حسنة السلوك ٠٠ وأظن أستحق بقى الافراج وأنا بعد اذنك مسافرة بكرة ٠

ـ طيب يا بوى مش لما تعملى لبنتك السبوع ؟ نسيتى الواجبات ؟ مستعجلة على ايه عاد ؟ :

وهكذا « اخترت الحرية » ٠٠ وأخذت أتنفس ملء صدرى وأنا فى القطار الذاهب الى القاهرة ٠٠ ما أجملها ٠٠ وما أجمل الحياة ٠٠ هل كنت أحيا هناك لاأظن فان الحياة هى الحركة وهى التغيير وليس الجمود أو على أكثر تقدير الحركة على طريقة محلك سر كنت سعيدة لا يشغل بالى شىء حتى ولا فراقى عن سلوى ٠٠ انها لن تغيب عنى كثيرا ٠٠ بعد ثلاثة

أشهر ستحضر الى القاهرة مع زوجها ٠٠ اذ بقيت له سـنة فى الجامعة بضعة أسابيع فقط ٠٠ ثم عادت السعادة تخرج لى لسانها ساخرة ٠٠ كنت أقيم مع شقيقتى وزوجها اذ بعد وفاة والدى وسفر أخى لم يعد لى سوى منزلهما وكانت أمى تقيم معهما أيضا ، وتدريجيا اكتشفت ان عدلى أفندى لا يحب والدتى بل يبدو لى انه لم يكن يحب أحـدا وخيل الى انه يضيق بوجودنا معه ٠

أول الأمر خيل لى فقط ، ولكنى بعد ذلك تأكدت ، سمعته ذات يوم عفوا يقول لزوجته :

ـ ما فيش واحدة تانيـة من قرايبك كمان ناوية تشرفنا ؟ الشرع يسمح لى بأربعة وانتو لغاية دلوقت ثلاثة ٠

وأحسست بكرامتى تئن تحت وطأة الصفعة وفى اليوم التالى لمحت لأختى اننى أحس بضيق زوجها بى وطلبت منها أن تخبره بأننى ما دمت سأقيم عندهم بصفة دائمة فاننى مصممة على دفع جزء من مصـاريف المنزل وفى هذه المرة تعمدت أن أسمع ما بيقوله لها بعد أن تنقل اليـه كلامى وكانت لطمة ثانية رد عليها ساخرا :

والله يا ستى أنا ما اعلنتش عن افتتاح لوكاندة فى بيتى ٠

هذا الرد الذى لم أنسه قط والذى كان يلوح لى فى كل مرة آجلس فيها معهم على مائدة طعام كل لقمة كنت أضعها فى فمى كنت أحس لهـا مرارة العلقم وأقوم ولم املأ ربع معدتى وكل مرة أكون فى الخارج وأهم بالعودة الى المنزل الا وأحس بقدمى لاتقويان على السير كأنما ربط بكل منهما كيس من الرمل وقد ملأنى الشعور بالمرارة والمهانة ٠٠ هل هـذه هى الجنة التى وعدت بها نفسى ؟ ولم يقف الأمر عند هذا التلميح بل جاء دور التصريح ٠ فى احـدى الليـالى كنا نتحدث فاذا بابنة أختى وهى لاتجاوز الخامسة عشرة ترد على سؤال لى بتهكم لاذع وسخرية جارحة ولم تكن تلك أول مرة تحتك فيها بى ويبدو انها كانت تكرهنى لأننى وان كنت لا أتدخل فى أمورها الا انه كان يظهـر على وجهى اسـتنكارى لتأخرها وحدها حتى ساعة متأخرة من الليل ولاستعمالها أدوات زينة والدتها ، وهى لم تحاول أن تدارى نفورهـا منى اذ يبدو أننى لم أكن الوحيـدة التى لاحظت ضـيق عدلى افندى باقامتى فى منزله ولذلك استهانت بى ٠٠٠

وفى تلك الليلة عنفتها امها فغادرت الصالة مغضـبة فاحتج عدلى

افندى : هى ما قالتلش حاجة اختك هى اللى مجنونة اللى تاخد على خاطرها من عيلة زى دى ٠

خليها تتأدب اصلها زودتها فى الدلع قوى ٠

ــطب وماله ٠٠ بتدلع فى بيت أبوها هى بتدلع فى بيوت الناس ٠

كان ذلك اكثر مما احتمل وفى الصباح كانت اعصاب السكل قد هدأت عداى واردت ان اخرج ونادتنى اختى للافطار فاخبرتهـــا بأنى معنديش نفس فصرخ زوجها : النكد ده انا ماقدرش عليه كل يوم تزعل وتغضب ، انا بدى اعرف الحالة دى حتستمر على طول ؟

واغلقت الباب خلفى فلم اسمع اكثر من ذلك ، وسرت وسؤاله يطن فى اذنى « الحالة دى حتستمر على طول ؟ » وفجأة برق فى ذهنى جواب احسست وانا اصل اليه كأنى اصل الى بر الامان بعد مصارعة طويلة مع امواج قاسية ٠٠ وفى احد المحال وقفت آكل ساندوتش فول بشهية لأول مرة منذ أسابيع ٠

لم اغب فى الخارج كثيرا فان مكتب التلغراف لم يكن يبعـــــد من منزلنا ــ آسفة منزل عدلى افندى ــ كثيرا ولم تكن البرقية التى تسلمها ابو المجد فى ذلك اليوم تحوى أكثر من هذه الكلمات « حاضرة الليلة بالقطار السريع » ٠

ورغم اننى لم اجد سببا ابرر به عودتى للبلد امام ابو المجد وابنه اللذين كانا بانتظارى فى المحطة سوى أن سلوى قد وحشتنى جدا واننى لم استطع على فراقها صبرا الا اننى رفضت رفضا باتا دعوتهما للذهاب الى منزلهما ٠

انا حاروح على بيتى ٠٠ انا عندى بيت ٠٠ ليه اروح بيوت الناس ؟ سلوى تقدر تجيلى الصبح ٠

كانت حجتى مكشوفة فلم يكن باقيا على سفرها مع زوجهـــا الى القاهرة سوى اسبوعين ولكنى لم اجد غيرها ، ومر الاسبوعان سريعا ٠

وذهبت الى منزلها ليلة السفر ، وبعد العشاء ذهب فؤاد الى بعض مؤاجريه ودخلت سلوى لاعداد الحقائب ٠٠ وظللنى وأبو المجد صمت قصير ، سألنى بعده :

ناوية ترجعى مصر مع سلوى ؟

والله بافكر انى ٠٠٠

اذا سمحتى لى اقول رأيى انصحك تقعدى شـــوية فى البلد ٠٠ صحتك الظاهر ماجاتش على هوا مصر ٠٠ شايفك كده خاسة شـــوية ووشك مقطوف ٠٠ وشك اللى كان – فى المرة الوحيدة اللى شفتك فيها – بلون الورد ٠

وادهشتنى جرأته ، وكان لابد ان أغضب ففتشت فى نفسى عن بقايا تكشيرة ٠٠ وارتديتها على وجهى ٠٠ ولكنها سرعان ماذابت امام نظراته الحانية الصريحة ٠٠ تمردت على ملامحى وأبت الا ان ترد ابتسامته بمثلها ٠٠ قلت له :

– الحقيقة انا كنت ناوية اقعد هنا شـــوية ٠٠ الا اذا كنتم مش عايزينى ٠

– بقى ده كلام انتى عارفة انى اتمنى انك تكونى فى البلد واتمنى اكثر انك تكونى هنا فى بيتى ٠

ورأى صمتى فزاد من تلميحه :

– ولما يوحشونا ٠٠ سلوى وفؤاد نبقى نسافر لهم نزورهم ٠٠ نرجع ٠

– بس ياحاج ازاى اتجوز بعد المرحوم ؟

– انتى ، شابة ٠٠ وهو نفسه يسعده فى قبره انك تكونى مع واحد يخدمك ويحافظ عليكى ، الا اذا كنتى لسه بتعتبرى البلد ٠٠ سجن ٠

– أبدا ٠٠ أبدا ٠٠ انا ماكانش قصدى ٠٠ البلد حلوة ٠٠ واهلها ناس كرماء ٠٠ أى حتة الواحد بيتنفس فيها بحرية وباله مرتاح وكرامته منصانة مش ممكن تبقى سجن ٠

واردفت بصوت خافت وكأنى أهمس لنفسى :

– وحتى اذا كانت سجن ٠٠ فأنا أفضل انى اعيش فى سجن ٠٠ املكه ٠



جَـاءَ الشِّـتَاءُ

وقفنا امام البوابة الخارجية للفيلا ، حوالى خمس دقائق ونحن ننادى على البواب :

ـ عم جرس .. ياعم جرس .. ولكن ما من مجيب ، حتى خيل الى أن المارة في الشارع ـ على قلتهم ـ ينظرون الينا بفضول ، وهم مندهشون من غرابة الاسم الذى نناديه ، ولهم الحق ... فلم تكن دهشتى اقل منهم يوم سمعت بهذا الاسم لاول مرة منذ أعوام .

لقد ذهبت يومها لافتح الباب ، فاذا بى اجد الطارق شخصا لم أره من قبل كان رجلا قصير الجسم ، طويل الشارب .. وسألته ؟

ـ أنت مين .. ؟

انا البواب الجديد ياست ..

باعتنى الاسطى عواد المخدم ...

ـ طيب واسمك ايه بقى ياعم بواب ؟ ..

ـ اسمى جرس ..

ـ جرس ؟؟

ونظرت اليه باستغراب ، كان صوته حادا رفيعا مثل صوت الجرس تماما وكانت على وجنته « حسنة » كبيرة بارزة سوداء .. تشبه بالضبط زر الجرس .. ومن هنا كانت حيرتى فى معرفة ايهما كان سببا فى تسميته بهذا الاسم المزعج .

وعدت اقول له :

ـ انا عايزه اسمك الحقيقى ..

ـ هو ده اسمى الحقيقى ياست .. ايه ـ عجيبه ؟

ـ لا ابدا ..

وقطع على حديثى رنين جرس التليفون فقلت :

ـ طيب اقعد هنا احسن فيه جرس تانى عايزنى .. على العموم مش حاسيبك ترن كثير ..

ولم يكن من المعقول ان تعود بى الذاكرة الى بدء معرفتنا بعم جرس .. دون ان اتذكر ابنته فقد التحقت بخدمتنا فى نفس الاسبوع الذى جاء هو فيه بل سمعت باسمها منذ أول يوم عمل فيه عندنا ونزلت معه الى الحديقة لاسلمه « العهدة » وهى دكة امام الباب وغرفة باقصى الحديقة .. ما كاد يراها حتى اعجبته جدا . وبدا عليه السرور وهو يقول :

ـ الله .. دى كبيرة .. تساعدنى انا والبنت ..

ـ بنت مين .. ؟

ـ بنتى .. اصلها بتشتغل فى بيت فى العباسية ، لكن تعبانه .. وانا عايز اطلعها واجيبها معايا هنا ..

ـ طيب داحنا عايزين بنت تشتغل عندنا .. ماتجيبها لنا واهى حاتبقى قدامك .

ـ وماله .. من عينى

ـ مرسى .. وامتى بقى حاتجيب « جرساية »

وقال محتجا :

ـ جرساية ايه ياست هانم ؟

ـ دى اسمها قديسة ؟؟

ـ قديسة .. ؟ الله .. اسمها حلو ، لا دا انا الحقيقة اشهد لك ان ذوقك احسن من ذوق والدك .. الله يرحمه ...

ـ لكن دا ابويا لسه عايش

ـ طيب ماتزعلش ياعم جرس .. الله لا يرحمه ..

ولم يمض على ذلك اسبوع حتى جاءت قديسة .. كانت فتاة

سمراء ظريفة ذكية نظيفة فى حوالى الثالثة عشرة من عمرها .. اى فى مثل سنى يومئذ تقريبا ، وابدت قديسة مهارة فى عملهـا فأحببناها جميعا .. ولا سيما انا ، فأخذت اعلمها القراءة والكتابة .. كما اعطيتها الكثير من أثوابى .. وكنت آخذها معى كلما نزلت لأتنزه فى الحديقة فقد كانت تتسـلق تكعيبة العنب أو شـجرة الجوافة بخفة القرد لتأتينى بالثمار ، فضلا عن انها كانت تجيد سرد الفوازير والنكت والقفز والنط .. وكانت عفرتتها هذه تسلينى وتلذلى .

شىء واحد فقط كان يغيظنى منها .. عندما كانت تحمل قطتى الرومى اللطيفة « ريتا » ثم تذهب بها الى حيث يقف الكلب الضخم « نمر » مقيدا فى الحديقة .. وتلقيها امامه ثم تقف تشاهد المعركة الناشبة بينهما فى سرور .

ولست ادرى ماذا كان يلذ لها فى هذه المعركة التى كانت تؤلمنى انا كثيرا ولا استطيع ان ارى نمر وهو يمسك بريتا فى فمه ويلقيها عاليا فتعود وتسقط على الارض ..

كما لا استطيع ان ارى ريتا تنشب اظافرها الحادة فى فم نمر فتدميه وكنت انزل مسرعة الى الحديقة لأمنـع المعركة .. وان كنت اتحاشى دائما لمس ريتا اذ ان نمر لن يؤذينى مهما حدث اما ريتا فالويل



لى من « خرابيشها » .. حتى اذا استطعت ابعاد المتنازعين صحت فيها :

ـ اجرى بقى يامقصوفة الرقبة هاتى قزازة « الميكروكروم » من الاجزخانة فى الحمام .. بس قوام ... فاذا بها تخرجها لى من جيبها ؟ كانت الملعونة مستعدة وعندما اعود حاملة القطة بعد تضميد جراحها وجراح نمر .. ولا انسى بالطبع جراحى اسألها :

ـ يعنى ايه اللى أخدتيه من الشقاوة دى ·· ما انتش خايفة ربنا ينتقم منك لريتا ويرميكى فى ايد واحد اقوى منك يمرمطك بالشكل ده؟

فتقسم باغلظ الايمان انها لم تفعل شيئا .. وان ريتا هى التى ذهبت الى المعركة بقدميها .

ـ بقى مش كفاية تعاكسى القطة ؟ كمان تحلفى كدب ؟ وبعد ده كله اسمك قديسة ..

والحق ان الذى اسماها قديسة كان قد اخطأ خطأ كبيرا فكثيرا ماكنت اجد عجزا فى مناديلى واشرطتى وبنسى .. ولم يكن هناك من يمكن ان يأخذها سواها ولكنى كنت اتجاهل الامر فانا اعترف انها كانت «ذوق» فلم تكن تأخذ سوى القديم الذى كدت استغنى عنه من تلقاء نفسى ..

وذات يوم ـ وكان قد مضى على حضورها عندنا حوالى ثلاث سنوات ـ اكتشفت انها قد عقلت ولم تعد تقفز الحبل أو تدهن وجهها دقيقا وتلبس طرطورا لتخيف دادة سيدة ·· ولم تعد تنزل الى الحديقة وتزوم وتنونو وتفتعل بفمها جميع اصوات المعركة بين ريتا ونمر ، حتى اذا نزلت مسرعة لم اجد سواها وهى تضحك .. بل ولم تعد تشترى بكل ما يصل الى يدها لبا وتقزقزه بسرعة خمسة الاف حبه فى الدقيقة .

وادركت انه لابد قد حدث فى الدنيا شىء .. عندما طلبت والدتى من دادة احضار ارنبين لذبحهما فلم تسبقها قديسة الى العشة لاخذ الارنبين الاسودين واخفائهما فى صندوق ملابسها كما كانت تفعل فى كل مرة تحيزا للونها .. بل عندما احضرت دادة ارنبا اسود اللون امسكته لها للذبح دون ان تبكى كما فعلت عندما ذبح قبل ذلك ارنب اسود .. وتساءلت ماذا دهاها .. ولكنى لم اعرف السبب .. وعادت تصرفاتها تدهشنى عندما وجدتها تذهب الى المكوجى ثلاث مرات فى اليوم ، كنت اذا ارسلتها بثوب يخصنى مثلا .. تحضر لى بعد نصف ساعة لتقول لى

انها نسيت ان توصيه بكى الكسر حتى الذيل كما امرتها ، وانها ستعود لتقول له ذلك ·· وبعد ساعة أخرى تخبرنى انها ذاهبة الى المكوجى لأنها نسيت ان تقول له اننى اريد ذلك الفستان اليوم .. ثم تقول بعد عودتها انه طلب منها ان تحضر لاخذه بعد ساعة لان صبيه ترك العمل .. وحين تحضره اخيرا وتريه لى ، ولايعجبنى كنت أقول :

ــ ايه المكوة اللى زى وشه دى ؟ النهاية حطيه فى الدولاب ..

ولكنها لا تنتظر حتى تسمع بقية كلامى .. بل تسرع الى الخارج واناديها :

ــ رايحة فين ياقديسة .. ؟

ــ رايحة اهزاه على مكوته الوحشة دى .. واخليه يعيد عليه تانى ...

كان كل فستان او بدلة يكلفها ثلاثة او اربعة مشاوير .. واخيرا رافت بحالها ونصحتها بان تغير المكوجى وتذهب بملابسنا الى مكوجى آخر لا يكون عماله متعبين ولكنها لدهشتى لم ترحب بهذا الامر ..

واخيرا عرفت بذكائى ــ الذى جاء متأخرا ــ انها وقعت فى غرام المكوجى .. وانهـا لذلك تكثر من الذهاب الى محله .. لتتزود منـه بنظرة .. الم أقل من أول الامر ان قديسة كان اسما على غير مسمى ..

وعندما جاء جرس البواب ليخبر والدى ان الاسطى زكى المكوجى خطب ابنته .. وانه وافق .. ويلتمس موافقته ايضا ، قال له والدى ان البنت مازالت صـغيره .. وان زواجها فى هذه الســن ليس من مصلحتها .

ولكن جرس قال :

ــ احنا اصلنا صعايدة .. وتحب نستر بناتنا صغيرين ..

فلم يسع والدى سوى الموافقة ومساعدته فى بعض النفقات واذا كانت والدتى قد أسفت لأن قديسة ستتركنا فقد كان أسـفى أنا أشد ·· وقلت لها يوما على انفراد ·

ــ انتى صحيح حاتتجوزى .. ؟

ــ اه ..

ـ ياعينى ..

ـ ياعينى ليه ؟ .. هو الجواز وحش . ؟ طب انشا الله عقبالك

ـ اخرسى

ـ خرست ..

ـ انما انت اتجننتى تتجوزى صغيرة كده ؟

ـ مين هى ده اللى صغيرة .. ؟ دا انا عمرى ستاشر سنة ..

ـ ايه يعنى .. برضه صغيرة ، الواحدة لازم تستنى لما تكبر عشان ما ترجعش تندم خصوصا انتم ما عندكمش طلاق ..

ـ لا مش حاندم طول عمرى .. انا أصلى باحبه ..

ـ وقلت لها وقد ادهشتنى جراءتها :

ـ حبك برص ..

ولم يكد يمضى عام على الزواج حتى انجبت طفلا ... ولم ادهش كثيرا عندما اسمته جريس ..

كنت أراها بعد الزواج بين الحين والحين عندما تحضر لزيارة والدها وتزورنا ايضا وكنت أدهش كلما وجدت مرحها يقل يوما بعد يوم ، وعندما اتم طفلها ستة اشهر لم اعد أشاهدها تضحك ابدا ..

كانت تشكو لوالدتى من أن احوال زوجها لم تعد على ما يرام ، وانه لكثرة المصاريف التى كان يصرفها فى اول الزواج .. استدان كثيرا وأخيرا لم يجد بدا من أن يبيع الدكان ثم يشتغل أجيرا بالقطعة .. وكان شهرا يجد عملا وشهرا لا يجد ، وأخيرا اخبرتنا انها قررت العودة الى الشغل لمساعدة زوجها ، فطلبنا منها أن تعود .

وكانت تعمل طوال اليوم ، بينما يجلس أبوها على « دكته » وابنها فى حجره .. ولم يكن منظرهما ليضحك أحدا ، أما اذا تفكرنا فى اسميهما فاننا لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من الضحك .

ومرت شهور .. ثم قرر زوجها زكى ان يسافر الى الاسكندرية ، حيث مجال الرزق واسع فى الصيف ، ويكون فى الثغر آلاف من المصطافين وحيث لا يحتمل الفستان أكثر من ساعة على البلاج ثم تدركه الشيخوخة

.. وتظهر تجاعيده ، ويصرخ طالبا الذهاب الى المكوجى ليعيد اليـــه شبابه ويفرد تجاعيده ..

وفعــلا أقبل الرزق على زوج قديســة فارســل فى طلب قديســة وجريس ..

كان وجهها يطفح بشرا وهى مسافرة اليه ، ولما قلت لها مجاملة ان فراقها سيعز علينا ، ردت بأننا لو كنا فى الاسكندرية لما تركتنا قط .. ولكن لم تكن ظروفنا لتسمح لنا بترك اعمالنا فى القاهرة والاقامة بجوارها فى الثغر .. ومن هناك أرسلت الى والدها الخطاب بعد الخطاب لتطمئنه على أحوالها ، وذكرت له ان زكى اشترى لها حلقا ذهبيا وسريرا وحلتين ووابور للجاز ..

ولكن لم تمض بضعة أشهر ، حتى عادت قديسة وطفلها فقط .. ولم تكن تحمل لوالدها أية هــدية ، ويبدو أن زوجها قد رأى فى الجنين الذى تحمله فى بطنها خير هدية .. عادت تبكى وتقول ان اشهر الصيف ما كادت تنقضى حتى قل دخل زوجها .. ولكنه عوضها عن هذا النقص فى المال بزيادة السب والبهدلة .. فقد كان خلو يده يزيد من عصبيته ، وباع الحلق والسرير .. وكل شىء ، ورغم ذلك لم يستطع ان يكفى مطالب أسرته فأخذ يفتعل معها الكثير من المشادات ، حتى آثرت الفرار منه والعودة الى القاهرة وقالت انها خلاص ..

لن تعود اليه ابدا .. ثم تضغط على اسنانها وتقول :

ـ آه يا نارى لو كان عندنا طلاق .. كنت اتطلقت منه فى الحال..

ومرة ثالثة عادت للعمل عندنا ، ولكن بصفة غير دائمة ، فقد كانت توشك على الوضع ، وبعد أن وضعت « زكية » كانت دائما تسألنى :

ـ ما تعرفيش يا ست أتطلق من الراجل ده ازاى ؟..

وكنت فى أول الأمر أضحك من سؤالها هذا ، ولكنى زهقت منهـا فصحت فيها ذات يوم .

ـ اسمعى.. انا ما كنتش باشتغل قاضى قبل كده.. ما تسألنيش السؤال ده تانى .

ـ ما انت طول النهار بتقرى كتب ومجلات ، ما قريتيش حاجة زى

كده ؟ الكتاب اللي في ايدك ده ما فيهش الاسباب اللي تخلي الواحدة تخلص من جوزها ٠٠؟

ـ لا ٠٠ ده فيه الاسباب اللي تخلي الواحد يخلص من مراته ٠

ـ طيب ما هو اللي فيه ده ٠٠ يبقى فيه ده ٠٠ والنبي تدوري يمكن تلاقي ٠

ـ ابدا ٠٠ انا متأكدة ٠٠ اصل الكتاب ده بتاع التدبير المنزلي ، فاذا كنتي تاخدي منه وصفه ٠٠ وتعمليها لزكي بايدك ٠٠ فتخلصي منه من غير طلاق ٠٠ ده يبقى شيء تاني ٠

ومرت شـهور ، وذات يوم وصلها خطاب ولم يكن أبوها موجودا فقرأته أنا لها ، وكان من زوجها زكي ٠٠ يعتذر لها عما بدر منه، ويرسل اليها اذن بريد لشراء ملابس للاطفال قبل سفرها اليه في الاسكندرية٠٠

ونظرت اليها وهي جالسة أمامي فوق البلاط ـ فقد كان الصـيف قد بدأ وتساءلت في نفسي ٠٠ ترى هل تسافر أم لا ٠

وفي اليوم التالي سمعتها تغني وهي تلاعب ابنتها فعرفت الجواب٠٠ ولكنني سألتها متجاهلة :

ـ انتي يعني فرحانة النهارده ٠٠ ؟

ـ أصلي فرحانة بزوزو ٠٠

ـ زوزو ٠٠ ؟ عمري يعني ما سمعت بتدلعي زكية الا النهـاردة ٠٠ واخذت تلاعب طفلها وهي تقول :

ـ ليه ٠٠ ؟ مالهاش نفس ٠٠ ؟ هو فيه في جمالها ابدا ٠٠ ؟

ولم تنس قديسة ان « تكسو العيال » قبل سفرها فعلا ٠٠ كرغبة زكي ، وأوصلها أبوها الى المحطة وقطع لها التذكرة الى الاسكندرية ٠٠ وتمنى لها السلامة ٠٠

ولكنها لم تغب طويلا ، ففي نفس ميعاد العام السابق ـ في نوفمبر ـ عادت ـ قديسة ٠٠ وجلست تقص علينا قصتها ، ووقتها تمنيت لو لم تكن ذاكرتي بهذه القوة حتى لأذكر كل ما يقال أمامي مهمـا مرت عليه الشهور والأعوام فانني لا أكره من أن أضطر الى سماع قصـة واحـدة مرتين ٠

كانت أقوالها « نسخة بالكربون » ، من نفس أقوال العام الماضى كما ان شكلها كان صورة طبق الاصل لشكلها فى العام السـابق ··· ولو كنت أخذت لها صورة جانبية (بروفيل) لظننت أنها التقطت لها اليوم !·· فقد كانت تخفى فى بطنها المتكرش الحفيد الثالث لعم جرس المسكين ·· الذى لم يضج ولم يشك ، بل هى التى لم تكن تمل ترديد الشكوى على مسمعى ·· ويبـدو انها كانت موعـزة فى ذلك من بعض شركات الاسبرين ··

الى ان كان يوم ـ بعد ان وضعت مولودها الثالث ، « جميل » ـ ·· كانت تجفف طبقا كبيرا تركته يسقط من يدها ويتحطم ستين قطعة ·· وبدلا من ان تنزعج ، وقفت تضحك ببلاهة ، وهى تصيح كما فعـل قبلها المرحوم كريستوفر كولمبس ·

ـ لقيتها ·· لقيتها ·· وعنفتها أنا :

ـ كده كسرتى طبق السرفيس ··؟

ايه ده اللى لقيتيها ··؟

ـ لقيت الطريقـة اللى حاخلص بيها من زكى ··· انا حاسلم ولما يطلقونى منه ابقى ارجع دينى تانى ··

وقلت لها معذرة : ـ اوعى تعمليها ·· أحسن يودوكى فى داهية ·

وهنا رأيتها تبكى فقلت لها :

ـ بتعيطى ليه ··؟

فأشارت الى الراديو وقالت : اهو بيوصف حالى بالضبط ..

وكان فريد الاطرش بيغنى اغنية « نجوم الليل » ويقول : « على دمعى انام على دمعى اقوم اخلص من هم الاقى هموم » ··

كانت كلما سمعت هذه الاغنية تظل تبكى بحـرقة ، الى ان حدث يوم اذيعت فيه هذه الاغنية ، وكانت قديسة فى المطبخ ، فأسرعت ادير مفتاح الراديو لأخفت صوته ولولا أن هذه الأغنية تعجبنى لأقفلته واذا بى أفاجأ بها امامى وهى تضحك ضحكا شديدا ··

ولما استطاعت أن تتمالك نفسها سألتها :

ايه اللى بيضحكك · ؟

ـ سامعه الراجل بيقول ايه ٠٠؟

ـ آه سامعه ٠٠

ـ بيقول « على دمعى انام على دمعى أقوم » ٠٠ ليه هو ما عندوش سرير ينام عليه ٠٠٠؟

وعادت تضحك من جديد ، فأخذت اتلفت حولى بدهشة ٠٠ وهنا وقع بصرى على نتيجة الحائط فاذا بها تعلن اننا فى شـــهر يونيو ٠٠٠ وصحت فيها :

ـ قديسة ٠٠٠

ـ نعم ؟

ـ انتى جالك جواب من اسكندرية ؟

ـ أيوه أما غريبة ٠٠ ايش عرفك ٠٠؟ لازم شفتى القفة ٠٠؟ القفة الى حاخد فيها الزيارة لزكى ٠٠

وظلت تشترى وتضع فى القفة الكبيرة وهى لا تمتلىء ، واشترى لها والدى بعض الهدايا ٠٠ كما اعطتها والدتى ارزا وسكرا وصابونا وخلافه ٠٠ واعطيتها أنا فستانا احمر من فساتينى ، وانا اشفق الا يعجبها ، اذ يقولون فى الامثال : « ان حبيت تضحك على الاسمر لبســـه احمر » ولكنها لدهشتى سرت به كل السرور :

ـ دا حيعجب زكى خالص ، اصله هو بيحب اللون الاحمر وينبسط لما البسه قدامه ٠٠

ولم اتمالك ان قلت لها : يقطعك يا شيخة ٠٠ ويقطع زكى معاكى؟

وسافرت اخيرا ٠٠ ورجونا ان تكون الاخيرة ٠٠

وانتبهت من خواطرى على والدتى تعاود النداء :

عم جرس ٠٠ يا عم جرس ٠٠

ولكن عم جرس لم يظهر له أثر ، فقالت لى :

ـ احنا حانتأخر ٠٠ وبعدين ٠٠؟

كنا ذاهبين الى زيارة ، وكانت والدتى تريد ان تكلف عم جـرس بامر هام قبل خروجنا ٠٠

وعادت تسـألني : ايه رأيك ٠٠ ؟تيجي نمشي وخـلاص ٠٠ ؟ مش ضروري الحكاية دي النهاردة ٠٠ ؟

ولكني لم ارد .. كنت في واد آخر .. أسائل نفسي في دهشة ٠٠ هل صحيح انه يوجد ما يسمونه بالحاسة السادسة ٠٠؟ والا فلماذا تذكرت قديسة في هذه اللحظة ٠٠؟ فمن بعيد رأيتها قادمة ٠٠ قديسة بنفسها ٠٠ وبجوارها أطفالها الثلاثة ٠٠ وفوق رأسها قفتهـا ٠٠٠ كما سافرت مع فارق بسيط ٠٠ لقد سافرت وبطنها فارغة وقفتها ملآنه ٠٠ وعادت ــ ككل مرة ــ وقفتها فارغة وبطنها ملآنة ٠

وما كادت تنتهي من السلام حتى أخذت تبكي وتقول :

ــ خلاني أبيع كل اللي حيلتي والآخر ضربني وهانى ٠٠ ويهددني ان عدت أوريه وشي تاني ٠٠ ؟ مش ممكن ٠٠ آه ياناري لو كان عنـدنا طلاق ٠٠ كنت اتطلقت منه في الحال ٠٠

واغمضت عيني ٠٠ ووضعت يدي على رأسي ٠٠ لقد شاهدت هذا « الفلم » من قبل مرارا ٠

وقلت لها : انتي عاملة زي الناس العظماء ياقديسة .. كل سنة تصيفي في اسكندرية وتيجي تشتي هنا في حلوان .. لكن انتي السنة دي بدرتي قوي .. كل سنة كنتي بتيجي في نوفمبر .. لكن احنا لسه دلوقت في اكتوبر ٠٠٠

وردت ساخطة : نعمل ايه للبخت الوحش ؟ ٠٠ الشتاء السنه دي جه بدري خالص ــ مش عارفه كان مستعجل قوي كده ليه راخر ٠٠ كل المصيفين سافروا قبل ميعادهم وفي هذه اللحظة أقبل عم جرس٠٠ الرجل الصامت كأبي الهول ٠٠ فسلمت عليه قديسة وقبلت يده ٠٠ ولم يزد هو عن أن نظر اليها طويلا ٠٠ ثم قال لها :

ــ جيتي يا قديسة ؟

ــ أوه يابويا ٠٠ الشتا جه ٠٠٠

حَالِصْين يَاأَحْمَد

كنت أنظر الى وجهى النظرة الاخيرة فى المرآة ، حين رأيت وجهه يبزغ فوق رأسى فجأة ، والتفت ابتسم اليه ولكنه لم يرد على ابتسامتى بمثلها ، وادركت أن وراء تجهمه ماوراءه ، فقد كنت اعرف أحمد جيدا ٠٠ أعرفه أكثر من أى شخص آخر ٠٠ بل حتى اكثر مما يعرف هو نفسه وليس باستطاعة كل أم أن تزعم هذا الزعم الا اذا كانت مثلى تهتم بابنها وتصادقه ، وترى فى سعادته الهدف الاول لحياتها ، بادرنى احمد :

ــ هل ستخرجين ياماما ؟

ــ نعم ٠٠ ولكنه مشوار غير هام ولا مستعجل ٠٠

ــ على العموم لن أعطلك كثيرا ٠٠ ليس عندى أكثر من كلمتين ٠٠ اننى ذاهب عند صديقى فتحى ٠٠ أنت طبعا تعرفينه ٠٠

ــ أليس هو ذلك الزميل الذى يرسب دائما كل عام ؟

ــ نعم انه سيىء الحظ جدا فى دراسته ، وان كان الله قد عوضه بحظ حسن فى أنواع اخرى ٠٠

ــ مثلا ٠٠٠ ؟

ــ لقد توفى والده منذ أعوام ٠٠ وهو الآن يعيش حر التصرف فى كل حياته دون أن يضايقه أحد بالأوامر والتوجيهات السخيفة ٠

وبالكاد استطعت أن أحبس الشهقة التى كادت تفلت من فمى ، وان كنت قد أدرت وجهى فى اتجاه آخر لاننى لم استطع ان أمنع أيضا نظرة الاستنكار القاسية التى كادت تلسع وجهه ٠٠ ووقع نظرى فى الجهة الأخرى على علبة من البسكوت فوق الشفونيرة ٠ فأخذت واحدة منها وقضمتها محاولة ان افرغ كل انفعالى فى سحقها تحت اسنانى ، حتى يخرج صوتى خاليا منه وأنا اسأله :

ـ وهل ستذهب للمذاكرة معه ٠٠ ام ستتنزهان ؟

ورد على بصوت يتصارع فيه الهدوء والتصميم :

ـ بل اننى ذاهب لاقيم معه ٠٠ وسأعمل طبعا بعد الظهر حتى لا أكون عالة عليه ، أردت أن أخبرك حتى لا تنشغلى على ٠

وخلعت قفازى والقيته بعيدا ولقد كان الامر أخطر مما تصورت بكثير ، وقلت له وانا أحاول جهدى الا يشى صوتى بشىء من القلق والخوف الذى ملأ نفسى وكاد يعصر قلبى حين تذكرت بعض الافلام السنمائية التى يزيد المسئولون من تلهف الشباب على رؤيتها حين يعلنون عن منعهم من مشاهدتها ٠ ولكنهم لا يفلحون فى ذلك المنع قط ٠٠ قلت له :

ـ ولكن لماذا يا أحمد ٠٠ ألا تعجبك حياتنا ؟

ـ لا يمكن أن يعجب أحد أن يعيش تحت سقف واحد مع شخص يمقته٠٠ ان بابا ـ وربما تكون هذه هى آخر مرة القبه فيها بذلك اللقب ـ أصبح يكرهنى جدا ، ويبدو أن للكراهية ميكروبات معدية مثل الخبيث من الامراض ٠٠ فقد أصبحت انا الآخر ابادله تلك الكراهية ٠

وهتفت فيه بدهشة واستنكار :

ـ بابا بيكرهك ٠٠ ؟ يا أحمد ؟ ٠٠ هل يوجد فى الدنيا من يكره ضناه ؟ وحتى اذا كان الله قد خلق بعض المعتوهين أو الشواذ ٠٠ فعزت قطعا ليس منهم ٠

لمعت عينا احمد ببريق التحدى وهو يقول :

ـ بل هذه هى الحقيقة المؤكدة مع شديد الاسف ، لماذا يأمرنى دائما بنبذ كل ما يشعر انهيسرنى أو يلذ لى وكأن سرورى ينغص عليه ، وكأن حرمانى وشقائى قد أصبحا عنده المتعة الوحيدة ٠٠ لماذا ينهانى عن التدخين ، وكأننى ما زلت صغيرا ولست رجلا فى مثل طوله ، لماذا يحاول أن يفرض آراءه الرجعية على حياتى ؟ ٠٠ هل نسى اننى أعيش فى عصر غير عصره ؟ ٠٠ هل يعد الرقص عيبا فى يومنا هذا ؟ ٠ ٠ لماذا يمنعنى دائما من قيادة السيارة بنفسى وكأنه يرى فى سائقه رقيبا ينبغى أن يرافقنى الى كل مكان ٠٠ لماذا نظر اليك باستنكار لم يخف عنى عندما أبديت لى سرورك واعجابك منذ شهور حين بدأ شاربى ينبت ، لقد كشف يومها عن عواطفه نحوى بجلاء ٠٠ انه يكره أن يرانى رجلا ٠٠



لا يريد أن يكون فى المنزل رجل سواه ، هل هذه الأنانية من طباع الآباء وغيره كثير ٠٠ لا أجد وقتا ولا داعيا لسرده ، فقد اتخذت قرارى النهائى ٠

ــ على رسلك يا احمد ولا تكن مندفعا هكذا ٠٠ خدها منى نصيحة ٠٠ لاتحكم على أى شىء أو أى شخص قبل أن تتروى تماما ٠٠ ولو أنك ترويت فى نظرتك الى أوامر والدك لرأيت انه كان لــكل منها دافع يبرره بل يحتمه وكان الدافع الاول دائما هو مصلحتك انت قبل أى شىء فصحتك كانت أول شىء نظر اليه عندما نهاك عن التدخين خاصة حين قرأ ما يؤكده بعض العلماء عن تسببه فى مرض خطير ، وهو لايعتبر الرقص عيبــا ، ولكنه يود ألا يعطلك عن دراستك أى شىء ، ومبالغته فى المحافظة عــلى سلامتك هى التى تدفعه للتمسك بعدم السماح لك بقيادة السيارة ، ولا يدهشنى تنبهك لنظرة الاستنكار التى رشقنى بها يوم أبديت لك سرورى بشاربك الذى وصفته بأنه زاد وجهك جمالا فوق جمال ٠٠ فقد ورثت ذكاء أبيك ودقة ملاحظة أمك ، لقد فسر لى ذلك التصرف بعد خروجك ٠٠ قال انه من الأوفق أن أبدى اعجابى دائما بتفوقك فى الدراسة أو بذكائك حتى لا يركبك الغرور أو تجنح الى التخنث ، ولكنه مع ذلك التمس لى عذرا فقد كاد هو نفسه يصيح غبطة واعجابا ، حين لمح ذلك الشارب الوليد

كهلال اول الشهر الخفيف كأنه خط وهمى يتربع فوق شفتك على حد تعبيره ، أما ثورته الكبيرة على هفواتك الصغيرة فليس معناها انه يكرهك حتى ليتمنى لك الغلط كما تقول : ولكنها دليل على أن أعصابه مرهقة قليلا ٠ ٠وسببها انه يريد دائما ان يراك أحسن ٠

انه ـ وصدقنى ـ يحبك ٠٠ يحبك بعنف بل بجنون ٠٠ يحبك كما لو لم يحب أب ابنه قط ، لاحديث له معى حين ننفرد الا عنك ، ولا حياة له الا من أجلك ، ولا تفكير يشغله سوى مستقبلك ، ولا أمنية تداعب خياله أبعد من أن يراك رجلا ذا مركز عال ومكانة مرموقة ، ولا مهمة له يصورها أكثر من أن يحاول بكل ما يستطيع أن يمهد لك الطريق الذى يوصلك الى ذلك المركز وتلك المكانة ٠

وبجانب حفنة الحوادث التى ذكرتها .. يوجد أضعاف أضعافها يظهر لك مدى معزتك فى قلب والدك .. ولكنك لم تحس بها وهذا هو طبع عزت ، أو تلك هى عادته التى لاأدرى لها سببا ، فهناك مثل يقول : «اذا كرهت دارى .. واذا أحببت وارى» . أما هو فانه يظهر لك الشدة فى مواجهتك ويكاد يقبل خيالك حين تتوارى من امامه .. لقد فاتحته فى ذلك يوما ، فقال ان الخشونة هى التى تصنع الرجال .. انه يخشى أن يظهر لك حبه الزائد فيفسدك التدليل . انك لا يمكن أن تعرف كم سهر بجوارك وانت مريض .. ولا أن تتصور مبلغ قلقه قبيل ظهور نتائج امتحاناتك ، أو عندما تتأخر بالخارج ، حتى انه لايحس بقسوة الشمس أو بلسعة البرد ، وهو ينتظرك فى البلكون .. ولا أن تصدق انه كان يؤجل دائما شراء بعض مطالبه الشخصية من شهر الى شهر مفضلا عليها ملابسك أو كتبك ، أو حتى كمالياتك : لقد قدمت اليه يوما طبقا من الكريز ومعه تفاحة واحدة أرسلها أحد أقربائنا من لبنان ، التقط التفاحة أول ما أخذ وانا اعلم انه يحب التفاح جدا . فقلت له ضاحكة: «تصور انها الوحيدة التى تسلمناها .. اذ صادر رجال الحجر الزراعى الكمية كلها لاصابتها بآفة ما . وكانت هذه هى الوحيدة السليمة .. أو ربما لم يروها لاختفائها وسط الكريز وقبل أن أتم كلامى كان قد أنزل يده بها بعد ان كان قد رفعها الى فمه قائلا :

ـ اذن فلنبقها لأحمد ٠

ثم هناك أشياء أخرى لم يستطع أن يخفيها عنك ، ولكنى لا أدرى لماذا نسيتها ٠٠ أو لعلك تتناساها ، هل نسيت ذلك اليوم من العام الماضى حين ألقى بنفسه فى البحر خلفك بملابسه عندما لمحك تكاد تشرف

على الغرق وهو يعلم ـ وانت كذلك ـ انه لايحسن السباحة على الاطلاق حتى كاد أن يغرق لولا أن أنقذه أحد رجال الشاطىء ؟ ٠٠ وهل نسيت يوم خرج بعد منتصف الليل ليبحث لك عن دواء كان قد أوصى به الطبيب ولم يجد تاكسى فظل يطوف أحياء القاهرة على قدميه حتى وجده فعاد قبيل الفجر بقدمين متورمتين لم يستطع لأسبوع كامل أن يضعهما في حذاء ؟

ظللت فترة طويلة أذكره بعواطف والده ، وأسرد عليه ما خفى منها غير مبالية برأى عزت الذى ثبت أن التطرف فيه قد يعكس ما كان يظن ويتصور ٠٠ حتى صدق فيه من قال ان الشىء اذا زاد عن حده انقلب الى ضده ، ان الحب والرعاية بالنسبة لأى نفس كالماء للزرع ٠٠ الكثير منه قد يغرقه ويفسده ٠٠ ولكن الحرمان منه قد يذبله ويبليه ويذويه ، بل انني انتويت بيني وبين نفسى أن أفاتح عزت فى الامر حتى يفرج عن حبه وحنانه الزائدين لوحيده وكان احمد يستمع صامتا وقد بدأت ملامحه تلين شيئا فشيئا حتى رفع رأسه الى وقد بدأ على وجهه الدم وهو يضغط شفته بأسنانه كأنه يحاول أن يمنع دموعه عن التساقط ، ثم قال بصوت خافت كأنه يناجي نفسه وهو ينظر الى صورة والده تحت بنورة التواليت « سامحني يا أبى ٠٠ يا خير أب فى الدنيا ٠٠» ثم اتجه الى أخيرا وقد هدأ روعه ورفع كلتا يدى بين يديه الى فمه يقبلهما وهو يقول :

ـ لا أعرف ماذا كنت أفعل بدون أم حكيمة مثالية ٠٠ بل رائعة مثلك ؟ولا كيف أشكرك ياماما ٠٠ لقد أدركت الآن أية هاوية كنت منساقا اليها لولا أن أخذت أنت بيدى ورددتنى الى الطريق الصواب ٠٠ الطريق الطبيعى السوى الذى يوصلنى الى ما أرجوه لنفسى وما يرجوه لى كل من أبى الحبيب ٠٠ وأمى الغالية ٠

عندما كنت أعيد ملابسى من حيث رصصتها فى الحقيبة الى مكانها من دولابى ٠٠ كانت ابتسامة عريضة تتلاعب فوق شفتى ، وموضوع واحد يدور فى خاطرى ٠٠ كل ذلك الشكر الذى أغرقنى فيه احمد ، لم يكن له داع على الاطلاق ٠٠ بل ربما كان هو الأحق بشكرى العميق ٠٠ فهو أيضا رد الى عقلى واعادنى الى الطريق السليم ونبهنى ـ دون أن يدرى أو يتعمد ـ الى الحقيقة التى كنت نسيتها ٠٠ أو كاد عنادى أن يفلح فى جعلى أتناساها تلك الحقيقة التى تؤكد أن عزت ليس خير الآباء فحسب ولكنه خير الأزواج وأفضلهم أيضا ، وما سوء التفاهم الذى حدث بيننا

في الصباح والذى جعلنى أنسى كل شيء عدا سوابق له تكررت خلال هذا الشهر ، أخذت فى وضعها الواحدة بجوار الاخرى حتى تجمع لدى منها فى النهاية عقد طويل ٠٠ وان كان عقدا رخيصا زائفا ٠٠ وضعته حول عنقى لأراه طيلة ثورتى وجمعى لملابسى فى تصميمى على ترك عزت ٠٠ ملقية من خلف ظهرى عقدا آخر ثمينا نادرا ٠٠ نظم من حبات القلب ٠٠ قلب عزت الذى أدرك جيدا مدى حبه لى ، وتعلقه بى ، وحرصه على واهتمامه بأمورى ما سوء التفاهم ذاك سوى شيء عادى جدا يحدث فى كل بيت ٠

وليس ملل عزت لى هو الذى أصبح يشحن صوته بتلك الحدة والنرفزة ، ولكنه عمله المرهق الذى يعتمد أساسا وكلية على الأعصاب ، والذى يقتضى منى بالتالى أن أهيىء له الجو الهادىء المريح الذى كنت أوفره له قبل أن يركب خيالى شيطان الأوهام ، حتى لقد كاد يجعلنى أرتكب حماقة لم أقدم عليها فيما مضى من عمرى ٠٠ وقد أندم عليها ما بقى لى من ذلك العمر فاترك بيتى وانا أعلم جيدا رأى عزت فيمن تترك بيتها والتصرف الذى يجب أن يرد به عليها زوجها ٠٠ ذلك الرأى الذى كنت أنا نفسى أؤيده بكل شدة وحماس ٠

وبسبب ابنى العزيز كانت جولتى التى اصطحبته فيها معى خلال الأحداث والأيام الماضية ٠٠ تلك الجولة التى رأيت فيها المشاعر الحقيقية والعواطف الصحيحة ، والتى رجعت منها والثقة تحت ابطى والأمل يملأ قلبى ، لأجله هو كانت نصيحتى بالتروى وعدم الاندفاع وهى النصيحة التى اتبعتها أنا أيضا واستفدت منها ٠٠ فمن منا المدين بالشكر للآخر اذن ؟ ٠

لم أكد انتهى من ترتيب حاجياتى حتى سمعت صوت سيارتنا فأسرعت أقفز السلم لأفتح لعزت ولكنى وجدت احمد قد سبقنى الى الباب ، وتلاقت نظراتنا فى ابتسامتين ٠٠ كانت ابتسامته اللامعة تعبر عن راحة النفس والسعادة و ٠٠ والامتنان لى ، وكانت ابتسامتى الهادئة تقول له ٠٠ خالصين يا احمد ٠

حَدَثَ فِي غرْبَةِ الوَرْدِ



ترك كل شخص عمله وأخذ الجميع ينظرون بدهشة وفضول الى ذلك الشيء الضخم الذى فوجئوا به يسير أمام منطقتهم وأسرع بعض الصبية ينادون العدد القليل من النساء اللاتى كن بداخل العشش ليتفرجن بدورهن على هذا الشيء قبل أن يمر من أمامهم ، ولكن هذه القلعة الكبيرة المتحركة لم تمر وانما توقفت بمحاذاتهم ، ثم استدارت قليلا وبدأت تدخل أرضهم ٠

وتحول الفضول الى ذهول ، وعثمان مازال يتابع شرحه بلهجة الواثق تماما مما يقول ٠٠ كان يؤكد لهم أن هذا هو الطبق الطائر بعينه ، ولم يضايقه أن أحدا من السامعين لم يكن قد سمع عن الطبق الطائر قط. فكلهم أميون تماما ، وهو الوحيد المتعلم أو العشر متعلم فيهم ، كما انه كان الوحيد الذى يذهب الى السينما مرة فى كل عدة شهور وكان قد ذهب قبلها بأسابيع الى سينما سمارة ليشاهد فيلما عن عودة طاقية الاخفاء فاذا بفيلم أمريكى يسبقه وأراد أن يبرهن لنفسه على أنه أكثر حداقة من صاحب السينما الذى أعد له ذلك المقلب فرفض أن يشربه و ٠٠ نام ، ثم استيقظ بعد قليل ليجد ضربا و «مولد» على حد قوله فسأل جاره عما اذا كان الفيلم الافرنجى قد انتهى فرد بالنفى وهو يشير أمامه ألا ترى الرجال القادمين من المريخ يخرجون من طبقهم الطائر ؟ وفغر عثمان فمه لحظات ، ثم عـاد يسأل السؤال تلو السؤال غير مبـــال بضيق الجار ٠٠ وعندما عاد الى جيرانه ليلتها قص عليهم القصة من أولها ولكن هاهم الآن لايذكرون شيئا مما قال الا أنه لم ييأس بل وجدها فرصة يحكى فيها ويعيد ، حتى تذكروا أخيرا تلك القصة التى لم يكن لها أهمية كبرى وقتها ٠٠ ولكن معرفتهم لذلك الشيء الضخم الذى يقترب منهم لم يزل دهشتهم ، بل على العكس زادها فمن أين علم أهل المريخ بمكانهم ؟ ٠٠ ذلك المكان الذى نسيه الجميع على الارض ٠

أجل كانت منطقتهم منطقة منسية ٠٠ نسيتها البـــلدية فلم تربط عليها عوائد ونسيتها الداخلية فلم تعين لها حرسا ، ونسيتها الأشغال فلم تزود سكانها بالماء والنور ، ونسيها أصحاب شركات الاوتوبيس فلم يمدوا اليها خطوطهم ، ونسيها التمدن فلا تكاد تلمح فيها شيئا تم اختراعه خلال القرون الخمسة الأخيرة عدا شيء واحد حتى نكون قد تحرينـــــا الدقة الكاملة ــ وهو ميزان كبير ــ بل حتى صاحبها كان قد نسيها٠٠ حتى حضر الى القاهرة بعد غياب طال سنوات في السودان حيث يتـــاجر في اللب والسوداني وباقي المحمصات التي تمون رواد دور السينما ٠ فذهب ليراها وفوجيء بالعشش والأكواخ تغطي سطحها ، فما أسرع ما اتخذ الاجراءات التي رآها كفيلة بحفظ حقه وبعد مفاوضات وافق على تأجير الأرض لشخص واحد يتولى هو تأجيرها لبلدياته حسب ما يشاء،وقد رأى في تلك الفكرة بابا جديدا للايراد ٠٠ ولكنه صدم عندما لم يعرض فيهـــا المزايد سوى ثلاثة جنيهات شهريا ومن ثم عدل عن فكرة تعيين وكيل عنه وأعطى لمن رست عليه المزايدة عنوانه في الخرطوم بعد أن أقنع نفسه بأن أي شيء خير من لاشيء ، خاصة وهو لم يكن ينتوي بناءها اذ من مبادئه أن استثمار المال في التجارة أكثر فائدة منه في العقارات ، كما لم يرغب في بيعها فقد رأى بثاقب بصره وسابق خبرته أن العمران سيمتد ان عاجلا أو آجلا اليها فيرتفع ثمنها وحينئذ يبيعها مجزأة ٠

رست تلك المزايدة على عمر وكان ذلك عدلا ، فقد كان هو أول من اكتشف تلك الارض فأقام عليها وهو لم يكتشفها حسب خرط واستنتاجات علمية كما فعل سلفه كريستوفر كولومبس ، ولكن الصدفة البحتة كانت هي التي ساقته الى هناك٠٠ ليست الصدفة بالضبط بل عصا عسكري كان معينا لحفظ النظام في احدى المناطق فظن أن ذلك الحفظ لايكون الابتعقب الباعة الجائلين وايذائهم ،وفي يوم شاهد عمر يجر عربة شايه أو قهوته المتنقلة رغم تحذيره له أكثر من مرة فأسرع وراءه واخذ عمر في وجهه عدوا حتى جاوز العمران الى منطقة مهجورة خاليـــة ، بل وحتى بعـــد ان تخلف العسكري عن متابعته فمن يدريه أنه لايحاوره؟ وأخيرا تعب فجلس ليستريح بجوار عمارة جديدة يجري البناء فيها ، وتقف وحدها في تلك المنطقـــة المنعزلة وفرح عمال البناء بتلك اللقطة التي هبطت عليهم من السماء فأقبلوا عليه يعدلون أمزجتهم ، وعندما أحصى عمر ما جمعه بعد انصراف العمال عند الغروب وجد انه لم يكسب في أي يوم طوال حياته مثل ذلك اليوم ، ومن ثم وضع عربته في أرض فضاء قريبة من العمارة الجديدة ونام تحتها ٠

واستمر الرخاء أياما أقبل بعدها البرد ، ويوما خطر لعمر أن يبني

عشة صغيرة تأويه من الخشب والصفيح القديم أسهل له من الذهاب الى حجرته كل مساء والعودة صباحا ، وشيئا فشيئا كبرت العشة وأصبح بناؤها أمتن ، فنقل اليها زوجه واولاده ، وعندما علم بلدياته بمكانه أقبلوا عليه واحدا وراء الآخر ، فليس أسهل من بناء عشة من الطين والطوب النيء ٠

وكان أحد هؤلاء البلديات يجمع الخرق والورق والزجاج المكسر ٠٠ ويبدو أن تلك المنطقة كانت مسعدة للجميع فقد كانت البقايا بها كثيرة ٠٠ تنتظر من يجمعها وله منها الشكر ومن الله الثواب وذلك لوجود عدد من المصانع التى تلقى بمخلفاتها خارجا بها ، خاصة مصنع تعبئة الكوكاكولا الذى كانت تنبت حواليه يوميا تلال من الزجاج المكسور ، ولذلك أصبحت تلك المهنة هي مهنة الغالبية من سكان تلك المنطقة ٠٠ حتى عمر نفسه ، بعد أن انتهى بناء العمارة وتفرق العمال ولم يعد يشرب شايه سواه وزوجته وأولاده ، فضل أن يهجر مهنته عن أن يهجر عزبة الورد ٠٠ كما أسماها ٠

وقد سأله أحد أصدقائه يوما عن سر تلك التسمية مع انه لايرى فى المنطقة بأجمعها وردة واحدة ٠٠ طبيعية كانت أو صناعية ، واذا سمعت رده يومئذ بأن السبب هو أن قاطنيها ٠٠ شباب كالورد لقفز الى ذهنك



فورا المثل الذى يحكي عن خنفساء رأت أولادها على الحائط فقالت انهم كاللؤلؤ المنظوم فى الخيط ، علما بأن جميع السكان كانوا فى صحة يرثى لها من سوء التغذية ومن السعال الذى يسكن صدور أغلبهم ، اذ على الرغم من تسرب الهواء القارس الى عششهم غير المحكمة ، فقد كانت ملابسهم وأغطيتهم فى غاية الرقة ٠٠ كما امتص الشاى الأسود نصف دمهم الا أنهم برغم كل هذا كانوا راضين ، لايسكن لهم صوت ابدا ٠٠ دائما صاخبين وان كان صخبهم بعضه ضحك وبعضه غناء ، وأغلبه شجار ولكن على أى شىء كانوا يتشاجرون ، وليس بين بعضهم البعض بيت ملك أو جاموسة شرك على ما يقولون ٠٠ لا أحد يدرى ٠

بل حتى من كان يسمعهم لم يكن فى وسعه أن يفهم شيئا من تلك الرطانة الصعيدية العسيرة اذ كان أغلبهم صعايدة ٠٠ كلهم تقريبا عدا أم عطية الغسالة وزوجها عم محمد بائع الفجل والنعناع ، وربما كان هذا الاختلاف فى المهنة والموطن هو السبب فى أن أغلب الخناقات كانت بين أم عطية طرف أول وباقى الجارات جميعا طرف ثان ، وبرغم ذلك كانت المعركة متكافئة فلسان أم عطية كان أطول من جميع حبال الغسيل لدى كل الشقق التى كانت تغسل بها فيما لو وصلت بعضها ببعض ، وكان كل طرف منهما يتفنن فى التهكم على عمل الآخر والتحقير منه فبينما ترجو أم عطية احدى جاراتها أن تعطيها بعضا من الحناء التى تتخلف عن أيدى زوجها يوميا بعد عودته من التنقيب فى أكوام الزبالة والقاذورات ، ترد عليها زوجة عمر بأنها لو صفعتها قلما فستخرج من فيها حفنة كبيرة من الارز تطير كل حبة منها فى اتجاه مخالف للأخرى ٠٠ اتجاه تحفظ الطريق اليه جيدا اذ منه جاءت ٠

ولم يكن وقوف مريم وزوجها حنين دائما على الحياد فى تلك المعارك لعلة فى لسانيهما لاسمح الله ولكن لان مريم كانت تغسل فى المنازل أيضا بينما لم يكن زوجها ليستطيع أن ينسى امتهانه لجمع المخلفات أعواما طويلة طويلة برغم أن الله قد فتح عليه الآن فمرض بالربو كما يقول٠٠أو بالسل كما يتهامس جيرانه فيما بينهم — المهم أن الضمان الاجتماعى لم يضل الطريق اليه فخصص مبلغا شهريا ليتعيش منه غير العدد من الحقن التى لم يكن فى استطاعته القاؤها فى البئر ، كما كان يفعل بالاقراص التى كانت تعطى له ٠٠ اذ كانت ممرضة شابة تأتى لتعطيها له بنفسها ، والحق أن بعد مريم وحنين عن المهاترات سمح لهما ان يقضيا وقتهما فى عمل آخر أو فى فتح الجبهة الثالثة على حد تهكم بعض الحاسدين اذ كان صنع الطيارات الورق وبيعها يدر عليهما ربحا لا بأس به ٠٠ ربحا صافيا لا تخصم منه

أجور أيد عاملة اذ كلهم أولاده ولا مواد خام اذ الورق والأسلاك كان يجمعهما نفس هؤلاء الأولاد والجريد يستلقطونه من أى بائع فراخ أوطماطم جبرت بضاعته ، والألوان يكفى جدا قشر البصل واللفت حتى الصمغ لم يكن حنين يدفع فيه مليما ويبدو أن جيرته للمركز القومى للبحوث قد أصابته بالعدوى من بعض علمائه فأصبح هو الآخر كيماويا صغيرا يستخرج الصمغ من فتات الخبز القديم التى كانت تعافه نفوس أولاده من بين ما تأتى به أمهم من منازل زبائنها باذابته فى قليل من الماء فوق نار الكانون الهادئة ، على أن دخله برغم كل تلك المواد كان لا يكاد يكفيه ، فأولاده كثيرون ومعداتهم تطحن الزلط ٠

أما الذى كان يحسده من جيرانه فعلا فهو عمر الذى أصبح يمثل الجانب الرأسمالى فى ذلك المجتمع البدائى ، اذ كان يربح من تأجيره للأرض بالقطعة مبلغا لا بأس به ، وبدون أن يقرأ عن فوائد الادخار التى ينشرها صندوق التوفير فى الاسابيع المخصصة لذلك كان يجمع القرش فوق القرش حتى يشترى عرقين من الخشب وعددا من الصفائح القديمة ليبنى بالكل أخيرا عشة جديدة يؤجرها ، والسكان يزيدون ، وعمر يجمع حتى أتى عليه يوم اشترى فيه فرسا ٠٠ فزادت هيبته بعدها فى نفوس الكل حتى عقدت له زعامة المنطقة ، فقد كان معنى شراء الفرس أن عمر سينقلب من مجرد جامع المخلفات الى تاجر قد الدنيا اذ يستطيع الفرس أن يجر عربة تحمل عشرة أضعاف ما يستطيع جره انسان ، ومن ثم زاد ما يستطيع جمعه كما أصبح فى مقدوره أن يشترى كل ما يجمعه جيرانه فرادى ليذهب به بعربته ذات الفرس اياه الى تاجر الجملة وهو أولى بالعمولة من التاجر الغريب هذا عدا انه صاحب الملك الذى يتملقه الكل أول الشهر حتى يصبر عليهم قليلا ٠

وكان انعكاس هذا الثراء وذلك المركز الاجتماعى مختلفا فى نفوس أفراد أسرته فبالنسبة لعمر نفسه لم يتغير فيه شىء أكثر من انه أصبح يتشدق دائما بألفاظ كبيرة جوفاء لامعنى لها أو قد يجوز أن يكون لها معنى فى أى مجال عدا المجال الذى يلوكها فيه اما عن زوجته فلم تحاول قط أن تدخل أى تحسين على ملبسها أو مأكلها أو مأكل الأسرة واكتفت بتدخين السجاير مثل زوجها أمام الجارات كبرهان على أنها أصبحت شيئا آخر غيرهن ، أما الأولاد فقد كانوا أصغر من أن يدركوا أن هناك شيئا قد تغير والتغيير الكبير حقا كان بالنسبة لابنته الكبرى (صباح) وان كان تغييرا الى أسوأ ٠٠ فقد ادركت أنها لم تعد مضطرة لان تكون رقيقة الطبع مع الجيران أو حلوة اللفظ مع الجارات اللاتى لهن أولاد فى سن الزواج ،

ليس لسواد عينيها ولو أنها كانت فعلا أجمل فتاة فى العزبة حتى لتبدو كزهرة برية سمراء ولكن لمركز والدها الذى جعل منها مطمعا لكل شاب ومبعث غيرة وحسد لكل امرأة أو فتاة ومن ثم ساقت دلالها على الكل ·· وشيئا فشيئا زاد الدلال حتى أصبح قحة ، وتطورت الصراحة فأمست سلاطة لسان ، ولكنها رغم ذلك سلاطة محبوبة مرغوبة تجد من يغنى لها على الناى كل مساء ·

ولم يستطع عمر أن يمنع عثمان من الغناء على نغمات الناى فهو لم يكن يملك الدليل على أن ذلك الغنـاء موجه لصباح ، وكل ما فى الأمر اشاعات ·· وهمسات ·· وأخيرا وجد الأسهل من ذلك أن يوافق عـلى زواجه من ابنته، ووافقت صباح أيضا وهى مفتونة بحكايات عثمان ونكاته وغنائه ·· وهـــكذا بلعت باقى الجارات المتزوجات ريقهن واطمأنن على أزواجهن وعادت الآمال تداعب قلوب العذارى فى خطاب آخرين ·

أيامها عاشت عزبة الورد احلى لياليها فى الفرح الذى استمر حوالى ثلاثة أسابيع منذ يوم الخطبة حتى ليلة الدخلة ومابينهما من شبكة وحنة وكتاب ، ففى كل عصر كانت الساحة التى تتوسط العشش تكنس ثم ترش بالماء ليتجمع بها النسوة والفتيات حول واحدة منهن تدق الطبلة وطفلة صغيرة ترقص على بعض الاغانى الصعيدية الشجية التى تقطعها الزغاريد بين الحين والحين حتى ينبههن الظلام المقترب من انتهاء دورهن فيخلين مكانهن لترص فيه الكراسى المؤجرة حول وهج الكلوب الساطع الذى يبدد لاول مرة ظلام العزبة خلال الليل وتبدا السهرة .. عزف على المزمار بصحبة تصفيق بالايدى وجار يستخفه الطرب فيمتشق عصـاه ويرقص بها .. ويزيد الحاضرون فيعزف المزمار مع الدف نغما آخر يفقر عليه بعض الحاضرين فى حركة واحدة تبدأ بطيئة ثم تسرع رويدا رويدا حتى لتكاد أخيرا جذوعهم ان تنخلع وهم يرددون لفظ الجلالة فى سرعة تتناسب مع حركتهم وبين الوصـلة والوصلة يستريحون قليـلا حيث تمر عليهم أكواب الشاى أو الشربات ثم تنتهى الليلة بالفقرة الدسمة ·· منشـد تصحبه بطانتـه يرددون بعض التواشيح ، فرح عظيم لم تر العزبة له مثيلا .. كما أكد البعض .

ولم يستخسر عمر ذلك العديد من الجنيهات الذى أنفقه ، وهل بخل من قبل فى الجهاز ؟ اطلاقا .. فلاول مـرة ينتصب فى احـدى تلك العشش سرير ذو ملة وعمدان أربعة سود ، ودولاب من الخشب تزين واجهته مرآة ويحوى من الفساتين ما قد صنع من القطيفة والساتان ··

حتى لقد اصبح ذلك الجهاز — ولعدة شهور — محلا للفرجة يأتى المعارف لمشاهدته من أبعد الانحاء .

وتمضى الحياة بالكل فى روتينها العادى .. فى الصباح يخرج الرجال جارين العربات أو حاملين المقاطف ويتبعهم الأولاد الصغار وفى ايديهم بعض الكرات الشراب أو العرائس الطين او كسر الخبز ، ثم لاتمضى ساعة حتى تكون كل امراة قد انتهت من عمل منزلها وطهى طعامها ولا شك ان كل ربة بيت بالمدينة لتحسد تلك الزوجات على بيوتهن التى لاتزيد على غرفة واحدة أرضها هى نفس اديم الارض بحيث لايستغرق كنسها بسباطة نخلة أكثر من دقائق ثم يخرجن جميعا الى الساحة وكل منهن تحمل طفلها ولايمكن أن تبدو واحدة منهن دقيقة لا تحمل فوق كتفها تلك البضاعة البشرية والا لكان ذلك اول موضوع يبسط للحديث لتقديم النصائح للأم الغافلة التى شب ولدها عن الطوق وهى لم تلد بعد ..

ثم تتوالى الدردشة وتحمى حتى تسمع أصوات خناقهن على مسافة بعيدة ..

وتهدأ الضجة قليلا لتعود على أشدها قبل الغروب والرجال والصبيان والبنات يزحفون نحو جحورهم كالنحل ويفتح كل عائد جعبته ويدور الفرز بين الورق والصفيح والخرق والزجاج ، بل ان الاخير يفرز الى عدة أنواع فالزجاج الأبيض غير المائل خفيفا الى الخضرة .. غير الاحمر والقطع الكبيرة غير الصغيرة التى تسقط من الغرابيل عند غربلتها .. ولكل نوع منها قيمته وثمنه . ومن يراهم وهم يفرزون الزجاج ثم يجمعونه بحفنتى يديهم ليعبئوه فى الاجولة الكبيرة لوزنه لايسعه الا أن يعجب لتلك المناعة الطبيعية التى لجلود أيديهم السميكة حتى لاتؤثر فيها قطع الزجاج ثم لايسعه الا أن يدهش مرة اخرى لجزء صغير من القاهرة يلفظ كل تلك النفايات فى يوم واحد ..

وامام الميزان يقف عثمان ليسجل فى ورقة معه ماقدمه كل جار من جيرانه ..

وتسكت الاصوات مرة اخرى حين يتوارى الجميع داخل عششهم ليأكلوا او يغتسلوا وبعد أن ينام الاطفال يخرج الرجال والنساء الى الساحة مرة اخرى — يحمل كل منهم فى يده كوبا من الشاى يسمرون

حوله حتى يناديهم سلطان النوم الذى يفرض السكون العميق على العزبة بأكملها الى طلوع الشمس .

حتى كان ذلك الصباح الذى حمل اليهم مع اول نسماته ذلك الكائن الغريب الذى اجترأ على حرمة ارضهم وجعل الجميع يتساءلون عن النبأ العظيم واذا بالقلعة تتوقف وينزل منها انسان ما أن رأوه بمنخاره الطويل الحاد وعيونه التى تشبه كل منها فى لونها وحجمها حبة الطماطم الكبيرة - حتى آمنوا جميعا برواية عثمان وانكمش الكل ورجل المريخ يقترب منهم حتى فوجئوا به يحدثهم بلغة مثل لغتهم وليس برطانة أعجمية كما اخبرهم عثمان من قبل .. قال القادم :

- أرجوكم اخلاء كل هذه العشش فى ظرف ساعة واحدة فان لدى أمرا بهدمها جميعا ، ودهش الجميع .. وارتفع اكثر من صـــوت .. وما شأن اهل المريخ بعششنا « اذا كانوا يريدون ان يجعلوا منها مطارا لاطباقهم » فلماذا لم يقع اختيارهم على ارض اخرى فضاء ؟ وقال القادم بضجر :

- عن أى اطباق تتحدثون ؟ اننى تابع لوزارة الاشغال وليس لوزارة المريخ .

وعادت الصيحات ، انه يتكلم مثلنا « هل انت آدمى ؟ » وغضب القادم :

- اذن ماذا تظنون .. جن احمر .. هذه النظارة التى أرعبتكم من مستلزمات زى العاملين على مثل هـذا الجـرار الضخم .. اذ يثير من الغبار ما يكفى لان يعمى عين الشمس نفسها .

بعد ان خلع نظارته أصبح شكله قريبا من الآدميين فعلا .. صحيح ان له انفا شاذا ولكن هذه خلقة ربنا .. وخلقته شريفة . بدأت النساء وبعض الرجـال يتوسلون اليـه ان يرحمهم ويرحم أولادهم ، فالى اين يذهبون بهم والشقق نار كما لابد انه يعـرف ، ولكنه لم يلن قط .. بل راح يؤكد لهم ان هذا شيء ليس فى يده بالمرة وأخذت العزة بعض الشبان فأزاحوا النساء جانبا واعلنوا تحديهم له ولمن حمله ذلك الامر .. ولم يجادل السائق بل وضع نظارته فوق عينيه وارتقى فى خفة متن جراره واتجه به ناحية عشة كان قد لمح انها خالية وماكانت كذلك الا لانها كانت خاصة باقامة فرس عمر الذى كان قد غادرها الى عربتـه اسـتعدادا للتحرك . وفى ثوان كان الجرار قد ابتلع العشة بين شدقيه وكأنها قطعة

صغيرة من اللبن عثر عليها طفل شره٠٠ثم حمل ترابها على مقدمته الضخمة ومضى به الى منخفض قريب ذهابا وايابا ليسوى به الأرض ٠

وعقد الرجال مؤتمرا سريعا قرروا فيه أمرا٠٠وفجأة صاح عمر : أين الشاى ؟ ٠ انكم بدونى لاتفلحون فى شىء قط ٠٠ هل يمكن أن تدور مثل هذه المفاوضات الا حول صينية من الشاى ؟ وما أسرع ما أعد الشاى ولبس عثمان جلبابا أبيض ناصعا وجوربا وحذاء لم يرتد مثلهم قط منذ زواجه وحمل صينية الشاى ومضى بها متبخترا ، ولمحته صباح فهمت بأخذ كوب ولكنه زجرها لأول مرة فى حياته بل لقد كاد يضربها ٠٠ ان الشاى للبك مندوب البلدية ذلك الذى كان يقف مع أفندى آخر يمعن فى توبيخه غير مستمع الى اعتذاراته ، انك أغبى من رأيت فى حيـــاتى ، ما شأنك انت وانذار الناس ؟ هل هذا عملنا ؟ سيأتى غدا بعض عساكر البوليس لانذارهم كل الأمر الذى أعطيته لكم كان تسوية تلك الناحية الحالية ٠٠ وانصرف الافندى قبل أن يحضر عمر ومن خلفه بعض سكانه ثم عثمان يتبع الجميع ٠٠ قال عمر :

ـ أحب أن تعرف أولا اننى لا أظهر أبدا الا فى المسائل الكبرى ٠٠ فحين يجد الجد تجدنى أحضر على جناح الطائر الميمون ٠٠ والذين من قبلنا قالوا : لسانك حصانك ان صنته صانك وان أهنته هانك ،ومعذلك فالمؤمن دائما مصاب ولكن الحق فوق القوة والوقت كالسيف ان لم تقطعه يقطعك ٠٠ صل على النبى ٠٠ انت كنت تستحق اليوم مأدبة كبرى ولكن عششنا كلها ليست مناسبة للمقام٠٠واذا عزمت فتوكل على الله فعزومتك محفوظة ٠٠ اكتتب الجميع بثمنها ليقدموا شيئا صغيرا لحضرة البك ٠٠

ولم يكن السائق بملق باله الى أية كلمة من تهاريف عمر فقد كان ذهنه كله متأثرا من ذلك التوبيخ الذى شربه على الريق ولكنه انتبه فجأة على شىء يتلوى فى يده لم تكن حية ولا عقربة بل ورقة من ذات الخمسة جنيهات ٠٠ اقتطع كل رجل جزءا من قوته وقوت أولاده ليسهم فيها وفى الحال تبخر التأثر والألم من نفسه كما يتبخر الزئبق ٠٠ واكتسب الشاى فجأة نكهة لذيذة واحلو المجلس عموما وهو يحـــاول ان يتمنع وعمر والرجال من حوله يقسمون ٠

مضى نصف النهار وانتهى عامل الجرار من تسوية الأرض التى أمر بها ، وحيا الرجال واستأذن ومضى بقلعته الضخمة وهم يلوحون له بحرارة ولم يسرح عمر فى ذلك اليوم بل كرس كل جهوده لاعادة بناء عشة الفرس الا انه حتى الغروب لم يكن قد سقفها فنقل فراشه اليها ونام فيهـا مع

زوجه وأولاده وانزل الفرس فى عشته ، فلو أن أحدا من أولاده ٠٠ أو حتى هو نفســه أصيب بالبرد فلن تقــوم القيامة ولكنها ســتقوم وأكثر لو توعك الفرس الذى يقع على أكتافه أو على ظهره بمعنى أصح أغلب عبء اعالة الأسرة .

وفى اليوم التالى أقبل اليهم محضر يحف به بعض رجال البوليس لينذرهم باخلاء عششهم فى ظرف ثلاثة أيام بأمر البلدية والا فان الجرار سيأتى الى منطقتهم فى اليوم الرابع لهدمها وتسويتها ودق الجميع كفوفهم لجرأة المهندس كما لقب السائق نفسه لهم ــ وأخذوا يقلبون الأمر على كل وجوهه حتى تبين لهم أن لافائدة من الرجاء أو العنف فأخرج الرجال عزالهم الذى كان أغلبه مخلفات لا يدرى أحد كيف نسوها وهم يجمعون الــكهن فى حين كانت النساء تبكين وتولولن كأن كلا منهن تودع عزيزا لديها٠٠ ولكنهم لم ينصرفوا بل بقوا جميعا حتى اليوم الموعود برجالهم ونسائهم واطفالهم وكل يتوعد ذلك المهندس بشىء فى نفسه، احدهم يصر على أن يضربه وآخر سيكتفى بتهزيئه واظهار نذالته وعدم بره بوعده وجبنه حتى ليختفى وراء عساكر البوليس ولا يحضر الا بعد أن يخرجوهم بربطتهم وثالث لا يعنيه أكثر من استرداد المبلغ منه ٠٠ فكل واحد من الســكان بحاجة الآن الى كل مليم مما أسهم به ليدفع ايجار الغرفة الجديدة حتى بعض الصبية جمعوا فيما بينهم كمية كبيرة من الحصى وقبعوا ينتظرون ٠

وأخيرا سمع المرهفون آذانهم ذلك الصوت المعهود يبدد هدوء المنطقة ووراءه بدت القلعة المتحركة تتهادى حتى دخلت أرضهم وفوقها مهندسها الحسيس بنظارته الحمــراء الضــخمة وصاح فيهم من عليــائه : هل كل العشش خالية ؟

وجاءه الرد شتائم من كل فم واضطر أن ينزل ليتبين جلية الأمر واقترب منهم وهو يخلع نظارته فكاد الرجال يصعقون ٠٠ انه ليس هــو بل شخص آخر يرتدى نفس ملابسه ونظارته ورد على تساؤلهم بأن للجرار أكثر من سائق له نوباتجية وسألوه عن زميله ووصفوه له فأخبرهم بأنه يعمل الآن فى الجبل فى آخر العباســية وانه هو الموكل بهــدم كل تلك المنطقة وحده وعاد يسألهم بصبر نافذ عما اذا كانوا قد أخلوا العشش فوراءه مهمة شاقة ٠٠ ولم يستطع احد أن يرد بكلمة واحدة حتى عمر الجعجاع نفسه ٠٠ اكتفى بأن هز له رأسه علامة الموافقة ٠

مضت لحظات قبل أن يجد عمر صوته ليصيح فى الواقفين المذهولين:

ــ ماذا تنتظرون ٠٠ ؟ هيا ٠٠ فليذهب كل منكم ليؤدى عمله ٠

وانطلق الجرار بين العشش ٠٠ مؤديا هو الآخر عمله ٠


دُعَاءُ



ــ وابو العز كمان ٠ والمهدى ٠٠٠ اترقوا النهاردة بقوا مفتشين ٠٠

ــ امال اشمعنى انت ٠٠؟

ــ بخت ٠٠

ــ بخت دا ايه ٠٠ ؟ مش معقول ٠ لازم دول بقالهم زمان ٠٠

ــ ايوه هم صحيح أقدم منى بكتير لكن والله فيه كمسارية اشتغلوا معاى وبرضه دلوقت بقوا مفتشين ٠

ــ ربنا وياك ٠

ــ أيوه ٠٠انتى اللى عليكى انك تدعيلى ، قوليلى ٠٠ النتيجة بتاعت محمد طلعت والا لسه ؟

ــ بيقولوا بكره ٠

وظهرت النتيجة فى اليوم التالى فعلا ، وكان سعودى فى الاتوبيس يؤدى عمله عندما اخترق اذنيه النداء التقليدى ٠٠ « نمر التلامذة » نمر ٠٠ الابتدائية ، ملحق النمر ٠

وبيد مرتعشة أخذ يبحث عن نمرة ابنه وغزت الفرحة قلبه حين رأى الأرقام الاربعة التى يحفظها تماما ٠٠ منقوشة أمامه ، ولكن فجأة خنق الفرحة صوت قاس :

ــ المنافستو ياريس ٠٠ انت سايب العربية وبتقرأ الجرنال ٠٠ ؟

ــ اصلى باشوف نتيجة ابنى ٠

ــ ابنك مش حينفعك ٠ ٠شوف شغلك ٠٠ انا شايف ركاب كتير لسه ما قطعوش ٠

وأخذ سعودى يحدث نفسه امتى بقى ابقى مفتش انا كمـان ٠٠؟ توب على بقى يا رب من امارة المفتشين ٠

وقطع عليه أفكاره صوت نسائى يقول :

ـ النكلة يا كمسارى ٠٠

وعادت أفكاره تستطرد ٠٠ ومن دوشة الركاب ٠

وقالت سيدة أخرى للأولى بصوت مسموع :

عامل نفسه مش سامع !

ـ سامع يا ست ٠٠ بس مافيش فكة ٠٠

ـ تمام ٠٠ ماهو الكمسارى اللى معاه باقى القرش ٠٠ لسـه ما تخلقش ٠٠

وكان واضحا انها تتهكم عليه ، ولـكنه لم يرد عليها بأكثر من كلمة « يارب » بصوت عال ، ثم يكرر لنفسه أمنيته العزيزة ٠

كان كل يوم يمر يزيد تلك الامنية رسوخا فى نفسه ، كل طغيان من مفتش وكل احتكاك مع راكب ـ وما اكثر ذلك الاحتكاك ـ كان علاجه عنده شيئا واحدا « يارب اترقى مفتش واخلص من دا كله » ٠

وأغلب مشاكله مع الركاب كان مصدرها النكلة اللعينة ٠٠ وما أكثر ما كان يلف على باعة اللب والترمس ليحصل منهم على ملاليم ٠٠

ولكنها سرعان ما كانت تذوب فى أول النهـار ليتكرر المشـهد المعهود :

ـ النكلة ياكمسارى ٠

ـ ما فيش فكة ٠٠

ويتظرف واحد من الجالسين ٠

ـ سمعتم آخر نكتة ٠٠ واحد كمسـارى راح للدكتور وبعدين بيسأله آكل ايه يادكتور ٠٠ ؟ فقال له : كل كل حاجة ما عدا النكلة ٠٠

ويضحك الجالسون جميعا ويتنهد هو ٠٠ ان المفتشين لا يتعرضون لهذه السخرية ٠

وظن أنه ارتاح عندما بدأ الكمسارية يعطون البـاقى للركاب علب كبريت ولكن ظرف الناس وخفة دمهم زادت عندئذ بصورة مزعجة ،راكب يرفض أن يدفع ثمن تذكرة ٠٠



ـ أنا أصلى مش عايز اركب ٠٠ أنا طالع بس علشان اشترى كبريت ٠

وآخر رفض ان يأخذ الكبريت مدعيا انه اصبح فى منزله مئات من العلب فيتقدم اليه راكب ثالث بنصيحة :

ـ اعمل زيى ٠٠ أنا كنت فاتح دكان خضار ٠٠ وبعدين لما لقيت عندى كبريت كتير ٠٠ لأنى باركب كل يوم ، قلبت الدكان وخليتها لبيع الكبريت ويقول غيره :

ـ اهى التجارة دى مش ممكن حاتمشى،مين حايشترى منك كبريت والناس كلها مستكفية من الكمسارية ٠

ويسأله راكب سمج :

ـ أظن بتكسب من الكبريت قد يوميتك ٠٠ انت بتبيع كام قاروصة فى اليوم ؟

ولا يرد سعودى فيستطرد الراكب :

ـ ويا ترى بتمسك دفاتر عشان مصلحة الضرايب تقدر تحاسبك والا لأ ٠٠ ؟

ويتدخل راكب ثان :

– يا أخى سيبهم يتكسبوا ·· الحاجة دلوقت غليت وبقت «نار»

– هو زمانه دلوقت « مولع » منى ؟

– على العموم ما « تشطش » كتير فى لومه ··؟

وغيرها وغيرها ·· لم يعد الناس يجدون ما يرفهون به عن أنفسهم سوى قافية الكمسارية والكبريت وهو لا يجد فى جعبته أكثر من الدعاء يدعوه بنفسه ويطلبه من زوجته ·

أهو النهارده واحد من زمايلنا رقوه مفتش ·· ياوليه ماتدعى لى انى اترقى انا كمان ·

– والنبى يا سعودى بادعيلك ·· كل يوم خمس مرات ·· مع كل صلاة ··

– يظهر ربنـــا مش قابل منـــك صلاتك دى ·· وعشـــان كده مابيستجيبش لدعاكى ·· أصل نيتك ماهش خالصة ··· طول النهار تقطعى فى فراوى الناس ·· بطلى العادة دى بقى ·

– طب ما تداوم انت على الصلاة يا ابو نية خالصة ··

– أنا فاضى ·· ده لماحيجيلى عزرائيل عشان يقبض روحى حاقوله مش فاضى ···

وأخرجت الشركة كوبونات بالمليمين ولكنها لم توقف حملة التريقة ·· فقط تغيرت النكات ويبدو ان هذا كان هدف الشركة ·· عندما رأت أن جميع نكت الكبريت قد احترقت واستهلكت فأصدرت تلك العملة الغريبة لتفسح للظرفاء مجالا آخر ···

ولم ترض السيدات قط عن هـذا الـكوبون ·· وكثـيرا ما سمع سعودى :

– أعمل بيه ايه ده يا ادلعدى ·· اديه لبتاع الفجل ولا للبقال؟·· ولا ابقى ادى ابنى مصروفه وهو رايح المدرسة « كابون » ··· والله كان الكبريت أحسن ·· على الأقل كنت باولع منه « اللمبة » ·

ويزهق من هـذه السخرية فيدعو الله أن تصـبح التـذكرة بقرش كامل وفى اليوم التالى يتحقق الدعاء .. ويذهل هو :

ـ يعنى يا رب بقى لى سنين بادعيلك انى ابقى مفتش..ماحصلش اشمعنى الدعوة دى اللى حققتهـــا لى بسرعة ؟ .. على العمـــوم أهى الحكاية دى حتريحنا .. الحمد لك يا رب .. بس نفسى انى .. آه.

وتملكته هذه الامنية حتى كادت تصيبه بالجنون .. كان يحدث بها نفسه وهو سائر ويحلم بتحقيقها وهو نائم .. ليال كثيرة تستيقظ زوجته على صوته وهو يهتف بثقة وكبرياء « المنافستو ياريس .. »

وليت الامر اقتصر على اقلاق راحة زوجته فحسب .. فقد عاد ذات يوم وهو حزين بعد ان اكتشف عجزا فى عهدته قدره جنيه فدفعه من ماله ، وكادت زوجته تبكى ..

ـ يادى الخسارة .. جنيه .. ؟ ..

جنيه بحاله ؟ داحنا داخلين على رمضـــان والعيد وعايزين زيادة مش بينقص مننا .

ـ ياستى فدا محمد .. ربنا عايز كده .. حاعمل ايه ؟ ..

ـ لكن ياسعودى انت عارف الماهية منقسمة جا نقص الجنيه ده منين ... ؟

ـ أقول لك خليه على أنا وحاقلل من السجاير .

ـ لكن نقص ازاى الجنيه ده ؟ ..

انا قعدت افكر لحـــد ماتذكرت ان واحد افنـــدى طلب منى باقى الجنيه وكنت سرحان شويه .

ـ فى التفتيش زى عوايدك .. ؟

ـ انتى كمان حاتتريقى .. ؟ انا مش ناقصك ..

ـ غصب عنى ياسعودى ..

ـ يا عبيطة .. يا بخت اللى له .. ياشقى اللى عليه .. خليه يقبله.

ـ منه لله البعيد .. حار ونار فى جتته ..

لم تكن هذه اول مرة يجد فيها سعودى نقصا فى عهدته ـ فانه كان دائما مشغول البال بالترقية غير انها كانت دائما قروشا معدودة ولكنها مالبثت ان زادت .

ووجد فيها سعودى سببا آخر :

ـ والله ما انا عارف ميـزانيتي قـد ايه لما كل يوم الاقى فلوسي ناقصـة ... آه لو كنت ابقى مفتش .. ماكانش يبقى لي دعـوى بالتحصـيل خالص : والمدة بتاعتى اقبضـها ، كاملة من غير عجز .. ماتدعى لى يا ام محمد ..

ـ هيه ... ربنا الى عالم ..

والايام تمر وهو ماض في عمله . صفارته في فمه وشنطته تحت ابطه يسير في يومه وفقا لروتين لايتغير .. ففي وردية الصـباح يضبط المنبه على الساعة الخامسـة وهو يحب هـذه الوردية اكثر من وردية الليل ، اذ انها تتيح له ان يصلى الفجر حاضرا ويتوجـه الى الله بدعائه الخالد .. ثم منزله بعد ان يضع قبقابه في رجليه وسـلطانية الفول بين يديه ..

وهو لايجد حرجا في خروجه بالقبقاب يدق به على بلاط الحارة .. فمن عسى ان يراه في هذه الساعة المبكرة ، الكل ينام والدكاكين لم تفتح بعد .. ومن بينها دكان الاسطى سـيد الحلاق ولذا فهو مضـطر لان يحلق ذقنه طول وردية الصباح وتشـاركه زوجته افكاره على الطبلية وبجواره وابور الجاز يحمل كوز الشاى الذى يغلى ويغلى .. ثم يضع السكر ولا يحركه بالملعقة مثل باقي الناس .. بل يظل يقلبه من كوز الى كوز عدة مرات ، وهو يرفع يده عاليا ومع ذلك لاتتناثر من الشاى نقطة .. ولا عجب في هذه البراعة فانه دائما « سلطان الشاى » في كل جلساته مع زملائه سواء أكان ذلك في منزله ام في منزل أى زميل آخر ..

ويشرب اول دور ثم تاني دور ويتبعها بسيجارة ، فيعتدل المزاج الغالى .

ويدخل الى حجرته وهو يدندن بأغنية مرحة ليغادرها بعد دقائق .. كمساريا وجيها .. خاصة اذا كانت البذلة لا تزال مكوية .. فتنظر اليه زوجته باعجاب وهي تهتف .

والنبي ياسعودى انك عامل زى الضابط ..

وينظر في ساعته ثم يهرول مسرعا حتى لاتفوته عربة العمال وصوت زوجته يلاحقه :

ـ مع الف سلامة ..

واخيرا تصل عربة العمال الى الجراج ٠٠ فتقذفهم ليتفرقوا كل فى خط ، يذهب سعودى الى قلم التذاكر ليستعلم عن الحرف الذى يأخذه ثم يستلم خشبة التذاكر ويعود الى الكشك ليدردش مع الزملاء حول اخبار بقية الزملاء .

ــ عارف خيرى ٠٠ خيرى الانصارى القزعة اللى ماكانش حتى بيطول يمسك فى العمود بتاع العربية ٠٠٠ بقى مفتش ، وابو عيشة اتعين فى قلم التذاكر .

ــ ايه الكلام ده ٠٠ ؟ مش معقول

ــ والله زى مابقولك ، ده هو اللى مدينى الخشبة بتاعتى النهارده ٠٠

ــ دلوقت بقى ماحدش يعرف يكلمه .

ــ ومين اللى عايــز يكلمه .. ؟ انت عارف يا ســـعودى انى انا ماباحبش الجماعة دول . بتوع الكيف اياه .

ــ ياعم واحنا مالنا ٠٠ كل واحد عقله فى راسه يعرف خلاصـــه مابتشغوش عاطف ؟

ــ ابدا من يوم ما اتجوز مابقاش بيجى القهوة .

ــ هو اتجوز ٠٠ ؟ امال يعنى ماعزمنيش ٠٠ طيب بس أما اشوفه قليل الاصل ده ٠٠

ــ انت عزمته فى فرحك ياسعودى ؟

ــ انا ايام ما اتجوزت كنت انت وهو بتلعبوا الكورة الشراب فى الحارة .

ويمضون فى الدردشة حتى يحين الوقت ، وينبههم الناظر ،فيذهب كل الى سيارته ليبدأ العمل الرتيب الذى لا يتغير ٠٠ صورة لما حدث امس وأول امس والعام الماضى .

ــ ورق ٠٠ تذاكر ٠٠ خشوا جوا يافندية ٠٠ العربية فاضية ٠٠ الباقى ياكمسارى المحطة الجاية ياريس حاسب ياأستاذ فرمت رجلى ٠٠ معلهش ياسيدنا غصـــب عنى ٠٠٠ عايزة أنزل عند الاســـعاف ياخويا يسعدك . تبرعوا لبناء المسجد ٠٠ ياعمد الجيزة المسجد تم ولم يبق الا الحصر والادوات الصحية ٠٠ كل واحد يساهم بما يستطيع والقليل الى

القليل كثير الى راكب بقرشين قبل الكوبرى خلاص التذكرة ٠٠ توت ، ايه ده ياأسطى ٠ طالع الاتوبيس ببدلة مزيته توسخ الناس ؟ الى مش عاجبه ياخد تاكسى بسرعة الى نازل ٠٠ توت ٠٠

وقبل النهاية بمحطتين يهدأ العمل ٠٠ فيذهب سعودى ليقف بجوار السائق يتبادلان الاخبار ٠٠ اخبار تافهة فى اغلب الاحيان ٠٠ سمعت نتيجة انتخابات النقـــابة ؟ فلان امبارح اتخانق مع بعض الركاب وجر العربية كلها على القسم ٠٠ علان اشترى بيت ملك عقبال املتك ٠٠ واخبار اخرى كثيرة على هذا الخط ٠

وفى ذات يوم فاجأ السائق الذى يعمل معه ـ والذى يدعوه الجميع بالحاج بخبر مثير :

ـ مش خلاص حايشغلوا معاكم بنات ٠

ـ اظن دى اشاعة بس ٠

ـ اشاعة مين ياعم ٠٠ دى واحدة منهـــم كانت بتشـــتغل معايا امبارح ٠٠٠٠

ـ آخر زمن ياحاج .. باين القيامة حاتقوم .

ـ وعلى ايه دا كله ٠٠ ياسيدى اهلا وسهلا ٠

وفى اليوم التالى كان يقوم بتمرين واحدة منهن ٠

وسألها بعطف لماذا اختارت ذلك العمل الشاق ، فأخبرته بانهـا محتاجة الى ان تعمل لتعول أسرتها .

واستيقظت زوجته ذات يوم لتسمعه يقول بثقة ومرح : « المنافستو يا مدموزيل ٠٠ »

واستوضحته الامر فى الصباح فأخبرها بانه اصبحت له زميلات من الجنس اللطيف ٠

ودقت ام محمد الطيبة على صدرها وهى تقول :

ـ كمساريات بنات ٠٠ ياندامتى ٠٠ عشنا وشفنا ٠٠ اما شـغل مسخرة ٠

ـ مسخرة ليه ..؟ ما هى زى أى شغلة تانية٠٠ بنات غلابة بيجروا على عيشهم ٠

وفى الليلة التالية تكررت نفس الكلمة « المنافستو يامدموزيل » وظلت تتكرر كل ليلة وقلق ام محمد يزداد ٠٠ فى اول الامر لم تنم ولكنها يوما فاض بها فثارت فى وجه زوجها ؟

انت يعنى ما بتحلمش الا بالمدمزيلات ٠٠ هم خلاص الكمسارية الرجالة اتقرضوا والا ايه انت يظهر عينك بقت فارغة اليومين دول ومش عارف نفسك بقيت ايه ٠

ورأى هو انها محقة ٠ وعندئذ عادت الى احلامه صفة التذكير ٠٠ « المنافستو ياريس » ٠

وذات يوم عاد من عمله وهو فى حالة « اشمئناط » شديد ، وسألته ام محمد عن حاله :

ـ مالك ياسعودى ؟

ـ تصورى .. عبد الشكور بقى مفتش .

ـ طب وهو ده اول واحد ؟

ـ اصل عبد الشكور اصغر منى بكتير ومتعين بعدى ٠٠ ده انا فى بقى الزمارة من ايام ما كان هو فى بقه البزازة .

ـ امال رقوه ليه ٠٠ ؟

ـ لازم له واسطة .. والا دفع رشوة .

ـ والى يدفع رشوة !٠٠ يدفع كتير ؟

انا عارف .. عشرين جنيه و'لا يمكن تلاتين .

ـ طب ماتدفع انت كمان ٠

ـ منين ٠٠ ؟ اوعى تبصى لفلوس الجمعية ، دول علشان دخول محمد الجامعة ٠

ـ جامعة ٠٠٠ ؟ واحنا قد الجامعة ياسعودى ٠٠ ؟

ـ مش قدها ليه ٠٠ ؟ ربنا يساعدنا انتى كنتى من زمان عايزه توديه صنعه لولا انا مارضيتش انه يبقى صنايعى والا يمسك الزمارة زى ابوه ، واهو توجيهى وبرضه مش حاشفله فى حاجة صغيرة .. لازم

ادخله الجامعة ٠٠ وانا حابقى اطبق واشتغل فى اليوم وردية ونصف ٠٠ وربنا يقدرنى ٠

ــ طيب ماتشتكى فى الادارة ٠٠ والا تشوف حد يســـاعدك فى النقابة ٠

ــ اشوف ٠٠

وظل يدور اياما بين الادارة والنقابة حتى علم ان لا ظلم هناك ٠٠ وان عبد الشكور وغيره ممن رقوا سريعا حاصلين على شهادات ٠٠ وعليه هو ان يتعلم اذا كان يريد الترقية بسرعة،او فلينتظر دوره فى الاقدمية.

وقرر ان يتعلم واخذ ابنه يساعده ٠٠ ولكنه لم يتقدم فلم يكن لديه وقت وزادت مصـــاريف محمد فى الجامعة فاضطر ان يطبق بالفعل اى يشتغل فى اليوم ١٢ ساعة ليحصل على مرتب يوم ونصف .

واخيرا تخرج محمد وعين مدرسا بالتعليم الثانوى واقام ســعودى الأفراح وختمة لأهل الله٠٠ الأفراح التى كان ينوى أن يقيمها من زمن بعيد اذا اصبح مفتشا ، ذلك الامل الذى لم يمت فى صدره رغم مرور الايام والاعوام ٠

واصبح سعودى عجوزا ولم يعد ذلك العمل الشاق يناسبه ولكنه ظل يعمل حتى أتم الســتين وأنهت الشركة خـدمته واعطته مكافأة صغيرة .

ويومها عاد الى المنزل مبكرا على غير عادته ، والتأم شمل العائلة على الغداء٠٠ كان كل واحد من الثلاثة يحس بشعور خاص ويعيش فى دنيا خاصة٠٠ الاب٠٠ آسف حزين على مرتبه فضلا على أن تقاعده هذا سيوحى للجميع بأنه لم يعد يصلح لشىء .

والأم غارقة فى الذكريات ذكريات كثيرة عدة منذ تزوجت سعودى، حياتها معه ٠٠ خلافاتها البسيطة كده وتعبه فى سبيل أسرته وتعليم محمد .. أمنيته التى ظل يحلم بها منذ دخل الشركة حتى غادرها والتى لم يكتب لها التحقيق رغم دعائها .. دعائها الذى لم تمل ترديده قط حتى صباح اليوم .

الآن فقط تستطيع أن تستريح من ترديد ذلك الدعاء .. حقا لم يكن الأمر صعبا .. ولكنه شىء بزهق .. كل يوم ، وكل ساعة ولا دعاء

عندها سواه .. ولا حديث لسعودى غيره ، لقد أصابها تكرار هذا الدعاء بالضيق والملل .. والحمد لله ، لقد ارتاحت منه الآن الى الابد .

اما محمد فكان يذكر تضحيات ابيه فى سبيله ، ويؤكد لنفسه وضميره انه سيجزيه عنها أحسن الجزاء ، وكان محمد أول المتحدثين :

ــ انت ليه زعلان يا بابا .. ؟ الحمد لله على صحتك .

ــ بس يابنى الماهية كانت نافعة .. الحاجة كل يوم بتغلا ، وانت عارف أنا ما عنديش حاجة والمكافأة حتعمل ايه ٠

ــ وأنا يا بابا ٠٠ انت نسيتنى ؟ المكافأة دى تطلع بيها الحجاز ٠٠ عشان نبقى نقولك ياحاج بابا .. هاها .. وانا على كل طلبات البيت .

ــ بس يا محمد انت لسه ماهيتك صغيرة ٠

بكره تزيد .. على العمــوم أنا بقى لى دلوقت كام سنة مدرس وفيه حركة ترقيات للتعليم الابتدائى فى المنطقة .. وان شاء الله يكون اسمى فيها وأنا عايز ماما تدعيلى ادعى لى يا ماما انى أترقى فى الحركة دى وأبقى .. مفتش ٠٠ و ٠٠

ونظرت أم محمد الى محمد كالمصعوقة ٠٠

ــ انت كمان ٠٠٠ ؟؟

وَجَدْتُ الأمَلَ



السـلام عليك ياحبيبى ٠٠ السـلام عليك ياولدى ٠٠ السلام عليك يا محمد ٠٠ لأول مرة أحس أن باستطاعتى أن أتحدث اليك بهدوء ٠٠ تماما كما كنت أتحدث اليك فيما مضى ، وان فصل بيننا اليوم ذلك الرخام البارد ٠

لماذا تركتنا يامحمد ؟ هل تضايقت منا ؟ ، لقد كنت أحبك ٠٠ والله يعلم ذلك ٠٠ وأنت تعلم ذلك فلماذا كان هذا الفراق ؟ ، لقد كنت أظن وأتمنى أن مثل هذا الحديث سيجرى يوما ولكن أكون أنا التى يضمنى القبر ، وأنت الذى تقف خارجه ولكن ٠٠ هكذا شاءت ارادة الله ٠٠ ياولدى ٠

لماذا فعلت بى ذلك يارب ؟ ، لماذا تحملنى مالا طاقة لى به ؟ لماذا تأخذه منى وهو ما زال فى ربيع شـبابه ٠٠ فى حين أن الارض تنوء بالعجائز الطاعنين الذين شبعوا من الدنيا ؟ ، لماذا لم ترحمنى ٠٠ آه ٠٠ استغفرك يارب واتوب اليك فأنا لا اجرؤ على مناقشتك فى أحكامك ولا أستطيع أن احيط بحكمتك ، ولا أريد ان اخسر آخرتى بعد ان خسرت بفقد ابنى كل دنياى ٠٠

أجل ٠٠٠ يوم مت يامحمد ماتت الحياة فى قلبى ، بل اننى تصورت أن الحياة كلها قد وقفت ٠٠ ماتت ٠٠ أو على الأقل أصيبت بالشلل ، ولذلك دهشت حين وجدت الشمس تشرق فى اليوم التـالى فى نفس موعدها ، والعصافير تزقزق مرحة فى الحديقة ، والزهور تفتحت فوق أغصانها ، والقطة ترضع صغارها ٠٠ وكأن شيئا لم يحدث فى الدنيا ، عجبا ألم يبلغهم أحد أن محمدا قد مات ؟ ٠٠٠ قد توارى عنى بأجمعه ولم يبق لى منه سوى الذكريات ٠٠ تلال من الذكريات ؟ حتى الناس يضحكون ويتشاجرون والأتوبيسات تمر مسرعة والباعة ينـادون على بضائعهم و ٠٠ والحياة كلها تسير كما كانت ٠

أجل يا حبيبى الدنيا كلهـــا كما هي ولكن ٠٠ الدنيا كلهـــا قد تغيرت .. فبذلك كلها فى دولابك ولكنك لن ترتديها .. وكتبك مازالت على المكتب ولكن أصابعك لن تقلبها .. وكرسيك لا يزال فى مكانه من الشرفة ولكنه خال .. وسيظل خاليا وبيجامتك المعلقة على الشماعة وشبشبك تحتها ٠٠ وفرشاة أسنانك ومشطك ٠٠ كلها مثلى ٠٠ تنتظرك ولكنك ٠٠ واحسرتاه ٠٠ لن تعود ٠٠٠

كيف ٠٠ كيف ٠٠ كيف ٠٠ كيف حدث هـــذا ؟ ، كيف يموت محمد ، كيف يصبـــبح بين لحظة وأخـــرى لاشيء ؟ ، كيف يختفى عنى وجهـــه ٠٠ كيف يسكت ذلك القلب الكبـــير الذى كان ينبض بالحب للجميع ؟ ، كل هذا الشباب والصحة والجمال والقوة تصبح بين يوم وليلة حفنة تراب ٠٠ فى التراب ؟ ، أيصبح محمد مجرد حكاية تروى أو ذكرى تطوف بالأذهان بين الحين والحين بعد أن كان ملء السمع والبصر والقلوب بل ملء الدنيا ؟ ٠٠

غريب أمر هذه الدنيا ٠٠ أو هذا الانســـــان ، انه قوى الى أقصى درجات القوة ، وضعيف الى أدنى درجات الضعف ، ذلك الجبار الذى يبنى المصانع الضخمة ، والذى دانت وخضعت له الارض والبحار والسماوات، والذى يفعـــل كل شيء ٠٠ يحوله شيء تافه — بعض من أشعة الشـــمس مثلا — الى ٠٠ الى عدم ، لا يستطيع أن يفعل أى شيء حتى ولو رد ذبابة وقحة تحط فوق عينيه ٠٠

انه يستطيع اصلاح أى شيء يتعطل — مثل محمد الذى كانت بعض لمسات منه كفيلة باعادة الحياة والحركة لأكبر آلة اذا ما أصابها العطب — ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا اذا كان الذى تعطل — أو مات — انسان مثله ، بل يسلم بسهولة ويلقى بذلك الانسان ، مهما كانت معزته ، فى التراب ٠٠٠

ابنى ٠٠٠ حبيبى محمد ٠٠ أحقا لن أضمه الى صدرى ؟ ، أصحيح لن أســـمع صـــوته ؟ أيمكن ألا أراه الى الأبد بعـــد أن كنت أراه كل يوم ٠٠ ؟ هل هذا معقول ؟ ، ما هو هذا الموت الذى يفعــــل كل ذلك ؟ ما كنهه ٠٠ ومامعناه ؟

صحيح اننى سمعت كثيرا من قبل عن أناس ماتوا ووعيت جيـــدا معنى تلك الكلمة كان معناها ان شخصا أعرفه سيختفى عنى وعن الدنيا كلها نهائيا ٠٠ وكان ذلك معقولا ومقبولا ولم أجد فيه قط أية غرابة ،

فالموت حق على الجميع وهو يحدث كل يوم ولكن ٠٠ ولكنه محمد هـــذه المرة ٠٠ ابنى محمد الذى كان يملأ على كل حيـــاتى فهل يدخل عقلى ان يتركنى هكذا مرة واحدة دون أى تمهيد ٠٠ أو حتى دون وداع ؟ هـــل يمكن أن يحدث هذا ؟ ٠

ان هذا السؤال يحوم حول رأسى كل لحظة ٠٠٠ بل كل دقيقـة وكأنه طنين خلية كبيرة من النحل تعشش داخلها ، وفى كل مرة اضطر أن أروى لنفسى ، تلك القصة التى رووها لى ٠٠ مئات المرات كل يوم ٠٠ مثل الاســطوانة المشروخة ، خرج مع عـدد من زملائه مهندسى الشركة ليبحثوا فى الصحراء الواســعة عن بعض المعادن فتاه منهم وظل يســير ويسير حتى أصابته ضربة شـمس فرقد تحت صــخرة ليستريح ولكن الوطأة زادت عليه ودخل فى غيبوبة وظل على تلك الحال يومين دون اسعاف أو علاج حتى عثروا عليه ٠٠ جثة هامدة ٠

جثة لا حياة فيها ، مغمض العينين ، مقفل الشفتين ، متيبس اليدين والقدمين ، وأظل أردد لنفسى وأنا أضبط رأسى بيدى كأنى أحاول ادخال تلك الحقائق فيها بالقوة أجل جثة٠٠جثة لاتستطيع أن تضحك أو تأكل أو



تسير حتى انهم حملوه حملا وأحضروه الى حيث لف فى الاكفان من أول رأسه حتى آخر قدميـــه ·· ثم انزلوه فى المدفن وأغلقوا عليه ·· أجل اغلقوا عليه ، ومن ثم فانه من المعقول جدا بل من المحتم الا يحضر ليرانى أو يحدثنى وحينئذ فقط أصدق ما حدث ويحل بى الحزن محل الذهـول حتى يدق السؤال رأسى من جديد ·

ورغم ذلك يا محمد يأبى عقلى أحيانا ان يسمع أو يفهم شيئا ، حتى اننى أكثر من مرة جلست على المقعد القريب من الباب ـ حيث تعودت ان أجلس حين يقترب ميعاد عودتك من أحد أسفارك حتى أسمع صوت أقدامك على السلم فأسرع لأفتح لك قبل أن تضع مفتاحك فى ثقب الباب فتفاجأ وتضحك وانت تأخذنى بين ذراعيك ، أقول جلست أكثر من مرة وأنا أرهف آذانى فاذا بدقات تطرق سمعى وأنا لا أخطىء تلك الدقات قط ، وأسرع فى خطوات لا تتفق وسنى ولكنه قلبى هو الذى يحملنى ويطير بى وافتح الباب ولكنى لا أجد سوى الهواء يزمجر وأنه يقهقه ساخرا منى ·· رب ارحمنى أكاد أفقـــد عقلى ، أو فارحمنى وافقدنى عقلى فأحزانى فوق طاقة احتمالى والمجانين وحدهم هم الذين لا يدركون فداحة ما يحل بهم ، ولن يهمنى وقتها ان يسخر منى الساخرون ·

هل مت ظمآن يا ولدى ؟ اذن فلمــاذا ينزل القطر ·· لماذا تجرى يا نيل ؟ لست أنانيــة يا محمد ولكنى أم ، ليتنى ذهبت معــك ·· اذن لحملت لك الماء على ظهرى كما تفعل الابل هل تظننى ضعيفة ؟ قد أكون كذلك يا حبيبى ولكن قوتى وقتها كانت ستتضاعف وتتضاعف ·· ليتنى كنت معك حين نفد الماء منك ·· لكنت صفيت لك ماء عينى وسقيتك اياه لربما حفظ لك الحياة ولو لحظات ··

وما حاجتى للأعين من بعدك ؟ ، ماذا انتظر أن أرى بهما ؟ من أريد أن أرنو اليه ؟ لا أحد ·· لم تعد بى من رغبة فى التطلع الى الدنيـــا بعد أن أصبحت خلوا منك ، ثم كيف أبصر وقد أصبحت الدنيا كلها من حولى ظلاما بعد أن غربت ابتسامتك الســـاطعة المشرقة التى كانت تنير لى حياتى ؟

ودموعى ·· ؟ كم كان يروى ظمأك وقتهـــا ·· كوب من الماء ؟ ·· كوبان ؟ .. عشرة ؟ ان ما سفحته من الدموع منذ فراقك يا ولدى كان يكفى لأن يروى ـ بجانبك جزءا كبيرا من الصحراء ·· تلك الصحراء التى مت عليها ··· يا محمد ··

أم كانت ضربة شمس ؟ ، ولكن لماذا تضربك الشمس ؟ ·· ماذا

فعلتلها ؟ بالعكس كنت تحبها وتفتح لها نافذتك على مصراعيهــــا اذا ما رأيتها تحاول التسلل من بين خصاص الشيش وأحسست من ذلك برغبتها في الدخول الى غرفتك ، اما أنا فقد أصبحت أكرهها ولن أسمح لها أبدا بأن تدخل بيتي ، ولو انها تبدو لنا هنا في المدنيــة بصـــورة للصديقة التي تمنح الضوء والدفء ٠٠ الا انني أفضل أن أعيش في الظلام وأموت مقرورة ٠٠ عن ان أراها ٠٠ تلك القاتلة التي سلبتني أعز من في حياتي ٠٠ محمد ٠

علم الله كم شق على موتك يا بني ولكن ٠٠ زاد من حسرتي وألمي ظروفه : أتموت في الخلاء ٠٠ وحدك يا حبيبي ؟ عندما أغمي على أنا ٠ ٠ بعد مواراتك التراب ، ثم افقت بعد دقائق ٠٠ شد ما حز في نفسي ان وجدت حوالى أكثر من عشرة من القريبات واحدة تروح على وجهي بورقة وأخرى تبلله ، وثالثة تقرب من فمي كوبا من اللبن ورابعة تقدم لي جرعة ماء ، بينمـــا انت ٠٠ آه ٠٠ يا ولدي ٠٠ تهفي عليــك ٠٠ لهفي على شبابك الغض ، ترى كيف كانت ساعاتك الأخيرة ؟ ، هل تعذبت أم انتهى الأمر في هدوء ؟ ٠

آها لي من سعة خيالي ، ألم تكن تعلم انني واسعة الخيال ؟ اذن فمن كان يؤلف تلك الحكايات التي كنت أحكيها لك وانت صغير كي تنام ؟ ، أم انك قد نسيتها ؟ معك حق فقد مرت أعوام وأعوام ، ولكني أنا لم أنساها ٠٠ بل كنت أختزنهـــا في ذاكرتي حتى أرويهـــا لأولادك الذين كنت أقدر انني سأحبهم كل الحب ، بل وسأحب أمهم ولن أعاملها أبدا كحماة اكراما لك ، ولكن شاءت ارادة الله الا أفرح بعرسك أو أرى لك طفلا ربما كان في تربيتي له بعض العزاء لقلبي الحزين ٠

ولكن تلك الموهبة التي امتعتك صغيرا تنقلب على اليوم ، فتعرض لي صورا تتتابع أمام خيالي طوال اليوم كأنها شريط سينمائي عرضــــه مستمر ٠٠ ليومك الأخير وانت تائه وقد بلغ منك التعب والارهــــاق أشده ، ومع ذلك تستحث السير حتى تعثر على الطريق الصحيح ولـــكن تعبك يزداد فتقل سرعتك تدريجيـــا حتى لتبـــدو أخيرا وكأنك تقتلع ساقيك المرهقتين من الرمال اقتلاعا ، فاذا لم يعـــد في مقدورهما أن يحملاك زحفت على بطنك وقد اخشوشنت يداك وتورمت أصابع قدميك وتهدل شعرك بعد أن عبثت به الريح في كل اتجاه وملأ الرمل عينيك وطالت ذقنك وتعفر وجهك ولوحته الشمس وتصبب منك العرق غزيرا

وانت تشرب قليــــلا حتى لا تأتى على كل ما معـك ولكنه مع ذلك ينفذ وعطشك يزداد فترفع زمزميتك الى فمك مؤملا أن يكون ما زال فى قاعها ولو نقطة واحدة تبل بها ريقك ، وتميلها الى آخرها وكأنك تعتصرهـــا أو تستحلفها ولكن متى كان الجماد يلين ؟ فتلقيهـــا جانبا ويستبد بك الظمأ فتلهث ويتدلى لسانك ويتطاير من حول شدقيك الزبد ومع ذلك تواصل الزحف على يديك ورجليك فى ذلك الحر الخانق ، حتى تضربك الشمس بشواظها ويتمكن منك الالم وتصبح مجرد الحركة مستحيلة ، فتسقط على الأرض بلا حراك ، عيناك فقط هما اللتان تتحركان فى كل اتجاه مؤملا ان يستجيب الاله الرحيم لصلاتك الصامتة فى أن يتمكن زملاؤك من العثـــور عليك • وتتعب عيناك من التلفت الى اليمين والى اليسار والى أعلى فتقفلهما وترهف أذنيك علك تســـمع أزيز طائرة أو محرك سيارة أو حتى خف جمل ولكنك تدخل فى دور النزع فتنسى هذا كله وتئن وتتلوى على الرمال ولا أحد يسمع أنينك حتى يختلج جسمك اختلاجته الأخيرة فتسلم الروح •• فدتك روحى •

ولكن خيالى يأبى أن يتوقف ، فقد مر عليك يوم آخر حتى عثروا عليك فماذا حدث فى هذا اليوم ؟ لقد كانت الصـــــور التى لاحت أمام خاطرى – بل اقتحمته عنوة أشد قسوة وعذابا لقلبى الجريح ، حتى أكد لى زملاؤك اننى مخطئة فى تخيلى وان تلك المنطقة بأكملها خالية تماما من الذئاب والكلاب والطيور الجارحة ، وان جسدك الطاهر كان ســـليما ووجهك الجميل خاليا من أى خدش لا تشيع فوق تقاطيعه سوى ابتسامة هادئة •

أحيانا يخيل الى أن الخبر الذى نقل الى وما مر بعده من معزيات ومقرئين لم يكن أكثر من حلم مفزع رهيب ، ولكن لا •• بل حياتك هى التى كانت حلما •• حلما قصيرا فالحلم هو ما ينقطع استرساله فجـأة حين نستيقظ من النوم والحقيقة هى التى تدوم بعد ذلك ، وحياتى الكئيبة الخاوية من بعدك هى ما سيدوم لى ما بقى من عمرى •

لقد زار الحزن قلبى قبل ذلك مرات ، ولكنها كانت زيارات عابرة خاطفة أما هذه المرة فسيكون هو كل ما يحويه هذا القلب طول حياتى ، نعم بعد شهور أو سنين قد تستطيع بعض الضحكات الخفيفة ان تتسلل من بين شفتى •• وقد يعاود المشط زياراته لشعرى •• وقد تتذكر قدماى طريقهما الى المرآة •• وقد تعبث أصابعى بمفاتيح الراديو ولكن كل هذا لن يكون أكثر من الرماد الذى يخفى تحته نارا متأججة اللهيب

ولو طال عمرى بعدك الى مائة عام فسأعيشها كلها والغصـــة في حلقي والمرارة تملأ فمى والحسرة ناشبة أظفارها فى أعماق قلبى ٠

اننى لا أتصور كيف يكون طعم الحياة بدونك ؟ ٠٠ كيف يجيء عيد أو أية مناسبة أخرى ويلتئم شملنا جميعا ويظل مقعدك انت شاغرا ٠ وفى كل مناسباتنا الماضية لم يكن يزينها أو يدخل عليها البهجة سواك ، فاذا كنت غائبا جلسنا واجمين ننظر الى الباب ولا يدور بخلد كل منـا سوى سؤال واحد « متى يحضر محمد » حتى تجيء فينقلب الجو غير الجو اننا لم نكن نعرف كيف نضحك بدونك ٠

آه ٠٠ لقد أوحشتنى يا محمد أريد أن أراك ٠٠ بودى أن ألمس شعرك بنفسى ٠٠ أن أقبل جبينك ، لقد تألمت وبكيت يوم قلت لى انك ستوفد فى مهمة الى الخارج لمدة عام لم أتصور كيف يمضى عام كامل ٠٠ اثنا عشر شهرا ٠٠ ثلاثمائة وخمسة وستون صباحا ومساء تمر على دون أن تكتحـل عينى برؤياك ان فى هذا لعذاب شـديد لى وضرعت الى الله ودعوته ألا تسافر ٠٠ وفعلا ألغيت المهمة واستبدلت بالنقل الى القاهرة وقلت لى وأنت تقبلنى قبلتك الأخيرة دعواتك يا ماما فاننى ذاهب فى مهمة خطرة ، فقلت لك:«دائما مهماتك خطرة» ورددت وانت تنزل السلم « انها آخر مرة وسأغيب فيها ثلاثة عشر يوما وبعد أن أعـود فاننى لن اغادر القاهرة أبدا ٠٠ وسأظل معك على طول » وكنت قد وصلت الى آخر بسطة استطيع أن أراك منها وأنا عند رأس السلم فقلت لى قبـل أن تتوارى ويغيب عنى وجهك ٠٠ الى الأبد « سلام عليكم » وقلت لك « نشوف وشك بخير » ولكنى لم أره أبدا ٠٠ لا بخير ولا بشر ، وان كنت قد بررت بوعدك فى موعد الحضـــور بل بكرت عنه بيوم وبعدها لن تسافر فعلا وستظل فى القاهرة أو تحت ترابها ٠٠ على طول ٠٠٠

أمس بعد منتصف الليل قمت من فراشى وتســللت حتى الباب وفتحته وخرجت ، ووقفت عند رأس السلم أنظر الى أسفل ٠٠ كنت أود أن أراك ، وخيل الى اننى سأجدك هناك ٠٠ على آخر بسطة أراها ترفع الى وجهك السمح وتبتسم ابتسامتك الحبيبة كما رأيتك ٠٠ لآخر مرة ، ولكن مع الأسف أحست بى بعض القريبات اللاتى تركن بيوتهن وجئن ليخففن عنى ٠٠ اننى ممتنة لهن على ظهورهن ، ولكنى أرثى للمجهودات الضائعة التى يبذلنها لتحويل تفكيرى الى جهة أخرى فهل يعقل أن أنساك يا محمد أو أنسى فجيعتى فيك ٠٠٠ فجيعة الرحيـــل المفاجيء على غير توقع وبدون اياب ٠

لقد وقفت — في اليوم التالى لوفاتك — أمام احدى صورك ودموعى على خدى واذا بسؤال يطفو فوق تلك الدموع فجأة كما تطفو بقعة من الزيت على سطح الماء .. بقعة سوداء حالكة السواد ، هذا الوجه .. ألن أراه ثانية ؟ وانقض الجواب على رأسى كالصاعقة اللعينة حتى كدت ارى وهجها يتراقص امام عينى وانبهرت . اننى لم أكن قد فطنت الى تلك الحقيقة حتى ساعتها ؟ ماذا كنت أظن الموت اذن ؟ سفر بعيدتعقبه أوبه .. سجن يسمحون للناس بزيارة نزلائه ام مدرسة داخلية يصرحون للملتحق بها أن يخرج ليرى اسرته ثم يعود ؟ ليت الامر كان كذلك ، ولكن ..

بعد تلك اللحظة أخذت القريبات كل صورك التى كنت قد علقتها على كل حائط أو ادخلتها تحت كل بلورة فى حجرتى وأخفيتها عنى ، ولكنهن نسين صورة واحدة .. لم ينسينها ولكنهن لم يستطعن ولن يستطيع أى مخلوق أن ينتزعها من مكانها .. من قلبى ومن خيالى حيث تتمثل أمامى فى كل ثانية ، انهن أحيانا يأخذننى الى الشرفة فربما ذاب تفكيرى وسط ضجيج الشارع ، ولكنى لا أرى من الشارع سوى حركة السيارات ، ولا ارى من السيارات سوى الفولكس ، ولا ارى من الاخيرة سوى ذات اللون البيج وما أكثرها .

اننى اتابع كل سيارة منها وأنظر باهتمام الى داخلها وكأننى ابحث عنك ، ولكن لا ·· محمد لم يكن متهورا يقود بهذه السرعة ·· ولا جانا يزحف بهذا البطء .. محمد لم يكن عجوزا كئيبا مثل هذا السائق .. ولا مراهقا مفعوصا مثل الآخر ولا مبهدلا فى ملابسه كهذا .. ولا رقيقا متعايقا كذلك ، كنت فريدا فى مظهرك وحيدا فى صفاتك ولا يوجد أبدا من يشبهك يا محمد .

ويدخلننى من الشرفة ويعطيننى بعض الجرائد وهن يعلمن بميلى للقراءة ولكنى أقرأ من خلال عينيك ، واحكى لهن .. هذا الكاتب كان يحبه محمد .. هذا المطرب كان مغرما بصوته .. هذه السيارة كان ينتظر بفارغ الصبر فتح باب الحجز لها ، وهاهم يفتحونه هذا الاسبوع .. سيذيعو اليوم مباراة للكرة فى التليفزيون .. كان محمد يحب جدا مشاهدة هذه المباريات ، وكان طوال اذاعتها يصيح ساخطا أو ناصحا او معجبا .. كان المرح والحيوية يتدفقان منه تدفقا ..

وارد على لومهن بأننى منذ سنوات بعيدة وانا لا حديث لى الا عنك ، محمد فعل .. محمد قال .. محمد يرى .. فاذا لم يجد على حديثى جديد سوى تلك الكلمة الصغيرة البالغة الضآلة التى أصبحت اسبق بها كل

حديث عنك ، ولكنها رغم ضآلتها تحكى قصة المأساة التى أعيش فيها «كان» ، أجل كنت يا محمد ٠٠ فلم تعد الآن تحب أو تكره ٠٠ ترى أو تقول ٠

لقد نصحونى بأن أحاول شغل نفسى بأى شيء لعلى أنسى أحزانى اللحظات ولكن ذلك النسيان ــ حين نفذت نصيحتهم ــ كان أقسى على أعصابى فلم تكن تمضى دقائق فى شغل التريكو أو الطهى مثلا حتى يعيدنى الى واقعى المؤلم شيء يذكرنى بك ٠٠ أى شيء ٠٠ وما أكثر الاشياء التى تردك الى ذهنتى ــ فاشهق وارتاح كأننى اسمع الخبر لأول مرة ٠٠ لقد مات محمد ٠٠ لقد فقدته وحرمت منه الى آخر العمر ٠٠ واحس كما أحسست عندما أبلغت الخبر الكريه ــ كأن خنجرا حادا يغوص فى قلبى حتى آخره ٠٠ مئات المرات تذكرتك ومئات الطعنات اخترقت قلبى حتى أصبح مثل المصفاة أو قطعة الاسفنج ٠٠ وتدور الدنيا بى وأتداعى ويد باردة تعصر تلك الاسفنجة أو ذلك الحطام الذى كان قلبا ينبض بحبك ٠٠ وفى كل مرة أكاد أصرخ ٠٠ يكاد عقلى يطير شعاعا ٠٠ تكاد تتخليان عن حملى ٠

وبعدها كففت عن تلك المحاولات ٠

ثم من قال لهم اننى أريد أن أنسى ، بالعكس اننى أود أن أظل طوال ليلى ونهارى أراجع فى ذكرياتى عنك ٠٠ ما قلت وما فعلت طول حياتك واذاكرها حتى لا أنسى منها حرف واحد ، فقد أصبحت هى كنزى الوحيد الذى اذود عنه واحرص عليه أكثر مما يحرص البخيل على دراهمه حيث لم يعد فى امكانى أن أضيف اليها المزيد ٠

اننى أحاول عبثا أن أعثر فى تلك الذكريات على اساءة واحدةصدرت منك فى حقى أو كلمة جافة وجهتها الى ، أجل ليتك كنت قاسيا حاد الطبع يا محمد فربما خفف ذلك من وقدة نارك ، ولكن أبدا يا حبيبى ٠٠ كنت رقيقا حنونا ٠٠ بل ان الحنان كان قد أخذ مواصفاته من معاملتك للناس جميعا ولى خاصة ٠٠ لم تكن تحتمل أن ترانى حزينة أو مطرقة أو مريضة فلى الله الآن بعد أن ذهبت عنى بظلك الذى كان يفىء على وتركتنى للهجير يحرقنى ٠

هل لمتنى يا محمد أو عبت على وأنت تجوب الصحراء بحثا عن مخرج منها بدون فائدة وتساءلت فى نفسك وأين دعواتك ياماما ؟٠٠ هل اتهمتنى بأننى نسيتك ؟ أبدا يا محمد ٠٠ واقسم باحزانى ٠٠ ما نسيتك ساعة كنت ادعو لك عقب كل صلاة ٠٠ بل وفى كل وقت دعوت لك بعدد دقات قلبى وتردد أنفاسى ولكنه القدر الذى لا يمكن أن يغير منه دعاء أو صلاة ٠

أو يبدو أن الله وكنت مشهورة بين العائلة باستجابته دائما لدعائى ــ قد تخلى عنى فى ذلك الدعاء ولو كنت أعلم أن كل دعاء يصــدر منى محسوب على لوفرت كل دعــواتى وابتهالاتى لعودتك ســالما من مهامك الخطرة ولكننى أسرفت جدا فى قولى يارب • فى كل ضيق الم بى ، كان هناك دائما الفرج الذى أرنو اليــه فأدعو الله لتحقيقــه بل فى كل شىء •• عند ظهور نتائج الامتحانات ، وقت الترقيات ، ساعة المرض ، عند خلاف يقوم بينى وبين زوجى أو حين نظر قضية وأحيانا فى أشياء تافهة •• عندما يتأخر الاتوبيس الذى انتظره ، أو عندما يخلو منزلى من خادمة كنت أقول يارب •

ربما ارتأى الله اذن أن يجعلنى أكف عن هذا الدعاء وفعلا ، ففى أقسى وأشد محنة صادفتنى فى حياتى لا أجد ما أطلبه من الله وماذا عساى أطلب؟ هل أطلب عودتك من القبر ؟ الحمد لله لم أجن بعد •• أم أطلب لك الرحمة ودخولك الجنة ؟ وبدون دعائى فالجنــة مستقرك باذن الله الا يكفى موتك شــهيدا فى سبيل بلدك عدا احســانك الدائم للمحتاجين ووصــلك ذوى الأرحام وفــوق كل شىء برك بى وحدبك على الامر الذى جعــل قلبى طول حياتك وحتى اختارك الله لجواره ــ راض عنك ، أم هــل أطلب من الله الا يفجعنى فى أعزاء آخرين • لقد كان أكثر دعائى لك ومع ذلك فها أنت •• هيه ••ام اطلب الصبر لقلبى ؟ فى يقينى ان هذا الطلب أشد استحالة من الطلب الاول •

لست أشك فى أن الله سيعذرنى ، فهو يعلم تماما اننى لا أكفر ، بل ما زلت به شديدة الايمان ولكن •• انه هو الذى خلقنى ولذلك فهو أدرى بى وبالحياة التى أصبحت أعيشها •

لقد كنت دائما متفائلة على عكس صديقة عزيزة لى كانت دائمــا تبرم بحياتها كلما الم بها بعض المتاعب ، وكنت دائما اهون عليها ولكنها لاتستطيع اليوم أن تهون على ، فأية كارثة مهما كبرت يخفف منها دائما الأمل فى زوالها أو اصلاحها فى المستقبل القريب أو البعيد مهما بدا هذا الامل ضعيفا لدرجة اننى فى بعض الأحيان تمنيت لو لم يعثرواعليك أو على جثتــك واعتبروك مفقودا ففقــدك ولو انه كارثة فادحة الا أنه كان سيترك للامل فرصة يداعب فيها خيالى بانك قد تعود يوما ما •

أما الموت ــ وآها لى من هذهالكلمة الرهيبة التى لم اكتشف مرارتها الا الآن ــ فان مأساته فى أن أحزانه وآلامه لاتغلف الحاضر فحسب وانما تنسحب على المستقبل كل المستقبل ، انه الحكم الوحيد سواء للخالق أو للمخلوق الذى لا يمكن نقضه أو استئنافه أو طلب الرأفة فيه ، انه الامر

الوحيد الذى يستغنى عن التدرج لينهى سير شيء ·· وأى شيء ·· حياة طويلة عريضة علق صاحبها على الدنيا الآمال الكبار وعلق عليه غيره آمالا أكبر · · ألم بلا أمل ·· غمـامة لا يرجى لهـا انقشاع · · غمامة قاتمة ستظلل باقى أيامى وتخلع عليهـا قتامتهـا ·· نعم بالنسبة لى لن تشرق الشمس ثانية ·

لقد كنت أحاول دائما أن أقنع صديقتى بأن الدنيا لا يمكن أن تخلو من شيء مبهج جميل ·· « اذا كان كذا يضايقك فانظرى الى كيت وكيت» ·· على ما كنت أفعل أنا أما اليوم فقد خلت الدنيا بأجمعها من شيء جميل، اضحت فى نظرى باردة مظلمة موحشة ·· لم يعد هناك أى شيء يمكن أن يدخل السعادة الى قلبى ·· ولا حتى فى الأحلام التى كنت أهرب اليها كلما ضايقنى أحد أو شيء لا يستطيع اصلاحه ·

ستدهش ·· وقد تسخر منى ، ولهذا فاننى لم اطلعك على ذلك التصرف منى من قبل ·· لا أنت ولا سواك ·· كنت أخشى أن يسخر منى أحد اذ تلك عادة الفتيات الصغيرات ولكنى كنت ارتاح اليها ، وقد فتشت خلال الآمال التى كان يسعدنى أن أحلم بها فى يقظتى ولكنها كلها حتى بعد أن استبعدت منهـا ما كان يخصك مثل ترقيـاتك أو نقلك الى مقر الشركة فى القاهرة وزواجك وو ـ أصبحت سخيفة تافهة لا لون لها ولا طعم ·

كانت احلامى يانعة مورقة كالزهور لامعة مضيئة كالشـــموع حتى هبت عليها ريح قاسـية مفاجئة اطفـأت الشموع وبعثرت أوراق الزهور فأصبحت عيـدانا جافة من الحطب مثلى تمـاما ·· كانت وفاتك المفاجئة يا محمد هى تلك الريح التى بددت سعادتى واحلامى فمـا قيمة السيارة الفاخرة التى كنت أرجوها وانت لا تقودها ؟·· وما قيمة العمارة الشاهقة التى كنت أتمنى بناءها ·· ظفر قدمك الذى خلعته بعد زيارتك السابقة للصحراء من كثرة ما مشيت ·· اغلى عندى منهـا · أو ما قيمة الفيلا الانيقة ذات المفروشات الفخمة والزينات الرائعة والحديقة الغنـاء التى كنت أحلم بها بعد أن فقدت اينع زهرة واجمل زينة كان فى خاطرى أن أزينها بها ·

لم تكن احلامى فقط هى التى توقفت ·· عقارب الساعة أيضا ·· فالدنيا فى نظرى لم تعد تسير ، بل حتى الأحداث من حولى فقدت أوزانها وكأنها قد انتقلت الى الفضاء اللانهائى فكما لم يعد هناك شيء يمكن أن يفرحنى مهمـا كانت قيمته لم يعد أمر باستطاعته أن يحزننى مهمـا بلغ

سواء اذا ما قارنته برحيلك عنى ٠٠ أصبح كل ما تأتى به الايام من أحداث فى نظرى سواء ٠

كان هذا حالى منذ فقدتك يا محمد لاهدف أعيش من أجله ولا فرج انتظر قدومه ٠٠ وما أقسى الحياة بدون أمل ٠ حتى مساء أمس توضأت وصليت وذكرت الله كثيرا حتى أنام،كنت اتلهفعلى النوم ومنذ ذلكاليوم المشئوم لم انم نوما عميقا وانما كنت اغفو فقط غفوات قصيرة أقوم منها صارخة مذعورة ولم آكن أريد النوم لذاته أو لراحتى ٠٠ وانما أملت أن أراك فى الحلم بعد اذ حرمت منك فى الحقيقة وامس جئتنى فى الحلم هل كان حلما حقا ؟٠٠ اكاد اشك فى ذلك ٠٠ واحيانا يخيل الى أنك حضرت بذاتك واننى لم أكن نائمة ٠٠ ولكنى كنت ابكى ، واذا بيدك تلمس كتفى وتربت عليها وانت تقول بصوت حنون « ماتعيطيش يا ماما ، معلهش علشان خاطرى ، وانتى زعلانه وبتعيطى ليه ؟ كل الناس بتموت ٠٠ لكن قليلين جدا اللى ربنا بيكرمهم ويختارهم الى جواره شهداء ، وعشان كده أنا مبسوط وسعيد فى حياتى الجديدة فى الجنة وانشاء الله لما يأذن ربنا ويئون الاوان ٠٠ حنتقابل هناك ونعيش سوا فى امان من غير ما نخاف من أى شىء ، وهكذا يا محمد وجدت بعض العزاء ٠٠ فأنت لم تمت ولكنك ما زلت حيا فى قلبى ٠٠ وفى ضمير وطنك ، فقد كان فى امكانك أن تركن الى عملك السابق وهو أقل مشقة وأكثر دعة ولكنك كنت تبحث عن عظمة بلدك ورفعتها حتى قدمت حياتك فداء لها والشهداء لا يموتون وانما هم أحياء عند ربهم يرزقون كما وجدت الامل الذى أعيش عليه وانتظر بفارغ الصبر تحقيقه ولذا فأنا اليوم اهدأ نفسا حتى أننى استطعت أن أحضر الى هنا لأتحدث اليك ٠٠ لكى اعرفك اننى سأفعل الخير ما بقى لى من عمر وأواصل معاونة من كنت تعاونهم وسيشعرنى ذلك بالسعادة مرتين أولا احساس براحتك ورضاك وسعادتك اذا اكمل ما بدأت وثانيا أن ذلك البر قد يزيد فى كفة حسناتى فأدخل الجنة ٠٠ التى ستكون أكثر من جنة لأننى فيها سألقاك ٠٠٠ فى يوم ادعو الله من كل قلبى أن يكون قريبا ٠

العمل شرف

اقفلت كراريس الحساب خشية أن اخطيء فى الارقام فان ذهنى لم يكن خاليا .. كنت أفكر فى عم شلبى ، افكر فيه منذ رأيته أول مرة حتى اليوم .. كانت الفترة التى عاصرته فيها تمثل أهم مراحل حياتى .. دراستى .. تخرجى .. توظفى .. بل انهـا كانت تمثـل حيـاتى كلها .

عم شلبى .. من منا لايعرفه ؟ لم يكن هناك أحد فى الحلمية بأكملها لا يعرف عم شلبى وهو لم يكن يعمل عملا خطيرا حتى يحظى بهذه الشهرة العريضة ..بل لم يكن يعمل على الاطلاق الا اذا كان جلوسه طول النهار على الدكة الصغيرة أمام باب (ترزى الوجاهة) يعد عملا .

لم يكن هناك أحد الا كان يعيب عليه بقاءه بدون عمل ، ومعيشـته على كد أولاده وأولاد زوجته الخمسة .. كان الجميع يعجبون انه رغم طوله وعرضه وصحته وشاربه الذى يقف عليه الصقر لا يفكر أبدا فى العمل ومع ذلك يشغل العيال جميعا ما يكاد أحدهم يشـب قليـلا حتى يلحقه بعمل أى عمل واذا خطر لأى منهم أن يترك العمل لقسوة معلمه ـ مثلا ـ قسى عليه هو أكثر وصرخ فى وجهه :

ـ عايز تعيش عالة على ..؟

ولكن عجب الجميع واستنكارهم .. لم يتعد همساتهم لبعض ، فلم يكن أحد يستطيع أن يجابهه بذلك بل كان يشكو أحيانا لبعض أصدقائه كثرة المصاريف وكثرة الاولاد وانه وحده ـ المسكين ـ مسئول ليس عن أولاده فقط بل وأولاد زوجته أيضا :

تصور لما ييجى العيد ، أجيب كام فستان ؟ وكام جزمة ؟ وكام بنطلون ؟ والا كسوة الشتا اللى تقطم الوسط ، داغير المصاريف العادية

.. أجرة النور وقسط الراديو وأقساط الماكينتين ، وعلى كده العيال شغلهم ضعيف ولا بيكسبوش حاجة .. وكله على أنا ؟

ولم يكن رد أى صديق يزيد عن .. ربنا يعينك ويقويك يا عم شلبى ولست أشك فى أن كلا منهم كان يطوف بذهنه سؤال عن المصادر التى يكسب منها عم شلبى ما يصرفه على الاولاد . سؤال لحوح يريد أن يخرج من فمه ليصفع وجه عم شلبى ولكنه يعود ويحسبه فى حلقة ويغلق عليه شفتيه ، اما خوفا أو مجاملة .

والحق ان عم شلبى كان مجاملا وله أفضال كثيرة على الناس فالقاضى يعمل قاضى كما يقولون.. وقد كان قاضيا جدا ففيما عدا يوم الجمعة من كل أسبوع حينما يلبس الحتة الجوخ والبالطو القيافة والعمة المزهرة ،ويذهب لزيارة ابن عمه الشاويش محمدى الذى يقطن فى الهرم قريبا من نقطة الوسط التى يعمل بها ـ لم يكن يغادر مكانه أبدا ، ولذا فقد عمل قاضيا .

بل انه كان يقوم بعمل القضاء والنيابة والبوليس والسمسار والخاطبة ومحطة الاذاعة جميعا فى الحى ، وكان يبدأ يومه بالجلوس على الدكة الخالدة ـ وحده أو بجوار زوجته ـ يرقب الرائحتين والغادين يفض الخناقات التى تقوم فى الشارع أو يخلق خناقات جديدة فما تكاد تنشب خناقة ، أية خناقة حتى يقوم ويدخل وسطها ويرتفع صوته ويظل يقاوح ويهابر حتى يتم له فضها فيعود للجلوس فى مكانه منفوخا كالديك .

واذا تعذر عليه فضها كان يكون كل من الخصمين متمسك برأيه كان يعود الى دكانه ومعه الخصمين ويسمع من كل منهما شكايته ، وبعد ذلك يحكم بينهما ... فيبرىء أحدهما ويدين الآخر وفى تسعين فى المئة من هذه الاحكام كان المتخاصمان يقبلان حكم شلبى وينفذانه ..

وكان يحدث أحيانا أن تقوم احدى الخناقات بعيدا عن مقر قيادته .. وعندئذ يتطوع أحد المارة بالقيام بدور المراسل الحربى له ، فينبئه بمكان المعركة وأسماء الخصوم فيسرع اليها ولا يعود الا ومعه الاسباب والدوافع المباشرة وغير المباشرة للخناقة ، فيظل يحكيها طول اليوم .. فهو بالطبع لم يكن يقوم بهذا العمل لاسباب انسانية .. بل كان يريد أن يعرف الاخبار ليذيعها من ناحية .. وليشغل نفسه من ناحية أخرى..

ولكثرة جلوسه فى الشارع أصبح يعرف خفايا السكان وأسرارهم وطبائعهم ، ولهذا لم يكن هناك أب يقبل أى خاطب لابنته الا بعد أن



يسأل عم شلبى الرأى والمشورة ٠٠ وكان لرأيه دخل كبير فى اتمام أو رفض أية زيجة ، ولم تتم فى الشارع صفقة بيع عقار ٠٠ أو تأجير شقة أو دكان الا وانحشر فيها ٠٠ وما من مشكلة قامت بين اثنين الا وأسرع يحكم بينهما ويعرض عليهما حلوله ٠٠

ولذا فلا عجب أن يحظى بكل هذه الشهرة التى جعلت من دكانه علما من أعلام الحى ٠٠ تضرب بجواره المواعيد ، وتعرف الشوارع منسوبة اليه ٠٠

وربما ظن بعض الحديثين فى الحى أنه قد ولد فوق هذه الدكة ٠٠ لكثرة ما رأوه عليها فى ذهابهم وايابهم ٠٠ ولكن الذى يعلمه السكان القدامى ــ وأنا منهم ــ انه كان من حوالى عشرة أعوام يعمل ويكد كأى رجل آخر ٠٠ بل كان عمله فى منتهى الاهمية فى نظرى وقتها ٠٠ حينما كنت تلميذة فى مدرسة حسن المسرات الابتدائية ، وكان اكره ما اكرهه ٠٠ درس اللغة العربية رغم طيبة مدرسها « الشيخ مروان » ، الا أنه كان كل ربع ساعة ٠٠ يخرج علبة النشوق ويتنشق ، ثم يعطس عطسة مروعة يتطاير رذاذها فى وجه التلميذة المسكينة التى تجلس فى أول صف ، والتى لم تكن ٠٠ سواى ٠٠

وكنت ادعو الله أن تنتهى هذه الحصة سريعا ، وكنت أضع أملى فى تخليصى من هذا العذاب فى عم شلبى ٠٠ فمن غيره يستطيع أن ينهى الحصة ، وقدكان أطول فراش فى المدرسة فوكل له أمر الجرس ٠٠٠

وهكذا كان فى استطاعة عم شلبى أن يسعدنا أحيانا حين يؤذن بانتهاء الدراسة وأن يبعث القشعريرة فى أجسادنا أحيانا أخرى ، حين يعلن بدء اليوم الدراسى أيام الامتحانات وكنا جميعا نخشاه ونناديه بعم شلبى ، حتى المدرسين والمدرسات ٠ ٠ رغم صغر سنه الا أن جسمه الضخم ٠٠ وشاربه الكثيف المبروم ٠٠ ونظراته النافذة ، كانت تضفى عليه المهابة وتوحى باحترامه والثقة فيه ٠٠٠

وعندما انتهيت من دراستى الابتدائية ٠٠ قدرت انى لن أرى عم شلبى ثانية ولكنى منذأول يوم ذهبت فيه الى المدرسة الثانوية ٠٠٠ رأيته يجلس على دكة أمام دكان ترزى كتب عليه (ترزى الوجاهة) وعندما مررت أمام الدكان فى عودتى وجدته أيضا ٠٠ اعتدت بعد ذلك أن أراه كل يوم فى الذهاب والاياب ٠

وعلمت بعد مدة ، أنه فى فترة الاجازة ، كان يتردد على دكان الترزى الذى يعمل فيه ابنه ، ليعود به آخر النهار ، وهناك رأى سيدة تتردد على ذلك الترزى لتأخذ ابنها أيضا وفى انتظار انتهاء الاولاد من التشطيبات ٠٠ يدور حديث ذو شجون بين الاب والام ، فيعلم أنها أرملة ترك لها زوجها ولدا وبنتين وبيت ملك وعرفت هى أنه هو أيضا ماتت أم عياله وتركت له ولدين ٠٠ وأنه محتاس فى خدمتهما ويريد لهما وله ستا طيبة ، وقد كانت هى ترى فى نفسها ستا طيبة ٠٠ فلما استطاعت أن تلفت نظره الى هذه الحقيقة ٠٠ تم بينهما الزواج المرموق ٠٠

وكانت هى تحسد نفسها على هذا الزوج المهيب ٠٠ فأصبحت ترى الدنيا والناس من خلال نظرته وتركت له أن يسوس جميع أمورها فلم يضيع وقتا بعد الزواج ٠٠ اذ أخلى دكانا فى منزل الزوجة وافتتح فيه ترزى الوجاهة ٠٠٠ وجاء بابنه وابن زوجته فى المحل بعد أن تأكد أنهما شربا الصنعة وجاء بابنة زوجته لتساعد الزبونات فى البروفة ، وراح يرجو مدرساته السابقات أن يفصلن فساتينهن عنده ٠

واستقربت المدرسات المشوار ٠٠ اذ لم يكن الدكان يبعد عن المدرسة بأكثر من خمسين مترا ولذا أصبح فى استطاعتهن أن يعملن البروفة فى الفسحة ٠٠ وقلدتهن الطالبات فكثرت زبوناته وفتح الله عليه

.. فترك العمل واكتفى بأن يجلس طول النهار على هذه الدكة وبجواره زوجته . وهو يحكى وهى تقول آمين .

وقد رأيت زوجته كثيرا بالطبع .. وكنت أعجب للتناقض بين حجمه وحجمها فقد كانت تقريبا مكعبة .. وكنا نقول عنها عاملة زى ست بقجة .. ورغم أنى لم أعرف ست بقجة هذه .. الا أنها لا يمكن أن تختلف كثيرا عن آم فرغلى أو مدام شلبى .. أو مدام رويتر.. وكان الاسم الاخير أشهر الاسماء التى اطلقت عليها ..

فقد كانت أكبر ناشرة للاخبار فى الحى .. بعـد زوجها وأستاذها فى هذا الفن طبعا ــ وكنت اتردد عليها كثيرا بعد عودتى من المدرسة فقد عزمت اكراما لعم شلبى أن أحيك فساتينى عند ترزى الوجاهة ــ رغم أنه لم يكن وجيها كفاية ــ فكنت دائما أسمع عم شلبى يقص لزبائنه أخبار سكان الحى ..

وكانت زوجته مدام رويتر تساعده بتذكيره ببعض الوقائع اذا سها عن ذكرها ولكنه كان دائما يزجرها ..

ــ ياولية طب ما انا كنت حاقولها .. اسـكتى انتى بس .. انتى حاتعرفى أكثر منى .

ولم يمض طويل وقت حتى أصبحت أعرف أخبار الجيران جميعا .. فست أم موسى رغم قنزحتها تبيع ملابس زوجهـا لبتاع الهدوم القديمة السكسونيا .. وهذا الضابط الوجيه .. له شقيق بوستجى يحضر اليه أحيانا ليأخذ منه مساعدة وكان كثيرا ماينكر نفسه منه .. وست اعتدال تشاجرت مع زوجها وتركت له المنزل لانه رفض أن تعمل كحكا للعيد .

وكنت احس برنة الفخر فى صوته عنـدما يحكى خبرا .. وكان حصوله عليه نتيجة مجهود شخصى له ..

امبارح عزيزة هانم كانت باعتة ورقة لست كوثر مع خدامتها .. رحت ناده للخدامة وقريت الورقة حاكم أنا أعرف أفك الخــط كويس لقيتها طالبة من الست كوثر سـلفة خمسة جنيـه عشان تديهم للشيخ بخيت يعمل لها تحويطة تخلى جوزها ميطلقهـاش .. ثم يعلق عم شلبى من عندياته .

لكنه هو ضرورى حايطلقها عشان البت المصفرتة اللى بتشتغل فى البنك .. قالبه مخه .. وتمر أمام المحل فتاة صغيرة فيضحك عم شلبى عاليا ويقول ..

ـ جاتكم البلا ··· جيل زى الزفت ·· شايفة البت اللى ماطلعتش من البيضة دى ؟ امبارح جابت جاكتتها عشان تصلح كمامها ، عارفة لقيت فى جيبها ايه ؟·· جواب باعتـه لها الافندى الجربوع اللى سـاكن فوق السطوح فى بيت الالفى ·· وكاتب لها ·· الميعاد الساعة سـتة تحت الساعة والامضاء الواقع فى فخ حبك .. حموده ..

ومن وقتها أصبح يرمز لهذه الفتاة بذلك اللقب ·· وكان يقول لى وأنا أقلب الكتلوج :

فصلى زى الفستان ده ·· دى البنت بتاعة (فخ حبك) عملته وطلع هايل ..

وبمرور الايام كان ايراد الدكان يزيد فى يد عم شلبى ، ولكنه لم يقنع فاخرج ابنه الصغير من المدرسة والحقه صبيا عند احد الحلاقين وكان يقول اذا ناقشه احد :

ـ يعنى المدارس لزمتها ايه بس ؟ هو حيطلع خوجه .. ولا يعنى حايطلع خوجه .. مش يعرف صنعة يأكل منها عيش ؟ .. هو ضمن انى اعيش له على طول وأصرف عليه من عندى .. ؟

ويبدو انه تذكر فجأة بنت زوجته الكبرى ولام نفسه على تهاونه معها . وتركه اياها بدون عمل ولما كانت قد كبرت دون ان تتعلم صنعه ·· فقد سعى لهـا عند أحد معـارفه الكثيرين ـ وكان موظفـا بوزارة الصحة فألحقها بأحدى فرق التعفير ، وكانت تعد الطعام للاسرة وتغسل الغسيل بعد عودتها من الشغل وهكذا زاد عدد العاطلين من رعاياه فردا جديدا ..

وتمر الأيام والشهور تطوى السنين وهو لا يغير من عاداته ، فقط تغيرت الرحلة الاسبوعية من الهرم الى الامام .. عندما نقل ابن عمه للعمل فى هذه المنطقة وقد شرح لى ذات يوم السبب فى اختياره يوم الجمعة بالذات لهذه الزيارة عندما ذهبت يوما الى محله فوجدته يصيح فى ابنه وابن زوجته : ياواد مش تعمل همة انت وهوه وتخلصوا الشغل اللى فى ايدكم على أول الشهر .. عشان الزبائن تكون لسة قابضة وتدفع الاجرة فورى ؟ ··· ده ايه ده جاتكم البلاوى ··

ثم التفت الى وقال :

ـ اهو طول النهار حارق دمى معاهم عشان يشتغلوا زى الناس

.. عارفه لو ماكنتش قاعد قدامهم ماكانوش اشتغلوا خالص .. أنا قاعد لهم زى الاسد .. ماحدش منهم يقدر يبلط خمس دقائق .. وضحك وهو يقول :

ـ والله من غيرى مايساووا بصلة .. وانا حتى حارم نفسى من الخروج عشان اراقبهم ، ماليش غير يوم الجمعة اللى باقضيه عند ابن عمى ماهو باضرب عصفورين بحجر ، منه يكون فى أجازة من القسم .. ومنه يكون المحل قافل والعيال فى اجازة ومش محتاجين اللى يقعد على ايديهم .. فيبقى بالى مرتاح ..

ويومها قلت فى نفسى :

ـ لقد نسيت العصفور الثالث ياعم شلبى .. وهو انك لازم تاخد لك يوم اجازه تقفل فيه أبواب محكمتك ويستحسن بالطبع يكون يوم الجمعة تشبها بالمحاكم الميرى ..

على أن السماء مهما طال صفاؤها .. فلابد ان يمر بها يوما بعض السحب وكذلك حياة عم شلبى مر بها ـ بعد طول صفاء ـ عدد من السحب والعواصف .. ، وكانت أولى هذه .. العواصف .. يوم منعته زوجته من التدخل فى شئون ابنتها وزوجها الثانى ولاول مرة اغلظت له فى القول واسمعته ما يكره ...

وكان لها الحق فى ذلك فقبل عامين من هذه العاصفة تقدم للزواج من زكية الابنة الكبرى لأم فرغلى عريس يشتغل حاجبا فى احدى المحاكم وقد رفض عم شلبى هذا العريس .. ولكن أم فرغلى وافقت واصرت عليه فقد كان ثالث عريس يرفضه زوجها واعز امنية لدى أية أم ان ترى بناتها فى بيوت العدل ولم تكن أم فرغلى لتشذ عن هذه القاعدة ..

وتم الزواج بالفعل . ولم تمض شهور حتى دب خلاف عادى بين الزوجين فذهب اليها عم شلبى وابدى شهامة وغيرة على مصالح البنت وصمم على اخذها معه حتى يتأدب زوجها ، وقد سرت زكية كثيرا لهذه الحماسة من زوج أمها ودعت له بالستر ولكن ما كاد زوجها يرسل اليها ورقة الطلاق بعد اذ تعذر التفاهم بينه وبين عم شلبى ، حتى اخذت تتساءل عما اذا كان ما فعله زوج أمها فى مصلحتها حقا ...

وعاود عم شلبى السعى لاعادتها الى عملها ، وهكذا عادت الشقاء خارج المنزل وداخله حتى ارسل الله اليها بعد حوالى عام ـ زوجا آخر يشتغل حلاقا ..

ولكن حياتها معه لم تكن سعادة تامة فقبل ان تكمل العام قامت بعض الخلافات بينها وبين حماتها وسمع بهذه الخلافات عم شلبي ولم تكن زكية هي التي شكت فقد رضيت بقسمتها ولكن الذي جاء يشكو كان زوجها قال لعم شلبي ان والدته ست كبيرة وانه يجب على زكية ان تطيعها ولذا فهو يطلب من امها وأبيها أن يعقلوها فلم يكذب خبرا وذهب مع زوجته الى منزل زكية . وهناك اصرعلىأن يأخذها معه ... أو يؤجر لها زوجها سكنا بعيدا عن أمه ... ، ولكن أم فرغلى تدخلت ... وسوت الخلاف بلباقة بين ابنتها وحماتها ، ثم عادت مع زوجها ، الى دكانها ...

وهناك ... سمع صوت أم فرغلي يعلو لاول مرة على زوجها .. اخذت تعايره بأنه لا يكتفى بشغل الاولاد ولكنه يريد عودة زكية ليشغلها هي الاخرى ... ، وهددته بأنها لن تعيش معه اذا عاد الى التدخل في شئون ابنتها ...

وكان عم شلبي حكيما .. فأحنى راسه للعاصفة كي تمر .. وكان رده الوحيد عليها ...

ــ أنا مالى ... والله حتى أن قطعها حتت ماعدت متداخل ...

ولكن العاصفة الثانية كانت أشد وأعتى ... ورفض ان ينحنى لها ، فاقتلعته من على الدكة التي ظل يجلس عليها عشرة أعوام كاملة ... عشرة اعوام ظللت أراه فيها كل يوم ... أجل كل يوم .. فقد كان دكانه في الشارع الذي لابد لى ان اسلكه ... سواء في الذهاب الى المدرسة السنية .. أو الى ميدان السيدة لاركب أتوبيس ١٢ عندما التحقت بكلية الآداب ، حتى تخرجت في العام الماضي فاشتغلت .. بالتدريس ..

وقد كان سروري عظيما .. حين كان من حظى العمل في مدرستي القديمة مدرسة حسن المسرات فقد كانت قريبة من منزلى . وكان طريقى في الذهاب الى هذه المدرسة ... يمر أيضا امام عم شلبي ... ولكن بعد مضى أشهر على توظفى .. لاحظت انه قد مر حوالى أسبوع لم أر فيه عم شلبي على دكته العتيدة ولما سألت علمت بالفاجعة ..

كان ابنه الكبير كمال يحب ابنة زوجته الصغيرة رسمية التي تعمل معهم في الدكان ، ومن ثم طلب من ابيه ان يزوجه اياها .. ولكن رفض رغم الالحاح عليه من ابنه ومن ابن زوجته .. ومن زوجته نفسها ذلك

لأنه كان قد خطب لابنه ابنة اخيه التى تعيش فى الارياف ، ولابد ان يتم هذا الزواج ليريح اخاه فى قبره .

ولهذا السبب قامت الخلافات بين الزوجين ، وكانت البنت تحب كمالا هى الأخرى ولما علمت أن زواجها به لن يتم .. كانت تجلس حزينة مكسورة الخاطر واحيانا باكية .. وما تكاد أمها ترى دموعها حتى تثور على الذى كان السبب على زوجها ، وتنكد عليه :

ــ ليه .. ما احناش قد المقام ياسى شلبى ؟ انت مش عارف ان البيت اللى انت مجعوص فيه .. والدكان اللى سيادتك عمال بتأمر وتنهى فيها دى .. لها فيهم الربع ، وانت مالكش ولا سهم ؟ وايه يعنى بنت اخوك دى ؟ . السفيرة عزيزة .. الفلاحة اللى جايه من ورا الجاموسة .. والا بنتى اللى بنت مدارس ومتربية على الغالى ؟ .. ماتفتح شويه ياسى شلبى افندى ...

ومنذ ذلك الحين أصبحت الحياة مستحيلة بين الزوجين لاستمرار النزاع بينهما وزاد الطين بلة .. اذ لاحظ عم شلبى فى كثير من الاحيان .. همسات بين ابنه والفتاة .. أو بين ابنه وزوجته .. فخشى ان يكونوا بسبيل تدبير مؤامرة لوضعه أمام الامر الواقع ..

ولذا .. ففى أثناء احدى مشاجراتهما وقفت المسألة عند الطلاق .. واتفقا عليه .. وقد رأى هو فى هذا الطلاق هروبا براحته من أم فرغلى .. وهروبا بابنه من الزواج بالغريبة وترك بنت العم .. وهروبا بكرامته أيضا من لسان أم فرغلى الذى كان يلذعه امام الناس فينقص من هذه الهيبة والكرامة وهو الذى رآه الناس دواما الآمر الناهى فى البيت والدكان .. بل فى الشارع كله .

وبعد الطلاق .. اجر عم شلبى له ولابنيه حجرة فى منزل بعيد ، وفى أول يوم لهم فى المنزل الجديد اخذ ابنه كمال وذهب الى محل ترزى كبير واتفق مع صاحبه على ان يأخذ كمال عنده .. مقابل اجر أسبوعى محترم ...

ولكن لم يمض أسبوع واحد .. حتى ترك كمال الدكان الجديد ولبى نداء قلبه .. ترك كمال أباه .. وذهب الى أم فرغلى ودكان أم فرغلى و .. بنت أم فرغلى وهكذا تم زواج كمال من رسمية .. وقد صرفت أم فرغلى بسخاء على عمل ليلة عظيمة تكيد بها العوازل وقد عرض كمال على ابيه ان يعطيه مرتبا شهريا كجزء من ارباحه من الدكان

ولكن عم شلبى ادهش معارفه جميعا .. حين رفض باباء وشمم ان يأخذ مليما واحدا من الابن الذى قصر رقبته أماه اهله فى البلد ..

واكتفى بأن يعيش مع ابنه الاصغر الحلاق ولو ان اجره كان اقل من ان يعيشهما فى المستوى الذى كانا فيه قبلا ..

ويبدو ان هذه الصدمة كانت كافية لايقاظ شهامة عم شلبى بعد طول رقاد ولتصحيح فكرته عن الكرامة والكبرياء ..

ومر على هذا الانفصال شهران لم أر عم شلبى خلالهما سوى مرة واحدة .. وفى نهاية الشهرين اصطادتنى أم فرغلى ـ وانا فى طريقى الى المدرسة لتحكى لى ان فرج ابن عم شلبى الصغير قد فرز فى الجهادية وقبل ... ولبس كمان .. وضحكت وهى تردف ..

ـ اهم الخمسة نقصوا لاربعة .. وبعدين اثنين .. وبعدين واحد .. وبعدين مفيش .. ياترى عايش ازاى دلوقت ياشلبى ..

وكان هذا السؤال يطوف باذهان الكثيرين ، ولكنه ظل بلا جواب عدة أشهر .. فقد اختفى عم شلبى من الحلمية بأكملها بعد تجنيد فرج.

واليوم وبعد مرور ثلاثة اشهر على اختفائه .. اجل اليوم فقط كنت ذاهبة الى المدرسة وكنت اسير مسرعة .. فقد كدت اتأخر فى النوم وعندما اصبحت على باب المدرسة سمعت الجرس يدق فزدت سرعتى ..

ولكنى لم اكد ابلغ منتصف الحوش حتى وقفت مذهولة ... توقفت عن السير رغم تأخرى .. فقد احسست كأن اقدامى قد سمرت فى الارض ..

فهناك .. على بعد خطوات منى .. كان يقف عم شلبى بقامته المديدة .. وشاربه الكثيف وعمامته المزهرة .. يدق الجرس دقات رتيبة .. متواصلة ...

مَا أحْلَى الرّجوعَ إليهِ

ترددت قليلا عند الباب ·· ونظرت فى ساعتى فوجدت انه لا يزال أمامى بعض الوقت حتى ميعاد المكتب وكانت دقات الجرس ما تزال تدق وكأنها تدعونى للدخول .. فلبيت .

والواقع أن مكتبى بحاجة الى بعض الكراسى الجلد وسجادتين .. وربما وجدت ضالتى فى هذا المزاد بسعر أقل من المحلات ·

ياه ·· ما كل هذا ·· موبليات كثيرة ·· كثيرة بدون نظام وتحف عديدة معلقة بدون ترتيب تابلوهات على كل حائط ونجف فى كل مكان وسجاد يغطى كل شبر من الارض ، ليت المزاد يبدأ بالسجاد · أولا ·· اذ اننى لن أستطيع البقاء هنا أكثر من ساعة ·· ربما لايباع فيها ربع أثاث غرفة واحدة اذا استمر المزاد بهذا البطء ·· دقائق كثيرة تمر قبل ان يدق الدلال بمطرقته فتنتقل ملكية شىء من شخص الى آخر وتضيع فرص ويبتهج مزايد ·· ويندم آخر وصوت الدلال ومطرقته لا يكفان ·· بيانو ألمانى ·· طاقم فضية ·· فازة كريستال ·· آه هـذه السكرتيرة الحريمى الأنيقة .. ما أجملها لولا انه لا حاجة بى اليها اذ ماذا أفعل بها وأنا أعيش وحيدا · · ترى ماذا تحتفظ السيدات فى مثل هذه القطع الصغيرة صاحبة هذه السكرتيرة بالذات ·· ماذا كانت تحفظ فيها ·· خطابات غرامية ؟ ·· ان شكلها الجميل الدقيق لايوحى لى بغير ذلك ولكن كيف هانت على صاحبتها ولها مالها من ذكريات ، بل كل قطعة من هذا الأثاث الفاخر لابد لها فى نفس أصحابها ذكريات ·· فكيف يتخلون عنها هكذا ··

ولكن هل كان الانسان وفيا لأخيه الانسان حتى أنتظر منـه الوفاء للجماد على أننى لايحق لى أن أتكلم بهذه المرارة ·· انها لم تعاهدنى قط

عن الحب ولم تعدني أبدا بالوفاء ٠٠ من أول الأمر صارحتني بأنها تحب شخصا آخر وانهما متفاهمان على الزواج ٠

آه .. هذه سجادة ، ولكن لا .. انها كبيرة جدا .. لاأظن انني في حاجة الى واحدة في هذا الحجم ان مكتبي صغير وحجرة الزوار أصغر آه هذه السجادة ٠٠ انها صغيرة مناسبة تماما ٠٠ وبدأ أول المزايدين ٠٠ خمسين جنيه ٠ ٠ خمسة وخمسين ٠٠ سبعين ٠٠ يا للهول انها عجمي ٠٠ لا ٠٠ لاداعي من غير المعقول أن أفرش سجادة عجمي من أجل أن يدوس عليها الشيخ عوض أبو عوضين عندما يشرف مكتبي كي أرفع له قضية على المدعو حمزة عبد المقصود لأنه سرق من أرضه كوزين ذرة عامدا متعمدا ٠

وطارت السجادة الثانية من يدي أيضا ٠٠ معلهش خيرها في غيرها وأوقف الدلال المزاد لفترة راحة ، وقمت أنا اتجول بين المعروضات ٠ ٠ لاشك أن أصحاب هذه الأثاثات أغنياء فانها كلها ثمينة للغاية ٠٠ ترى هل كانوا سعداء بكل تلك الرياش والتحف ؟ والآن ماذا حدث ٠٠ بودي أن أعرف شعورهم وشعور ربة البيت على الخصوص وهم يبيعون أثاثها٠٠ أثاث عرس لم يمض عليه كثير ، كما يبدو عليه ٠٠ في المزاد العلني ، أكاد أوقن بأن ربة هذا البيت تفرط في أثاثها وهي مغلوبة على أمرها ٠٠ وان الغلطة وسوء التدبير مرجعها الى زوجها فان السيدة ٠٠ أية سيدة تعتز بأثاثها جدا ولا تتخلى عنه الا للضرورة القصوى لدرجة أنهم يشبهونهن بالقطط من حيث كونهن عشاقا للمكان ٠

مسكينة المرأة ٠٠ الرجل يخطىء وهي تدفع الثمن ٠٠ على أنه ربما لم يكن في الأمر خطأ أو تجن ، ربما يبيع هؤلاء السكان أثاثهم ليشتروا خيرا منه ٠٠ أو ربما كانوا مسافرين وصاحبة الأثاث بهذا السفر جد سعيدة ٠٠ ألا ليتهم يكونون كذلك حقا ٠

وحاولت أن أبدد الملل الذي بدأت أحس به وأقطع الوقت حتى يعرض شيء أريده ٠٠ فنقلت انتباهي من قطع الأثاث الى وجوه الحاضرين محاولا أن أستشف من وجوههم وملابسهم الأشياء التي يريدون شراءها من هذا المزاد ٠

هذه الفتاة الصغيرة لا ريب انها عروس ومعها والدها ، وفجأة سمعتها تتحدث بصوت عال :



انتم كنتم بتقولوا نشترى نجفـة والا تابلوه بس ٠٠ مش نجيب الجهاز كله قديم ٠

آه مأذكانى ٠٠ اننى أصلح محللا نفسانيا مهولا ٠٠ ولكن لاداعى خلى الجماعة بتوع علم النفس ياكلوا عيش ٠٠ واغرانى ذلك النجاح على تكرار المحاولة ٠ هذا الرجل الذى يلبس فى يديه خاتمين غريبى الشكل وفى ربطة رقبته دبوس على هيئة جعران وعصا من الأبنوس لاريب أنه من هواة التحف القديمة ، وهذا المعلم الضخم الجسم والشوارب لا ريب أنه غنى حرب رأى أحد جيرانه الأثرياء يقتنى ثلاجة كهربائية فأراد هو الآخر أن يحصل على مثلها وهذه السيدة الأنيقة التى تحاول أن ترى وجهها فى كل مرآة أو لوح زجاج تمر به لتصلح خصلات شعرها ٠٠ انها لن تشترى شيئا قط ٠

وهذا الأفندى الذى يمسك فى يده مسبحة ويمضى يتمتم فى سره ، يخيل الى أنه لايريد سوى سجادة صلاة ٠٠ وهذه السيدة السمينة أراهن

أن شيئا لن يلفت نظرها سوى أطقم الصينى والسرفيس ، وهذا الرجل الأصلع ذو النظارات السميكة والذى يجلس بعيدا سارحا فى دنيا أخرى لايعرفها سواه ٠٠ لا أظن انه سيزايد على أى شىء خارج حجرة المكتبة أما هذا الذى يدندن وهو يهز رأسه منسجما فلا بد أنه أتى وراء البيانو ٠

أما هذه السيدة التى يكاد يغلبها النعاس فربما اشترت حجرةالنوم وهذه الفتاة ٠٠ أوه انها نفس الفتاة الاولى العـــروس وكانت لاتزال ثائرة :

ـ أنا عارفة ان العفش جديد ولوكس وبتاع عروسه ، لكن وشه شؤم ٠٠ شوفوا صاحبته جرى لها ايه ٠

ياترى صحيح جرى لها ايه ! تركت وجوه المشترين وعدت أفـكر فى سيدة هذا المنزل ٠٠ لست أدرى لماذا ، فلتكن حزينة متألمة لضياع عفشها ولكن ما شأنى أنا ، لقد أتعبت رأسى من التفكير ٠٠ وكذلك تعبت قدماى من اللف ٠٠ سأبحث لى عن مقعد أستريح عليـه حتى يستأنف المزاد ٠

وفى غرفة الصالون وجدت المقعد ٠٠ هناك على المنضـــدة كانت طقطوقة صغيرة بها أعقاب سجائر تحكى قصة الزائر الأخير ٠٠ أو ربمـا كانت الجلسة الأخيرة لرب المنزل ٠

يحسن بى أن أقوم ٠٠ اننى لن أجد أشياء متوسطة تصلح لمكتب ، وأنا بالطبع لا ٠٠٠ ياالهى ٠٠ من هذه السيدة ؟ ٠٠ هل تكون هى ؟٠٠ نعم انها هى ٠٠ هى بكل تأكيد ماذا أتى بها ياترى وماذا تريد من هنا ؟ ولكن ٠٠ اننى لم أرها بين المتزايدين فى أية غرفة أخرى ٠٠ يبدو أنهـا ٠٠ هل هذا معقول ؟ ولكن ماذا يعنى جلوسها حزينة ساهمة فى فستان بسيط أقرب الى الملابس المنزلية وليس معها حقيبة يد سوى أنها هى فعلا ربة هذا المنزل ؟

هذا غريب جدا ٠٠ هل هناك فعلا ما يسمونه بالحاسـة السادسة ولهذا كنت مهتما بأمر ربة البيت كل هذا الاهتمام ٠

واذن ففؤاد كان كما سمعت عنه فعلا والا فما الذى أوصل أثاث منزلهما الى يد الدلال ٠٠ مسكينة عايدة ٠٠ قلبى معك يا عايدة ٠٠ هل يحق لى يا ترى أن أذهب اليها وأحدثها ولكن ربما ظنت أننى أشمت بها أو ربما لم تكن تريد أن ترانى اطلاقا ٠٠ اننى لم أنس آخر مقابلة لى معها كانت مقابلة عاصفة للغاية ٠٠ غضبت منى أشد الغضب حين حذرتها من

فؤاد وأخبرتها انه مدمن مراهنة وان القمار فى دمه ، وانه فى الغـــالب لايريد الزواج منها الا طمعا فى مالها ·

ولكن هل تظل غاضبة منى حتى اليوم ·· وبعد أن تأكدت من اننى لم أكن أكذب عليها ، عدت أراجع نفسى من أين لى أن أعرف أن الأمور كانت كما تصورتها ، آه ·· بودى أن أعرف حقيقة ما حدث ولكن هل يليق أن اسألها ·· فى هذه اللحظة دخل أحد الخدم ليخبر سيدته أنها مطـلوبة للتليفون وانتظرت حتى قامت ثم أسرعت خلف الخـــادم ·· واستطعت أن أكسب ثقته بعلبة من السجائر ·· فعلمت منه أن تصورى كان فى محله وزاد عليه أن سيده قد اختفى تماما قبل توقيع الحجز على المنقولات ·

يا للتنازل ·· أيتركها وحيدة ؟ ·· أين ذهب ·· آه لو استطعت العثور عليه ·· ولكنى لا أريد قط أن أعثر عليه ·· فمن مصلحتى أن تظل عايدة وحيدة وفى هذه اللحظة دارت معركة بين قلبى وضميرى الذى احتج بأننى شرير كبير لاننى أريد أن تبقى عايدة وحيدة ·· ودافع قلبى عن نفسه ·

ـ ولكن ما ذنبى أنا ·· هذا حدث وحده دون أن أتمنى حتى حدوثه وعلى فرض اننى تمنيت ذلك فهل أنا القدر حتى تنفذ كل رغباتى ـ مجرد سرورك لأحزانها جرم ـ وماذا تساوى بضع قطع من الأثاث ـ أنت تعلم أننى لا أتحدث عن الأثاث فهى حزينة لفراق فؤاد الذى تعلم جيدا كم تحبه هل تظن أنها ما زالت تحبه حتى الآن وبعد كل ما حدث ألا تعلم أن الحب الكبير قد ينقلب الى حقد كبير بسبب تصرفات كهذه ؟ ـ ربما ـ بل اننى واثق ـ ولكن ··· ـ صه ·

عادت عايدة فصاح قلبى من ضـــميرى أن اسكت ولا تزد ولست أدرى هل صمت فعلا ·· أم عاد يتحدث ولكنى أنا الذى لم أرد سماعه ·· أعرت كل أسماعى وعنايتى واهتمامى لدقات قلبى وهى تهتف من جديد بالاسم الحبيب · هى ايضا قد عرفتنى ·· انها تبدو كما لو كانت تريد أن تحدثنى ولكنها تعود وتعدل ·· فى كل مرة تنظر الى أرى فى عينيها كلاما تريد قوله لى ·

ترى هل اكتشفت الآن انها كانت مخطئة اذ رفضتنى واستمعت لنداء قلبها الذى غرر بها ·· هل تريد أن تقول : «ليتنى سمعت كلامك » وهل تقبلنى الآن اذا كررت طلبى ليدها ؟ شجعتنى نظرتها على أن أذهب

اليها ، فلو كانت تضيق بمحادثتى كما اخشى لما عادت الى الصالون والمنزل كبير كما رأيت ٠

ـ مساء الخير يا عايدة ٠٠ هانم ٠

ـ مساء الخير ياسعد ، والا عاوزنى أنا كمان أقولك يا أستاذ سعد ٠

ـ أنا آسف يا عايدة ٠٠ أصلها كانت مفاجأة لى أنى أقابلك بعد الغيبة الطويلة دى ٠

ـ الدنيا كلها مفاجآت ٠٠ لكن أنت المسئول عن الغيبة الطويلة دى كان ممكن نبقى أصدقاء وانا فعلا كنت محتاجة لك جنبى يا سعد ٠٠ لانك مخلص وانسان :

وخشيت أن يسارع قلبى فيتفاءل ويبنى القصور فى الهواء ٠ ٠ فنظرت الى عينيها أحاول أن أقرأ فيهما ما تعنى ٠٠ ولكن لم يكن فيهما تعبير ما ٠٠ كانتا ساهمتين كأنها كانت تنظر بهما الى لاشىء ٠٠ طول حديثنا وهى تتحاشى أن تلتقى عيناها بعينى ٠ وتهرب بنظراتها الشاردة الى لوحة صغيرة معلقة فوق رأسى ٠٠ لست أدرى لماذا ٠٠ اننا كنا زملاء بالجامعة ٠٠ فمن غير المعقول أن يكون ذلك حياء منى ، كما انها لم ترتكب فى حقى ذنبا يجعلها تخجل من مواجهتى ، فلكل انسان الحق فى أن يحب من يشاء ، ولكن ربما كانت هى تظن فى نفسها أنها أساءت الى ٠٠ مع أنها لم تفعل وحتى اذا كانت فعلت فقد نسيت أنا كل شىء ٠

كم تمنيت أن أقول لها ذلك حتى تترك خجلها وتنظر الى ٠٠ ولكنى لم أكن متأكدا من سبب شرود نظراتها ، فى أول الأمر ظننت انها تنظر معجبة الى لوحة رائعة ٠٠ فالتفت برأسى بحركة لا شعورية وسارعت هى تقول :

ـ دى لوحة ٠٠

ولم أكن قد رأيتها جيدا فقلت لها :

ـ دى لازم لوحة ثمينة ٠

ـ ثمينة ؟ ٠٠ ، أبدا ، اللوحة الكبيرة الى قدامك دى هى ثمينة صحيح « وكنت قد رأيتها طبعا ٠٠ كانت لوحة رائعة حية لرسام مشهور اما دى فلوحة تافهة ٠

ـ أصلك كنتى باصه لها على طول قالت بدهشة :

ـ أنا ؟ ٠٠ ولا كنت شايفاها خالص ٠

وكنت قد تمكنت من رؤيتها ٠٠ فوجدتها فعلا محاولة رديئة لرسام مبتدىء ٠٠٠ وقلت لها :

ـ ده يظهر اللى رسمها واحد هاوى ٠
ـ فعلا ٠٠ وهى ماكانتش تصلح أبدا للصالون لولا انه هو اللى كان راسمها ٠٠ فؤاد ٠
وعدت أنظر الى اللوحة بدهشة ٠٠ كانت تمثل كوخا صغيرا يقبع كالعش وسط حديقة واسعة غناء وتحت خميلة ظليلة بهـا تجلس امرأة تبتسم فى سعادة وخلفها رجل يحيطهـا بذراعيه فى براءة الملائكة ٠ وقالت فى تهكم ساخر :
ـ دى كانت أول هدية قدمها لى وقاللى ان دى أحلامه مرسومة على الورق ٠٠
ثم أردفت بمرارة :
ـ حتى ريشته كانت خداعة زى الفاظه ٠٠
وأردت أن امتحن عواطفها فقلت وكأننى أواسيها :
ـ مين عـــارف ٠٠ يمكن يندم على الطريق اللى كان ماشى فيه ده ويبعد عنه ٠٠ وترجعوا لبعض تانى ٠
وانتفضت عايدة كأن حية قد لدغتها وقالت وهى تنظر الى بحدة واستنكار وعتاب بالغ :
ـ أنا ٠٠ أرجع له تانى ؟ ٠٠ أنا ٠٠ انت بتقول ايه يا ســـعد ٠٠ انت اتجننت أنا دلوقت أتصور العمى والا أتصوروش ٠٠
وسكتت قليلا وهى تلهث وتلتقط أنفاسها ثم استأنفت تقول :
ـ أنا دلوقت كرهته ٠٠ ولا يمكن أرجع له تانى ولو شنقونى ٠٠
وسكتت مرة أخرى وهى تضغط شفتها السفلى بأسنانها كأنهـا تحاول أن تمنع الدموع التى كانت تلمع فى عينيهـا من السقوط ٠٠ واحترمت المها فلم اتكلم ، وســـاد الصمت بيننا برهة حتى قطعته هى فجأة وكأنها تحاول تغيير الحديث :
ـ انت ما كنتش عارفنى والا ايه ؟
ـ ازاى بقى ٠
ـ والا يمكن كنت لسه زعلان منى وعشـــان كده ما كنتش عايز تكلمنى ٠
ـ أنا أزعل منك يا عايدة ؟ ٠٠
أنا ؟ انتى مش عارفة أنا كنت يا ٠٠ باعزك قد ايه ٠
ـ دا كان زمان ٠

ـ وايه الصلة بين الزمان وبين العواطف ٠

ـ تفتكر كده ؟ ٠٠ ده انت أثرت موضـــوع كنت بافكر فيه من شوية وما قدرتش أوصل لرأى تفتكر ياسعد ان الحب مابيموتش ؟

وخفق قلبى بعنـــف وكأنه يريد أن يقفز من صـــدرى ليرتمى تحت قدميها حتى تتأكد ان حبى له لم يمت ٠

ـ الحب مش ممكن يموت يا عايدة ؟
اذا كان حب حقيقى صادق ٠

ـ طبعا أنا باتكلم عن الحب الحقيقى الصادق ٠٠ فيه ناس بيقولوا ان الزمن والفـراق بيقـدروا يمحوا الحب من أى قلب مهما كانت قوة الحب ده وقلت بحماس شديد :

ـ أبدا ٠٠ أبدا ٠٠ لا فرق الأيام والســنين والا فرق البعـد والأميال يقدروا ينسوا المحب المخلص فى حبه ٠٠ الحب ٠

ـ مش متصورة ٠٠ انت نسيت انهم بيشبهوا الزمن بالغبـار اللى بيغطى الأحزان والأفراح والآمال ٠٠ وكل شىء ٠٠ لحد ما يدفنها ٠

ـ كل شىء جـايز ٠٠ الا الحب ٠٠ واذا كانوا بيشـبهوا الزمن بالغبار فهم كمان شبهوا الحب القوى بجمرات النار ٠٠ وجايز الغبار يغطيها لكن عمره ما يطفيها ٠٠ وأول حاجة تنفخ الرماد ده زى مقابلة الحبيبين بعد غياب طويل مثلا ٠٠ يرجع النار تتوهج أكثر من الأول ٠

وتنهدت عايدة تنهيدة حارة وهى تقول :

ـ لكن ساعات بتبقى فيه ظـروف ثانية مش بس تخلى الواحـد ينسى اللى بيحبه ٠٠ لكن تخليه كمان يكرهه ٠٠ اذا كان حبيبه ده ظلمه وإساء اليه ٠

ـ مش معقول أبدا ٠٠ ده ما يبقــاش بيحب ، الا اذا كان بيحب نفسه اللى بيحب عمره ما يفتكر اساءة حبيبه ٠٠ وبالعكس دايما بيحاول يلتمس له الأعذار ٠٠ وربما أقنع نفسه فى بعض الاحيان انه هـو اللى غلط فى حقه ٠٠

ـ تفتكر كده يا سعد ٠

ـ مش بافتكر ٠٠ ده أنا متأكد ٠

ورفعت الى وجهها وقد شاعت فيه لأول مرة ابتســامة الارتياح وهمست لى :

ـ ما تتصورش قد ايه ريحتني واسعدتني وأحييت الأمل في قلبي ٠٠ يا سعد ٠

يالله ٠٠ لقد كدت أقوم من مكاني لأقبــل يديهــا وأهتف بهــا ٠ وانت اللي أحييت قلبي من تاني هل كانت تظن ان حبي لهــا قد انتهى ٠٠ انها اذن لم تكن تعرف قدر هذا الحب بالضبط ٠٠ ولكني أقنعتهــا بصــدق عاطفتي وحمــاس مرافقتي ٠٠ انني محام ناجح ٠٠ لقد كسبت القضية أهم قضية في حياتي قضية قلبي وحب عمري ٠

في تلك اللحظة سمعنــا أصــوات الدلال والمزايدين تقترب فعادت تبتسم لي وهي تهز رأسها باستخفاف وتهمس كأنما لنفسها :

يا خدوا كل حاجة ٠٠ ما عادش يهمني ٠

بدأ الدلال بالنجفة ثم بالســجادة ٠٠ ورست كلتاهما على مزايد ثري ولا شك ٠٠ فقــد عرض فيهمــا ثمنــا باهظا ، ثم بدأ الحاضرون يزايدون على طاقم الصالون نفسه وتخطى الرقم المائة جنيــه عنــدما لاحظت التغير الكبير الذي طرأ فجأة على عايدة وزاغت عيناها وتقلصت يداها على ظهر أحد الكراسي واصفر وجهها ونضح بقطرات من العــرق٠ وارتعشت شفتاها وخيل لي انهــا ستسقط مغشيا عليهــا ٠ فأسرعت اليها لاسندها فبادرتني بلهف ؟

ـ أنا عايزة منك خدمة يا سعد ٠٠ يا ترى تقدمها لي ؟

ـ طبعا يا عايدة ٠٠ ولو طلبتي روحي ٠٠

ـ متشكرة يا سعد ٠٠ أنا عارفه انك صديق مخلص ٠٠ كريم ٠٠ اسمع ٠٠ فيه حاجة هنا في الفيلا تهمني جــدا ٠٠ أكثر من العفش ده كله ٠٠ حاجة غالية على جدا أغلى من عيني حاجة متهيألي اني حافقد روحي لو فقدتها ، وزي ما قلت لك عائلتي كلهــا خارج القطر الأيام دي ٠٠ وما كانش فيه وقت أستنجد بواحدة صاحبتي ٠٠ وكمان ما هانتش على كرامتي ٠٠ وانت الوحيد اللي تقدر تنقذلي الحاجة دي من ايدين المزايدين ٠٠ وفي أقرب فرصة حاسدد لك الدين ده ٠٠ الدين المادي طبعا ٠٠ لكن حافضل طول عمري مديونة لك بجميل ما أقدرش أوصفه لك ٠

ـ بس كده يا عايدة ٠٠ ؟ كنت عايز أقدم لك خدمة أكبر من كده

ـ دي أكبر خدمة ممكن أن احد يقدمها لي ٠

وفي تلك اللحظة خرق اذني صوت مزايد يعرض في طاقم الصالون

مائتين وخمسين جنيهاً ولم يقف المزاد عنده بل استمر الرقم فى الارتفاع ٠

فقلت لعايدة وقلبى واجف :

ـ لكن دا أنا ما معاييش ربع المبلغ ده دلوقت ٠٠ هم أظن ما بيقبلوش شيكات لكن أنا حاعمل آخر جهدى ٠٠ ولكنها قاطعتنى وهى تضحك :

ـ لا ما تخافش ٠٠ الحاجة اللى باقولك عليها حيكون ثمنها رخيص جدا ٠

ـ طيب ايه هى عشان ادخل المزاد أول ما تتعرض ٠

ـ اللوحة دى ٠

وزاغت عيناى بين اللوحتين متجاهلا اشارة رأسها وأنا أسألها ببلاهة ٠

ـ أى لوحة ؟

تمنيت ساعتها لو أن سمعى وبصرى أصابهما خلل مفاجىء فنقلا الى طلبها مغلوطا ولكنها كررت اشارة رأسها باصرار هادىء :

ـ اللوحة دى ٠٠ اللى رسمها فؤاد لأحلامه ٠٠ وأحلامى ٠٠

حين كنت أغادر الفيلا مررت بالصالة وكان أحد الحاضرين يعبث بمفاتيح الراديو محاولا أن يديره ليختبره قبل أن يزايد عليه ٠٠ وفجأة انطلق صوت نجاة الصغيرة الجميل أو الذى كان جميلا فى نظرى حتى نصف ساعة مضت ٠٠ ولكنه فى هذه اللحظة بدا لى وكأنه المطارق تدق رأسى وهى تكرر « ما أحلى الرجوع اليه ٠٠ ما أحلى الرجوع اليه ٠٠ ما أحلى الرجوع اليه ٠٠

الأمل الثالث

فتحت عينى ٠ استويت قاعدة فى فراشى ٠٠ وأنا أحس برأسى يدور كما لو كنت أركب احدى مراجيح الهــواء ٠٠ وأخذت أحاول أن أتبين أين أنا ٠٠ حتى أدركت أخيرا أننى فى غرفتى ٠٠ أو الغرفة التى كانت غرفتى قبل أن أتزوج ٠٠

وتساءلت بينى وبين نفسى ٠٠ ترى ما الذى أتى بى الى هنا ؟ ٠٠ ولم أجد أحدا بالحجرة ٠٠ فاتجهت بسؤالى الى الأثاث لكنه بدا لى وكأنه هو الذى يسألنى لماذا عدت ثانية ٠٠ وقد تغير كل شىء ؟

لم يكن بالحجرة كثير من الأثاث ولكن كل قطعة فيها كان لها فى نفسى ذكريات ٠٠ حلوة ٠٠ أو مرة هذه الذكريات ؟ ٠٠ لست أدرى

وعدت أدور بعينى فى الحجرة حتى وقعتا على النافذة ٠٠ وحينئذ شعرت بغصة فى حلقى لقد عرفتنى هذه النافذة بفريد فأفسد على أياما كثيرة من حياتى ٠٠

كانت نافذتى تقابل نافذته تماما وقد طالما وقفت قبالتها ٠٠ أستمع الى حديثه ٠٠ واشارته وأتلقى رسائله ٠٠ وكان دائما يطلب مقابلتى فى الخارج ، لكنى كنت أرفض ـ رغم حبى له ـ لانى من أسرة محافظة ، الى أن ترصد لى يوما ٠٠ وأنا عائدة من المدرسة والح على حتى صحبنى الى احدى الحدائق حيث صارحنى بحبـه ٠٠ ورغبته فى الزواج منى ؛ وقد عاهدته بدورى على أن أكون له ولكنى اشترطت عليه الا نتقابل فى الخارج ٠٠ وأن يجتهد فى دراسته حتى يتخرج سريعا ـ كان قد بقى له عامان ـ فنحقق آمالنا ٠٠

تلك الآمال التى كانت مدار أحلامى ٠٠ فى يقظتى ومنامى ٠ لقد كان فريد دائما فى كل حلم ٠٠ مرة أرانى بجواره فى الكوشــة وقد ارتديت ثياب الزفاف ٠٠ وأخرى أرانى فى حديقة عشــنا الجميل ٠٠

وتالثة ٠٠ ولكنى ما كدت أصل الى هذا الحد من تفكيرى ٠٠ حتى سمعت صوتا عاليا ٠٠ التفت الى مصدره فاذا بمكتبى الصغير وقد فتح الهواء بابه بعنف ٠٠ وظلت عيناى مثبتتين فى المكتب مدة طويلة ، كأنهما قد شدتا اليه بخيوط غير منظورة ٠

كيف نسيته ؟ لقد كانت حركة بابه بهذا العنف بمثابة احتجاج على هذا النسيان ٠٠ أجل لم تكن أحلامى كلها وقفا على فريد ، بل نصفها فقط ٠٠ والباقى لهوايتى التى كنت أحبها لدرجة الجنون ٠٠ تأليف القصص كنت اقضى الساعات الطويلة على مكتبى أكتب ٠٠ وساعات طويلة أخرى أحلم باليوم الذى أصبح فيه كاتبة مشهورة تنشر المجلات اسمى تحت قصص ٠٠ وتتنافس شركات السينما فى الحصول على قصة ٠٠ منى ٠٠

كنت شديدة الثقة بموهبتى ٠٠ بل كنت أعتقد أن قصصى سوف تغير مجرى حياة القصة المصرية وكنت أبعث بنتاج قلمى الى جميع المجلات خاصة مجلة « المستقبل » لكن مرت الشهور دون أن ينشر لى أى شىء وبالتالى لم تغير قصصى مجرى حياة القصة ٠٠ وانما غيرت شيئا آخر ٠٠ الرجل الذى يرتدى بدلة السهرة ويجلس بجوارى فى الكوشة ٠٠

كنت أظنه سيكون « فريد » ولكنه كان الدكتور خالد ٠ ولعلنى أول فتاة تكتب قصصا لا تؤهلها لأن تكون كاتبة قصصية مشهورة ٠٠ بل تؤهلها لان تكون زوجة كاتب قصص مشهور فقط كان خالد هو بنفسه رئيس تحرير مجلة المستقبل ٠٠

وقد قابلته لأول مرة فى أحدى المكتبات ٠٠ كنت أشترى أحدث كتاب لخالد عندما دخل هو وطلب بعض الكتب ، فتقدمت اليه وأعربت له عن اعجابى الشديد به ٠٠ ولكنى هاجمته فى نفس الوقت لعدم رده على قصصى ٠٠ فابتسم فى وجهى وهو يقول : ــ

ــ ربما ضاعت فى البريد فأنا لم أتسلم شيئا هل معك الآن شىء من انتاجك ؟ واجبت بالنفى طبعا ثم استأذنته فى الذهاب اليه بما كتبت فى مكتبه بالمجلة فاذن لى ٠٠ وعندما عرضت عليه أولى قصصى ٠٠ أشار على ببعض التعديل ثم لما عدت اليه بعد التعديل أشار بتعديل جديد ٠٠ وكان يشجعنى على الاكثار من القراءة والكتابة ٠٠

وكثر ترددى عليه ، وفى احدى المرات نحى الورق جانبا وهو يقول :

ـ فلنتحدث فيما هو أهم ٠

ـ وقلت له في شيء من الاستياء :

ـ انني لا أجد ما هو أهم ٠

فاقترب مني وهو يقول :

ـ ولكنى أنا أجد ٠٠ اسمعى يانوال ٠٠ برغم انى كاتب صناعتى صياغة الجمل المنمقة على ألسنة أبطالى ٠٠ الا انى مش لاقى ولا جملة من دول أقولها لك ٠٠ الظاهر لانى شايف ان العاطفـة اللى بحسـها نحوك مش فى حاجة لتجميل ولا تنميق ٠

وسكت لحظة كأنه يسترد أنفاسه ثم عاد يقول :

ـ نوال ٠٠ أنا بحبك ٠٠ وعايز أتجوزك ٠٠ ايه رأيك ؟

وعندما رأى الدهشة على وجهى استطرد

أنا عارف أنى أكبر منـك ٠٠ لكن تأكدى انى حاكرس كل جهودى ووقتى لاسعادك



وأخذ ينتظر ردى فى لهفة مشوبة بالتوسل ٠٠ وبعد لأى استطعت أن أقول كلمة واحدة

ــ حافكر ٠٠

وقد فكرت ٠٠ فكرت طويلا ٠٠ ثلاثة أيام وثلاث ليال ٠٠ كنت فى حيرة بين أملين ، حبى لفريد ٠٠ وهوايتى ، فاننى اذا تزوجت « خالد » فانه بالطبع سيفتح لى صفحات مجلته فينفتح أمامى حينئذ باب المجد ٠٠ثم يأخذ بيدى ويساعدنى فى الوصول الى قمته ٠٠ وأخيرا وصلت الى قرار

ولم تكن موافقتى على الزواج من خالد بسبب خصامى مع فريد بل فى الاسبوع السابق حين ظهرت نتيجة امتحان الدور الثانى فاذا بها مثل نتيجة الأول فغضبت منه وقلت له ان الذى يريد الزواج لا يضيع وقته بهذا الشكل وخاصمته ــ ولكن ترجيحا للأهم على المهم فقد كنت فى كل أحلامى من زمان احس ان أملى الاول والاكبر هو هوايتى للكتابة ٠٠ وان حبى لفريد يأتى فى المقام الثانى ٠٠

ووافقت والدتى أيضا ، برغم انى كنت فى الثامنة عشرة وخالد فى الأربعين وقد دخل جسمه فى حرب مع الزمن ، كسب هو بعض مواقعها ــ فقد كانت تبدو عليه الصحة والحيوية ــ ولكن هزمت فيها عيناه ٠٠ واستعانتا بحليف قوى من النظارات السميكة حتى تستطيع الاستمرار فى الحرب أما شعره فقد تقهقر أمام الزمن الزاحف ثم تحصن فى أواخر رأسه ٠٠ ولكن العدو استطاع التســلل بلونه الابيض حتى فى داخل الحصون الاخيرة السوداء ٠

ولكن يبدو أن والدتى ــ وقد توفى والدى ولم يترك لها شــــيئا عداى وطفلين فى العاشرة والســـابعة ــ كانت ترى ان المركز المرموق والمرتب الكبير خير من الشباب والجمال وهكذا أصبحت زوجة للدكتور خالد وانتقلت الى فيلته الأنيقة ٠٠

ومر شهر العسل سريعا ، وبعدها لم أضيع الوقت ٠٠ فعكفت على الكتابة ٠٠ وكان خالد يخرج الى عمله فى الصباح وأسرع أنا الى غرفة المكتب وأغلقها على نفسى وأظل أكتب ٠٠ ثم أمزق ما كتبت لاعيد كتابته من جديد ٠٠

وعندما كنت أنتهى من قصـــة كنت أعطيها لخالد لينشرها لى فى مجلته ٠٠ كان يبدى بعض الملاحظات أو التصليحات ، وأخيرا يقول لى ٠٠ اكتبى غيرها ٠٠ وكتبت غيرها وغيرها ، ولكنه لم يرض قط عن شىء من

انتاجى ، وظننت وقتها انها أنانية منه ٠٠ لا شك أنه لا يريدنى أن أكتب ٠٠ لا يريد أن أولى هوايتى بعض الاهتمام بل يريد أن يكون له كل اهتمامى فاظهرت له استيائى ٠٠ وعندئذ وعدنى بأن ينشر لى قصة بعد أن يصلح من أسلوبها وحين أرانى القصة بعد التصليح ٠٠ لم اجد بها أى شبه بقصتى بل كانت قصة جديدة وعندما جاهرته برأيى هـــذا اذا به يخرج لأول مرة من هدوئه ويصيح فى ضيق :

ــ بقى اسمعى ٠٠ أنا كنت فاكر انك بعد الجواز حاتعقلى وتسيبى لعب العيال اللى بتعمليه ده ولما لقيتـــك متعلقة بيه ٠٠ حاولت كثير أن أوجهك لكن مافيش فايدة ٠٠ أسلوبك ركيك زى ماهو انا ماكنتش عايز أصدمك لكن كان لازم انتى من نفسك تفهمى من كلامى انك مش ممكن حتكونى قصصية أبدا ٠٠ فاهمة ٠٠ أبدا ٠٠ ما عندكيش استعداد بالمرة ولا موهبة ولا سعة خيال والفن ده لاتصلحى له اطلاقا ٠٠ فمفيش داعى تتعبى نفسك وتتعبينى ٠٠

كدت اصعق عندما سمعت ذلك كان كلامه كأنه قنبلة أطاحت بكل الامانى التى انفقت الليالى الطـــوال فى تشييدها ، فجلست على أحد الكراسى وأخذت أبكى ٠

واقترب منى وأمســك برأسى فى حنـــان ، وأخذ يجفف دموعى ويعتذر ولكنى صرخت فى وجهه ٠

ــ كان لازم تقوللى كده من الاول ٠٠ من قبل الجواز

ــ وايه الفرق ؟ ايه اللى كان حيتغير ؟

ــ كل شىء كان حيتغير ٠٠ أحب تعرف ان السبب الوحيد لجوازى بك كان انك تساعدنى فى نشر قصصى ٠٠ وتمهد لى طريق الشهرة ٠

وكان ردى عليه رد المثل ، كان كأنه قنبلة انفجرت فى وجهه ٠٠ ولمحت آثارها فى امتقاعه وذهوله ٠ وكان كمن ضرب على أم رأسه فجأة ٠٠ وظل برهة صامتا ٠ ثم تركنى وانسحب الى حجرته ٠

وأثناء العشاء لم يحدثنى الا الحديث الضرورى جدا ، وبدا لى انه متأثر مما قلت ولكنه فى اليـــوم التـــالى غير خطته وأخذ يظهر لى حبه ورعايته ٠٠

ومضت أيام حاول فيها من جانبه محاولات عدة كسب حبى ، ولكنى

أوصدت قلبى دونه ·· اذ كان يحز فى نفسى اعتقادى اننى خدعت فى هذا الزواج غير المتكافىء ·

ومرت الأيام وكان كل يوم يمر يزيد الهوة اتساعا بيننا ، وكف خالد عن محاولة التقرب منى ، وكان يبدو كرجل أهين فى عواطفه ·· وبالفعل كانت كل تصرفاتى تحمل النفور منه والسخرية من حبه ·

كانت حياتنا الزوجية تحتضر بعد أن أخفق أمل كل منا فى الآخر وأصبح حديثنا رسميا واتخذت حجرة مستقلة لاأبرحها طالما هو فى المنزل ·· فقد اصبحت أمقته وأنظر اليه على أنه غرر بى · لو انه لم يعترض حياتى لتزوجت « فريد » الذى كنت أحبه ·· ولحققت على الأقل أملى الثانى · ولكنه كان كما يقول المثل «لامنه ولا كفاية شره» ورأيت انه لم يعد هناك داع لأن يربطنى رباط الزواج برجل أكرهه فطالبته بالطـــلاق ووافق فورا ·· متعللا بأنه لا يريد سوى سعادتى ·· وقد أدهشتنى جدا هذه الموافقة السريعة ، وشككت فى أن يكون تغيبه فى الخارج سببه العمل كما يدعى ، بل رجحت ان هناك حبا جديدا فى حياته ·· حقا ان الرجال لا يعرفون الوفاء فى حبهم ·

وان كان قد أدهشنى من خالد موافقته بسهولة على الطلاق ·· فقد أدهشنى من نفسى أكثر ضيقى بهذه الموافقة ، وغيرتى من فكرة وجود حب جديد فى قلبه ولكننا على أى حال حددنا يوم الطلاق ·

غير انه قبل حلول هذا الميعاد بيومين ·· مرضت أمى مرضا شديدا وعندما ذهبت اليها مع خالد لنعودها قالت لى :

ـ أنا اذا مت يانوال ·· حاموت مطمئنة عليكى · مطمئنة انك فى رعاية راجل طيب كريم ، بس الاولاد ·· ابقوا خلوا بالكم منهم ، وانت ياخالد ·· أنا مش رايحة أوصيك على نوال ·· أنا عارفة انك حاططها فى عينيك ، انما أوصيك على يوسف وحسين ·· واعتبرهم زى اخواتك الصغيرين ··

ـ انتى بخير يانينا ، وان شاء الله حتقومى بالسلامة ، أما يوسف وحسين فهم اخوتى الصغيرين فعلا ·

وقبل أن أطلب منه أن أبقى بجوار والدتى ·· طلب هو منى ذلك وقال لى وأنا أوصله حتى السلم :

ـ طبعا حكاية الطلاق دى تشيليها من راسك اليومين دول ·· لحد والدتك ماتروق خالص ·· مافيش داعى تحمليها هم فوق همها ··

وأخذ خالد يزورنا يوميا ليطمئن على والدتى ، وازدادت عنايته فعلا باخوتى وبشئونهم ، وبعد بضعة أيام تحسنت صحة والدتى كثيرا، فطلبت منى أن أعود الى منزلى ·· ولكنى رفضت حتى تشفى تماما ·· وأيدنى خالد فى ذلك ·

وكنت أرى « فريد » دائما من نافذتى ·· وأخذت أحن للماضى وأذكر أيامه بالحسرة متمنية أن تعود ·

وكل انسان يفشل فى تحقيق أمله الاول ·· يتجه بكليته للامل الثانى ولذلك سررت عندما قابلت « فريد » صدفة ذات يوم – وكنت ذاهبة للاجزخانة – ورددت تحيته وأنا أبتسم وسرنا سويا ·· وسألنى

انتى غضبانة من جوزك ؟

– لا ·· أصل ماما تعبانه ·· وأنا جايه عشان آخذ بالى منها

– ياخسارة ·· زعلتينى كنت فاكرك غضبانة ··· والا اطلقتى حتى ·· ورجعت لى آمال زمان اننا برضه نكون لبعض ·

وتنهدت وأنا أقول :–

– هو اللى راح ·· بيرجع ·· ؟

فقال فى حماسة :

– يرجع قوى ·· ليه لا ؟ أنا مازلت باحبك أكثر من زمان

وافضيت اليه بأن زواجى قد فشل ·· واننا بسبيل الافتراق ·· ففرح جدا بهذا النبأ ·· وجددنا عهود زمان وقد طلب منى أن أرافقه فى نزهة احتفالا بعودة المياه الى مجاريها بيننا وعودة الحياة الى قلبه – على حد تعبيره – ولكنى افهمته ان ضميرى لا يسمح لى بأن اتنزه مع رجل·· وأنا زوجة لرجل آخر واستمهلته حتى يتم الطلاق ··

ولكنه مع ذلك كان يصبح على من النافذة كل يوم ويرسل لى بقبلة فى الهواء ·· كما عادت الى رسائله الطائرة ·· يبثنى فيها غرامه ويشكو لى لهيب النار التى عليها ينتظر طلاقى لنحقق حلمنا القديم بالزواج ··

وعندما استطاعت أمى مغادرة الفراش ·· ألحت على فى أن أعود الى منزلى ·· وهناك أخذ فريد يحدثنى يوميا بالتليفون ، رغم انى طالبته مرارا بأن يكف عن هذه المحادثات خشية أن يعلم بها خالد ·

حتى حدث ذات يوم ان ذهبت الى حديقة الاســماك للترويح عن نفسى وهناك فوجئت برؤية فريد يتأبط ساعد احدى الفتيات ودهشت. وتتبعتهما دون أن يريانى حتى جلسا تحت شجرة وأخذ هو يصــب فى أذنها كلماته المعسولة ٠٠ نفس الكلمات التى كان يرددها لى لا تنقص حرفا ولا تزيد حتى لقد كدت أشك فى انه يخفى معه جراموفونا عبأ على اسطواناته هذه الكلمات ٠

وأحسست كأن خنجرا قــد اغمد فى قلبى ، ولكن ٠٠ لدهشتى لم يقتلنى هذا الخنجر ، وحتى لم يجرحنى ٠٠ بل لقد شفانى ٠٠ كأن كأنه مبضع جراح ماهر ٠٠ استأصل به الوهم من قلبى، وأزال الغشاوة عن عينى ٠٠ فاستطعت أن أرى فريدا على حقيقته وأعرف حبه المزعوم لى على حقيقته أيضا ٠

بل وأدركت اننى أيضا لم أكن أحبه ٠٠ والا لمــا قابلت خيانته بهذا الاستخفاف وتأكدت اننى لم أحبه يوما ٠٠ والا لما تركته بسهولة ارضاء لهوايتى ، لم يكن حبى له فى الماضى أكثر من لعب عيال ، وفى الحاضر أكثر من محاولة لتضميد كرامتى ٠٠

والحق اننى وقتها كفرت بالحب كله واعتقدت انه ليس أكثر من لهو وعبث ولكنى عدت وأدركت مدى خطأ هذا الظن ٠٠ عندما استرجعت تصرفات خالد معى ٠٠ عندما احبنى ، لم يكن لهوا وعبثا قط وانما كان حبا صادقا من قلب مخلص ٠٠

لقد طلب منى الزواج فى نفس اللحظة التى صارحنى فيها بحبه٠٠ ولم يغرقنى بكلمات الحب والغرام ، وانما اغرقنى بحنــانه ورعايته ، لم يكن يردد لى كثيرا انه يحبنى ، ولكن اهتمامه بأمرى ومحاولاته الدائمة لاسعادى كانت تؤكد لى ذلك ٠

ولكن ما الفائدة من ادراكى ذلك الآن ٠٠ بعد أن قررنا الانفصال خير لى أن أرتب أمورى على أساس الحياة وحيدة ٠٠ بعيدة عن خالد ٠٠ وهذا هو جزائى على اعراضى عن حب كبير ، وتهافتى على حب رخيص ٠٠ وان كنت قد حاولت أن أبرىء نفسى أمام ضميرى ، وأقنعه اننى لأستحق هذا العقاب لاننى تصرفت هكذا مدفوعة بصغر سنى وقلة تجاربى ٠٠ أجل ٠٠ أصبحت أعتبر حياتى بدون خالد عقابا ٠٠ فقد ظللت اسبوعا كاملا أحاول أن أبحث عن شىء يكرهنى فى الحياة مع خالد ٠٠ أو يزين لى البعد عنه ، فلم أعثر الا على فقاقيع خلقتها كبريائى ٠٠

كنت كلما حاولت ان اتذكر بعض نقائصه او اساءاته لى ، لم اجد . بل على العكس كان كل ما تذكرته عنه يزيدنى اقتناعا بطيبة قلبه ٠٠ ونبل معاملته لى لقد كان يدللنى كطفلة ، ويحاول أن يستشف الأشياء التى تسعدنى فيفاجئنى بها والسهرات التى أحبها فيصحبنى اليها ٠٠ والزهور التى أفضلها فيحملها الى وكنت أقابل كل ذلك منه ببرود وكم احتمل من برودى ومن سخافة تصرفاتى معه ٠

كنت كلما تذكرت ازداد ارتفاعا فى نظرى ٠٠ وازداد حزنى للنهاية المؤسفة التى سينتهى اليها حبنا فقد اكتشفت اننى أحبه ٠٠ بل أعبده ٠٠ ليس فقط بعد اكتشافى لخداع فريد ٠٠ بل منذ زمن طويل فقد أدركت الآن فقط لماذا تألمت لموافقته السريعة على الطلاق ٠٠ ولماذا كنت أنتظر بلهفة موعد زيارته لوالدتى وهى مريضة ٠٠ ولماذا تناسيت تذكيره لموضوع طلاقنا بعد عودتى لمنزله برغم الحاح فريد لقد كنت أحبه من أعماقى ٠٠ ولكن أعمانى العناد والمكابرة عن هذا الحب فلم أعد أعلم بالضبط حقيقة عواطفى ٠٠

ولكنى الآن تأكدت انى أحبه وان حياتى بدونه ستكون عذابا متصلا ٠٠ واصبح املى الجديد منحصرا فى محاولة استرجاع حبه لى ، وكان هذا هو ثالث أمل لى ولكنه أول أمل يقوم على الحقائق وليس على أوهام ٠٠ وآخر أمل أستطيع التعلق به فلو تحطم هو الاخر ٠٠ لتحطمت حياتى كلها ولم يعد لى ما أؤمل فيه

وأخذت أحاول جاهدةأن أظهر له حبى ورعايتى لاموره ، ورغبتى فى عودة الوئام بيننا ، لكنى لم أفلح فى ذلك قط ٠٠ فلم تعد معاملته لى ٠٠ معاملة مشوبة بالرقة ولكن بتكلف وتحفظ ٠ وظل يعود الى المنزل متأخرا كل ليلة ويذهب الى حجرته مباشرة ٠٠ متجاوزا حجرتى برغم انه كان يرى النور مضاء بها ٠ وذات يوم انتظرت عودته فى الصالة وما ان رآنى حتى بدا عليه الاهتمام وسألنى هل أنا مريضة حتى يحضر لى الطبيب ؟ ولما نفيت له ذلك غادره اهتمامه ٠٠ وحيانى تحية المساء ٠٠ وذهب الى حجرته ٠٠

وكان أكثر مايعذبنى اننى لا أعرف السبب فى عدم تجاوبه معى ٠٠ هل لم يفهم محاولتى بعد ؟ أو فهمها ولكن جاءت بعد فوات الأوان ٠٠ بعد أن مات حبه لى أو بعد أن تعلق بحب جديد ؟ لم يكن فى استطاعتى أن أترك التلميح وأصرح له بعدولى عن فكرة الطلاق ٠٠ وأعتذر له

عن تصرفاتى التى كانت وليدة طيش وعناد خشية أن يكون هـو الذى أصبح متمسكا بالطلاق ٠٠

مر على محاولاتى هذه أسبوعان لم يكف فيهما فريد من محـــاولة الاتصال بى تليفونيا ، ولكنى كنت أسارع بوضع السماعة مكانها حالما أسمع صوته ، وأخيرا جاء بنفسه لمقـــابلتى بكل صفاقة ٠ وقد قابلته ببرود وطلبت منه ألا يعود لمضايقتى ، وأكدت له اننى أحب زوجى فقط٠ ولن أحب سواه طول عمرى ، واننى أريد أن أعيش معه فى سلام ٠

وأخذ يتوسل الى وأنا أنظر اليه ببرود ولا أرد ، فقد كنت أسائل نفسى بدهشة كيف أحببت يوما هذا الفتى التافه (المسبسب) شعره كالبنات ؟

وأخيرا خلع آخر قناع كان يغطى وجهه ٠٠ وهددنى بأنه سيخبر زوجى بخيانتى معه فصحت فيه باحتقار :

اخرس .. انت عارف ماكانش بينـا اى حـاجة تمس شرفى والامر كله ما اتعداش مشاورات الشبابيك ومكالمات التليفون ٠٠

ـ اللى أنا عارفه حاجة ، واللى أقدر أقوله حاجة ثانية ٠٠ أقـــدر مثلا أؤلف له روايات طويلة تخليه يشك فيكى ٠٠٠

وصرخت فيه :

ـ اخرج بره ٠٠

ـ خليكى عاقلة ٠٠ وتأكدى انى باحبك ٠٠٠

وكان يقترب منى وهو يتكلم حتى أمسك بذراعى ٠٠ فعدت أصرخ فيه :

باقولك اخرج بره ٠٠

وفى هذه اللحظة رأيت خالد يدخل الحجرة ٠٠ ليقول لفريد بكل برود :

ـ أظنك سمعت الهانم وهى بتطردك من البيت .. ؟ مستنى ايه

وخرج فريد ذليـــلا فى حين ذعرت أنا ٠٠ اذ ماذا سيظن بى خالد ؟ وأحسست بالارض تدور بى ، وكان هذا آخر ما وعيت .. ويبدو أننى أغمى على ٠

لم أكن احتاج لذكاء كثير .. لأعرف الفصل الاخير من الرواية ، والذى حدث بعد اغمائى ، اذ ماذا يمكن أن يدل عليه وجودى فى منزل والدتى بعد أن دخل خالد الصالون فجأة ليجدنى مع فريد ..

وأفقت من خواطرى على دخول والدتى الحجرة ، وما كدت أراها حتى سألتها :

ــ ماما .. ايه اللى جابنى هنا ؟ هو خالد طلقنى ؟

ــ طلقك ؟؟ ازاى ؟ لكن غريبة .. انت النهارده الحمد لله .. بتتكلمى كويس ولا بتخطرفيش ..

أخطرف .. ؟؟

ــ امال .. دانت بقالك خمسة أيام حرارتك مرتفعة وبتخطرفى ، من يوم ما اغمى عليكى فى بيتك والدكتور قال ان عندك حمى .. وخالد كان عايز يجيبلك ممرضة ، لكن أنا صممت انى أنا اللى أخدمك وجبتك هنا عشان ماقدرتش أسيب اخواتك لوحدهم ..

وسألت بصوت هامس :

وهو .. مابيجيش يسأل على ؟

ــ مابيجيش ازاى؟ دا النهارده أول يوم يسيبك عشان وراه مأمورية مهمة دا كل يوم بيبجى من الصبح ولا يروحش الا بالليل خالص ، وهو اللى بيتولى كل الطلبات ودواك واكلك طول النهار .. وأنا باسهر معاك بالليل ..

غريبة ... ولا حسيت خالص .. خمسة أيام وانا مش واعية لكن بتقولى انى كنت باخطرف .. كنت باقول ايه ؟

ياختى انا عارفة ؟ أهو ساعة تقولى دا املى الثالث .. وساعة تقولى انا بريئة ماتحكمش بالظواهر .. الولد ده كداب ، ومرة تقولى انا بحبك ياخالد وعمرى ما حبيت غيرك ، وانت خلاص مش عايزنى .. لكن معناء ايه الكلام ده ؟

مالوش اى معنى .. ده هلوسه ..

انا كمان كنت باقول كده .. وترددت قليلا ثم سألتها ؟

ــ وخالد .. سمعنى وانا باقول الكلام .. ده ؟

ولكن قبل ان ترد دق الجرس و .. دخل خالد ، وبدا عليه الفرح بشفائي ، وما كاد يجلس بجواري حتى اسرعت اقول له :

ـ احلف لك ياخالد .. انى ماكانش بينى وبين فريد اى شيء ..

وقاطعنى وهو يطرق برأسه :

ـ انا مصدقك لانى سمعت كلامك معاه .. سمعت أوله بالصدفة وانا داخل اودتى وكنت يومها جيت بدرى لانى حسيت بتعب ـ ولما سمعتك بتزعقى اضطريت اقف ما كانش يصح انى اسمع كلام من وراء الباب .. لكن غصب عنى ..

وصمت .. وأخذ ينظر الى فى حين كان عدد من الاسئلة يتصارع فى اعماقى . ولكنى اغلقت فمى دونها جميعا ..

كنت أتساءل .. ترى هل صدقنى حقا .. ؟ هل سمع حديثى عن املى الثالث ؟ وهل فهم ؟ كان قلبى يتمنى ذلك وكبريائى لا تريد ، وكنت اتساءل ايضا .. اذا كان قد فهم فهل جاء هذا الفهم فى وقته ؟ أو فات الوقت ، ترى هل سيتحقق هذا الأمل هل سامحنى ؟ هل نسى فكرة الطـــلاق : هل .. هل .. مازال يحبنى كما كان يحبنى فى بدء زواجنا ؟ .. أم انحبه قد فتر ؟ .. وبرغم انى لم اتكلم .. فقد عرفت الرد على اسئلتى جميعا ..

عندما كانت شفتاه فى طريقهما الى فمى توقفتـا قليـلا بجـوار أذنى لتهمسا فيهما بصوت حنون :

ـ احب اقــولك يانوال .. ان املك الثالث هو املى الاول .. والأخير .

أمل بحري

أمل يجرى

كان له أمل واحد يحلم به ٠٠ أمل يجرى ٠٠ أجل فقد كان كل هدفه أن يمتلك سيارة ٠٠ وسبحان منوع الأهداف ٠

وقد بدأ حلمه فى امتلاك سيارة يراوده منذ كان طالبا بكلية الزراعة ، هذه الكلية التى تضم بالصدفة كثيرين من أصحاب السيارات٠

ولست أدرى السبب فى هذا .. ربما كان الاغنياء وأصحاب الاراضى يلحقون أبناءهم بها ليطبقوا العلم على العمل ، عندما يأتى الوقت الذى يرثون فيه الأرض بما حملت من الدواب والفلاحين ...

وكان مدحت يرى انه أحق بالسيارة من كل هؤلاء فانهم اذا دخلوا معه فى التفاخر بالأجداد فسينتصر هو بلا شك ٠٠ فأين المحدثون منه هو سليل الحسب والنسب الذى تمتد جذور شجرة أسرته العريقة الى أكثر من قرن من الزمان ٠

ولكن عراقة النسب ويا للأسف لم تكن عملة معترفا بها ، كان يعيش مع امه الأرملة فى أحد منازل الوقف الذى كان يستحق فيه نصيبا صغيرا ، وكان هذا النصيب مضافا اليه المعاش الذى يصل اليهما من الحكومة يكفى مطالبهما العادية ٠

أما عندما يستحق قسط الجامعة أو يحين موعد كسوة الشتاء.. أو أى طارىء آخر فقد كانت الأم تذهب الى البنك بعد أن تأخذ معها دفتر الشيكات وتسحب جزءا من كنزها المدخر .. الذى كانت تخفى مقداره عن الناس جميعا ٠٠ حتى ابنها ٠

وعبثا حاول الابن أن يطلب منها أن تشترى له سيارة ، فقد كانت

تخشى على حياة ابنها الوحيد من حوادث السيارات .. وعندما تخرج فى الجامعة رأى أن الوظيفة بمرتبها المحدود لن توصله الى السياره ابدا .. فاستطاع أن يقنع امه بأن تفتتح له محلا لمنتجات الألبان، وبعد حساب الارباح المتوقعة من هذا المشروع وجد انها لا تقل عن ثمانين جنيها مصريا ولكن .. لم تمض بضعة أشهر حتى أفلس المحل بعد أن كلف الارملة بضع مئات من الجنيهات ... وتنازل هو وقبل وظيفة مهندس زراعى ..

وكان كل من يقابله .. يراه شديد التفكير ، وقد سأله فى الأمر صديقه وزميله المقرب اليه أحمد :

ـ انت لسه بتحاول ايجاد فواكه بدون بذور .

ـ لا .. ماسبت البحث ده من زمان ..

ـ ليه ... فشلت ؟

ـ أبدا .. زهقت منه ، ولو كنت فكرت فى البحث ده نص التفكير اللى بافكره دلوقت فى الموضوع الثانى .. كنت أنتجت فواكه من غير بذور .. ومن غير قشور كمان ..

ـ وايه بقى يا سيدى الموضوع الثانى ده ؟
ـ بحاول ايجاد عربية .. من غير فلوس .
ـ هو أنت ما فيش فى مخك غير العربية ..
ـ هى دى أملى الوحيد .
وضحك احمد طويلا قبل أن يقول :
ـ يعنى أنت الأمل بتاعك بيجرى .. بيجرى زى عجل ..

وكان أشد ما يؤلمه حين يحسب ما ضاع فى محل الألبان ، وما انفقته أمه على القضايا العدة التى كانت تقيمها على ناظر الوقف .. فيجد أن المجموع كان كفيلا بأن يشترى له عربة لا بأس بها ، ولكنه كان يعود ويطمئن نفسه بأنها مهما تأخرت .. فهى آتية لا ريب فيها ..

واخيرا صدر قرار حل الوقف .. فظن أن الفرج قد جاء ، وانه لن تمضى بضعة شهور .. حتى يجد بين يديه « دركسيونا » محترما ولعل ذلك راجع الى أنه درس الزراعة ولم يدرس القانون .. فلم يكن يعرف أية اشكالات يستطيع نظار الوقف اثارتها ، وأية سلحفاة تلك التى أطلقوا عليها اسم المحاكم الشرعية ..



وظل ينتظر .. والأم المسكينة تنتظر ، والقضايا تنتظر وتتضاعف ومصاريفها تتراكم حتى تلطف القدر بالأم فتوفيت مأسوفا عليها ...

وحين ذهب مدحت لتسلم كنز أمه .. كاد يصعق عندما وجده لا يتجاوز مائتى جنيه ، وكان قد ألقى فى البالوعة التى يسمونها «المأتم» بربعها ولم يجد فائدة فى التفكير فى هل كان المبلغ صغيرا .. وأبت النعرة التركية عند أمه الا أن تضخمه .. أم أنه كان كبيرا واستهلكته المصاريف والقضايا . فالمهم أن المبلغ الموجود كان جد ضئيل .. فليحـاول اذن أن يشترى سيارة نصف عمر .

ولكن المائة والخمسين جنيها لم تستطع أن تأتى له الا بسـيارة « عشر عمر » .. وعندما اشتراها اشترى معها دوشة الدماغ ووجع القلب فى صفقة واحدة .

فعندما كانت تسير ، كان كل جزء فيها يصدر منه صـوت الـ .. الكلاكس ولم تكن تسير أكثر من عشرة أمتار .. الا وتحتاج « للناس الطيبين » الذين يحبون النبى لزقها .. وما أكثرهم لحسن حظه ..

وحدث يوما ان دعا للنزهة صديقة جميلة .. اعطته قلبها بمجرد ان شاهدت مفاتيح السيارة فى يده ...

وكادت تعطيه عرض أكتافها عندما شاهدت السيارة نفسها .. ولكنه اقنعها انها عربية أصيلة :

ـ ما يفركيش منظرها .. لكن العدة بتاعتها أحسن من العربيات الجديدة بس جربى ...

ووافقت ، وذهبا الى شارع الهرم ... وهناك توقفت فنزل منها وأخذ يتلفت حواليه ليدعو الذين يحبون النبى أن يزقوا .. ولكن يبدو انهم جميعا كانوا قد ناموا .. ولم يكن بالطريق سوى ثلاثة أو اربعة من أولاد الفلاحين بالقرى المجاورة ، فالتفوا حول السيارة .. وقال أكبرهم :

ـ هى دى عربية المستوصف ؟

فرد عليه من غيظه :

ـ أيوه .. امك بتولد ؟ ..

ـ لا .. ده لسه بدرى .. شهرها اللى يهل ..

ولم تطق الصديقة أكثر من ذلك ففتحت باب السيارة ونزلت وهى تقول :

ـ لما تبقى تحب تتفسح مع واحدة .. لازم تنقيها حكيمة .. والا تمرجية ..

ـ طيب مش تيجى تزقى معايا .. ؟

ـ والله ما اشتغلتش قبل كده « زقاقة » عربيات .

وعندما قال له الميكانيكى انها بحاجة الى بطارية وكاويتش والخ.. وأنه يطلب منه سبعين جنيها فقط وسيجعلها أحسن من الجديدة .. لم يكن معه سبعون قرشا .. فقد كان كل مرتبه وايراده يذهبان أولا فأولا على تصليح هذه الـ ٠٠ سيارة ولذا قرر أن يركنها فى الجراج الى أن يعدلها ربنا وعاد الى ركوب الأتوبيسات .. ففيها متسع للجميع .

وذات يوم كان يسير فى الطريق حين رآها .. سيارة فارهة ... رائعة الجمال .. كانت تقف بجوار الاشارة .. فأخذ ينظر اليها ..

ويملأ عينيه منها . ثم اجتاز الشارع ولكنه قبل أن يبلغ الرصيف الثانى عاد وتوقف والتفت خلفه لينظر اليها ثانيا .. فى نفس اللحظة التى فتحت فيها الاشارة فقامت السيارة ...

ولم تستطع السائقة أن تتفاداه فصدمته صدمة خفيفة القته على الأرض وحمله رجال الاسعاف الى المستشفى .

وفى اليوم التالى كان يحدث صديقه أحمد ـ عندما عاده فى المستشفى ـ عن السيارة حين دخلت الفتاة التى كانت تقودها فسمعته يقول لصديقه :

ـ كانت فى منتهى الجمال يا سلام .. انا أول ما شفتها اتسمرت فى مكانى .. وفضلت أبص لها .. حاجة تدوخ ، والله لو كنت مت فى الصدمة دى .. كان فداها .. كان كفاية أن التحفة دى هى اللى موتتنى

ـ ليه يعنى .. عمرك ما شفت زيها ؟ .. ما هم طول النهار ـ بيجروا فى الشوارع بالميات ..

ـ لا .. لا .. دى حاجة تانية .. انا شفتها مرة قبل كده واقفة قدام مينا هاوس . وساعتها برضه لفتت نظرى من دون كل اللى كانوا هناك واتمنيت يومهاانها تكون ملكى .. تكون لى انا ولو أتنازل عن نص عمرى ..

وسمع صوتا ناعما يقول بعد تنهيدة .

ـ ياسلام .. انت لطيف قوى . ورد بلا وعى :

هى الألطف والله ...

وقالت الحسناء التى دخلت الغرفة عندئذ ـ الله .. انت مش عارفنى والا ايه ؟ .. طيب ما انا هى .. صاحبة العربية .. والا عشان النضارة السودة يعنى .. ؟

وخلعت النظارة ، وفى هذه اللحظة استأذن الصديق .. وجلس هو ينظر اليها صامتا ، فا ستطردت :

ـ يا سلام .. عمرى ما سمعت كلام أجمل ولا أرق من كلامك ده .. خصوصا انك كنت بتقوله عنى من ورايا .. يعنى مش قصدك حاجة ..

وادرك أنها ظنته يتحدث عنها هى .. لا عن السيارة فحاول افهامها الأمر ولكنها قاطعته :

ــ أنا كنت جاية عشان أرجوك انك تتنازل عن المحضر ضدى ، لأن دادى لو عرف الحكاية حيمنعنى انى أسوق تانى .. لكن تعرف .. ان كلامك اثر فى قلبى جدا لدرجة انى انا كمان بقيت أشعر نحوك .. بنفس شعورك نحوى ..

ــ يا خبر .. ده امر خطير ..

وكادت تستلقى على قفاها من الضحك .. ثم تساءلت بدلال

ــ لكن .. كنت بتقول انك عايزنى أبقى ملكك .. ازاى ..

وهرش رأسه ليبحث عن رد لسؤالها .. واذا به يجد الحل لمشكلته القديمة ..

فما أن خرج من المستشفى بعد أسبوع ، حتى كانا قد اتفقا على الزواج ، بعد أن وعدته أن تقنع « دادى » به ، فهى وحيدته وهو لا يرفض لها طلبا ..

وبعد الخطبة كان كثيرا ما يدعوها للنزهات المختلفة ، وكان هو يتولى قيادة السيارة ... لقد كانت تحت أمرها طوال اليوم اذ لم يكن الأب يحتاجها كثيرا ، ولم يكن هناك من هو أسعد من مدحت بهذه العروس « الملاكى »

الى أن كان يوم ، ذهب فيه حماه الى النادى ليلعب القمار كعادته ، وبعد أن خسر كل نقوده .. وضع مفاتيح السيارة أمامه معلنا انه يلعب بها فخسرها هى الأخرى وعاد الى منزله سيرا على الاقدام ..

وعندما قصت فيفى الخبر على خطيبها اضافت اليه :

ــ دادى خلاص حلف ما يشترى عربيات تانى ، لأن دى تالت عربية تضيع منه على ترابيزة القمار .

وبذهاب السيارة كثرت الخلافات بينهما .. وانتهت الخلافات اخيرا بفسخ الخطبة .. وعندما علم صديقه احمد بالموضوع ، اقنعه بأن الفكرة فى حد ذاتها كانت معقولة ، وأن الخطأ كان فى التنفيذ .. ونصحه باعادة الكرة ، واعطاه عنوان سيدة كبيرة .. ارملة موظف كبير ، اتخذت لنفسها هواية جمع الرءوس فى الحلال ، وكانت تسمى نفسها

واسطة . وهى ليست اكثر من خاطبة « هايلايف » اذ كانت تقصر نشاطها على الأسر الكبيرة .

ولم يكذب مدحت الخبر .. فذهب الى العنوان ، وقابل هذه الواسطة التى لم تسمح له بأن يدخل فى التفاصيل ، الا بعد أن سرد على أسماعها مؤهلاته وتأكدت من عراقة أسرته ، واخبرها مقدما انه لن يدفع مهرا ..ولكنه سيقدم شبكة قيمة .. ومصمصت العجوز شفتيها وهى تقول :

– ياختى جرى ايه الايام دى لأولاد العائلات ·· النهاية طلباتك

ولم يطلب شيئا سوى أن تمتلك العروس سيارة .. ونبهها الى انه يشترط ان تكون السيارة خاصة بها وليست سيارة « دادى »

وعندما اتصل بها بعد مدة بشرته أنها وجدت العروسة ..

– عندها عربية ... ؟

– أيوه ..

– شكلها أيه ؟ .

– طويلة وبيضاء وشعرها ..

– شعرها دا ايه ؟ .. هو فيه عربيات بشعر ؟

– أنت بتسأل على العربية . ؟

– طبعا ..

– العربية ستروين سوداء ..

– لا ما تنفعش ..

– دى البنت متعلمة وجميلة ..

– لا ياستى .. ما تنفعش .. دى مش جايبه مصاريفها ..

وبعد أسبوع اتصلت به الخاطبة مرة اخرى واخبرته انها وجدت العروسة ، فذهب اليها احمد فابتدرته قائلة :

– لقيت لك عروسة ... لكن لقطة ..

فسألها باختصار :

ـ ماركتها ايه :

ـ ياختى .. دا ايه ده ؟ فيات يا سيدى .

ـ فيات دا أيه ! ؟ .. انتى مش عارفه انى مش واخد غير على ركوب العربيات الفخمة .

وقال أحمد :

ـ طبعا .. انت مش عارفه ان عمره ما ركب غير العربيـات المرسيدس !

ـ وقالت السيدة بدهشة :

ـ مرسيدس ؟ ! .. أمال راحوا فين ؟ ..

ـ ماراحوش .. أبو رجيله لسه بيشغلهم فى الدقى مطرح ماهو ساكن ..

ولم يبال مدحت بهذه السخرية فعاد يقول :

ـ مالهم كلهم « ماحيين » كـده ؟ .. نفسى يارب فى عروسـة كاديلاك ..

وقال له صديقه بعد أن خرجا :

ـ أنا أعرف واحدة عندها عربية كاديلاك ..

فسأله فى لهفة :

ـ فين هى ؟ ! ..

ـ تعال معايا ..

ـ وذهبا معا الى السيدة زينب .. وفى شارع السـد البرانى أشار الصديق الى عربة يد عليها بعض الحلوى ، وقد كتب على أحد جدران جوانبها بخط كنبش الفراخ « عربية كدلك » وقال :

ـ أهى ..

ـ ياما هزارك بايخ وزى السم ..

فأخذ أحمد يقلب فى الحلوى وهو يقول :

ــ ده زى السم ! .. دى حاجة كويسة والله ..

انت مش يعنى بالكثير حاتشترى بريال ؟ !

والتفتت اليهما البائعة وهى تقول بلهجة لا تنذر بخير : « نعم ؟ »

فاضطر مدحت أن يشترى بشلن ويرميه للأطفال أمام ضريح السيدة لأنه لم يكن يهوى أكل الطوب والزلط ..

وبالرغم من أنه أقسم الا يذهب لهذه الواسطة والا يتزوج من طريقها بعد مقلب صديقه .. الا أنها اتصلت به بعد أيام وقالت له ان العروسة « ماركتها أوبل » :

ــ تنفع .

وبعد أن عاين السيارة أعجبته العروس .. وتمت الخطبة وفى أول نزهة لهما بالسيارة ، وجهت اليه الخطيبة الطيبة ثمانية نصائح وانتقادات وأوامر طبية .

وظل الأمر بينهما على هذا المنوال .. اذا دعاها للغداء ، طلبت له الأصناف التى تحوى الفيتامينات والتى تتناسب مع ما تراه يلائم صحته .. بغض النظر عن ذوقه أو شهيته . وتمنعه من شرب الماء على الطعام خوفا من الغثيان .. واذا ذهبا الى أحد الكازينات على النيل تفاجئه فى عز الانسجام بقيامها واقفة وتدعوه الى الخروج لأن الجو اصبح باردا وقد يصاب احدهما بنزلة شعبية .. واذا صافح أحد اصدقائه .. أخرجت من حقيبتها زجاجة مطهر وأمرته بغسل يديه!..

وذات يوم رأته يهرش رأسه ــ وكانت تلك عادته عندما يفكر ــ فصاحت تأمرة بأن يحلق شعره ، فلا بد أن به بعض الحشرات !! .. وكانت هذه هى النهاية بينهما ، ففسخ خطبتها غير آسف على السيارة الاوبل الزرقاء وبعدها ذهب الى الواسطة وأخبرها أنه لا يريد موظفات قط ! . وأخيرا .. أخيرا جدا وجدها .. وارثة صغيرة تمتلك سيارة « شفروليه » .. وباع هو عربته الصغيرة واستطاع بثمنها وبمبلغ بسيط آخر كان يدخره أن يشترى شبكة لا بأس بها لم يزد ثمنها عن مائتى جنيه الا أنه قال للواسطة انها بثلاثمائة وثمانين ! ..

ولكن ما أن مضى شهر العسل حتى أحس أنه لم يكن موفقا فى هذا الزواج وراح يلعن صديقه وواسطته كل يوم عشر مرات .. ولم

جنس نفسه وان كان تواضعه قد حمله على أن يختص نفسه بعدد اقل من اللعنات على هذه الفكرة السخيفة التى سيطرت عليه بأن يتزوج.. سيارة .. وهو لا يعلم عن صاحبتها الكثير مما اكتشفه بعد الزواج فلم تكن تربيتها « الاسبور » تلائم بيئته المحافظة فكان التصادم بين الآراء يتكرر فى اليوم الواحد أكثر من عشرين مرة .

وعبثا حاول ان يجنب حياته الزوجية « المطبات » فيبدو أن « المطب » كان لازقا له فى « العجل » ! وفى احدى « المصادمات » « تحطمت » زيجتهما تماما ، ولجأ الى « عسكرى المرور » ذى العمة الكبيرة ليحول اتجاه كل منهما بعيدا عن الاخر ! .

ولكنها لم تكتف بذلك .. بل التجأت الى محكمة المرور المختصة بالنظر فى المصادمات الزوجية ـ المحكمة الشرعية ـ التى يبدو انها هى الأخرى قد التصقت بحياته ..

فقد تلقى اعلان القضية بعد أسبوعين فقط من انتهاء قضايا الوقف والفرز والقسمة ، وكانت القسمة أصعب الامور .. لان المستحقين كانوا يربون على المائة ! المهم انه باع نصيبه بأكثر قليلا من الألف جنيه .

وبالرغم من كثرة المناسبات التى مرت به ، فقد كان يحس يوم اشترى هذه السيارة الجميلة .. الجديدة من ماله الخاص ، ان هذا أسعد يوم فى حياته فانه كان كلما فشلت احدى خططه ـ وما أكثرها ـ يتذكر قول احمد ان امله يجرى .. فيتشاءم من هذا القول الذى قد يعنى ان امله هذا سيظل يجرى منه ولن يلحقه .. أما الآن فقد اطمأن ..

ولكن .. وآه من لكن هذه .. لم تدم سعادته أكثر من شهر ـ ويبدو انه كان محقا فى تشاؤمه ، فان الامل بعد ان تحقق عاد يجرى منه .. باسرع مما يستطيع هو اللحاق به ـ فبعد عام كامل من القضايا والمشاكل مع مطلقته حكمت لها المحكمة بمبلغ ثمانمائة جنيه .. متأخر ونفقة سنة .

ولما لم يدفع .. لأنه لم يكن يملك هذا المبلغ حجزت المطلقة على سيارته .. واستولت عليها !!

اما اليوم فلم يعد يفكر فى الطريق الذى يوصله الى الجنس فقد كانت كل الطرق ـ طريق امه .. وطريق المشروعات الحرة .. وطريق الزواج .. وطريق الوقف . وطريق مرتبه المحدود كلها تؤدى به .. الى الاتوبيس .

آنَ الأوانُ

احبته فى صمت .. فلم يعلم بهذا الحب احد قط ، حتى ولا هو نفسه .. ابدا لم تحدث بهذا الحب صديقة لها كما اعتدن هن أن يفعلن فقد كانت تعتقد ان حبهن لا يتعدى النزوات العابثة وان واحدة منهن لم تعرف الحب على حقيقته كما عرفته هى . الحب الصادق المتغلغل فى شغاف النفس .. الحب الكبير الذى ينبع من أعماق القلب .. الحب الذى يحتل كل ذرة من العقل .. وينبض به كل عرق فى البدن ..

والا فلماذا يتحدثن عن حبهن ويحكين عنه الحكايات والروايات ؟ والحب – الذى تنطبق عليه فعلا هذه الكلمة بكل ما تحوى من معان كما ترى وتؤمن .. مكانه فى القلب وليس على الشفاه وحبها المقدس الذى تسلل اليها من داخل جريدة أو من بين سطورتلك الجريدة يحوى كل تلك المعانى وأكثر منها ..

واحدة فقط هى التى عرفت بأمر ذلك الحب .. فقلب الام لايخطىء ابدا ولكن لم يكن فى وسعها ان تلومها فالحب فى حد ذاته حتى فى بيئتهم المحافظة ليس عيبا ولا جريمة ولكن العيبفيما قد يصاحبه من تصرفات او افعال اما سعاد فكانت كل اقوالها وافعالها فى حدود الادب والكمال ..

وهل يمكن ان ينتقد احد طالبة جامعية مثقفة اذا هى ابدت اعجابها الكبير بصحفى شاب معروف بآرائه الوطنية الجريئة ... حتى ولو احست أمها ان هذا الاعجاب يخفى فى طياته شيئا اكبر منه .

أويلوم لائم شابة فى مقتبـل العمر تهتم بأناقتها وتصفيف شعرها اهتماما معقولا لا يصل قط الى حد التبرج وهى تستذكر دروسها أو تقرأ بعض الكتب عصر كل يوم فى الشرفة بحثا عن نسمة هواء رقيقة تساعدها على الاسـتذكار .. حتى ولو لاحظت الأم ان رغبتهـا فى

الاستمتاع بالهواء العليل تأتى فى المرتبة الثانية بعد متعتها فى مخالسة جارهم الصحفى اياه النظرات وهو جالس قبالتها فى شرفة يقرأ ويكتب مادام ان الامر لم يزد عن تلك النظرات التى كانت من جانب واحد فقط للأسف .

اسف الأم وحدها .. فان سعاد كانت قانعة بحبها راضية بل وسعيدة به أما الام فلم تكن تختلف عن اية أم أخرى اعز أمنية لديها ان ترى بعينيها قبل ان تموت ابنتها تلبس الفستان الابيض والطرحة وبجوارها شاب انيق مكتمل الرجولة قوى الشخصية لامع الاسم مرموق المركز وكل هذه الصفات واكثر منها متوافرة فى الصحفى الجار

ولكن .. من ذا الذى كان يستطيع ان يجذب رأسه ليرفعها قليلا عن أوراقه فيرى الفتنة تروح وتجىء امامه على ساقين ؟

انه مشغول .. مشغول جدا والكل يعرف ذلك فهو الذى يكتب المقال الافتتاحى الذى يطالع قراء جريدته كل صباح .. كما انه يحضر جميع المؤتمرات الصحفية التى تقام فى العاصمة سواء فى السياسة الداخلية أو الخارجية ثم انه أيضا يصاحب كل تلك التحقيقات الصحفية الناجحة التى تنشرها جريدته عن كل ما يشغل اذهان الجمهور من موضوعات والتى هزت بعضها البلد هزا وبالاختصار كان هو الشعلة المحركة للجريدة الكبرى ولكن ..اجل ولكن اليس باستطاعته ان يقتطع من وقته لحظات يكف فيها عن القراءة والكتابة ليرى الدنيا من حوله ؟

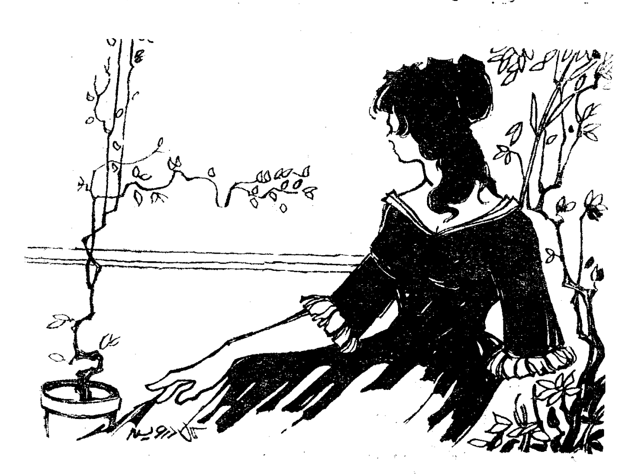
لم يكن فى استطاعة الام ان تكون تلك التى تشده من اذنه ليرى سعاد وكل الذى كان فى وسعها هو ان تصبر ابنتها ؛ كانت تكرر لها دائما ان كل شىء بأوان ثم تنتهز اية فرصة لتلمح لها بميزة الكرامة لدى حواء .. وانها هى رأسمال كل فتاة واجمل ماتتحلى به وان الصيد الصعب هو دائما الصيد الغالى العزيز .. وان الحلوى الرخيصة المعروضة فى الطرقات لا تجذب ابدا الايدى النظيفة وانما تجمع حولها فقط الذباب ومن هم على شاكلته من الناس وذلك خوفا من ان يدفعها قلقها للقيام بالخطوة الاولى .

ولكن سعاد كانت اعقل من ذلك بكثير وكانت — بدون دروس أمها تعتز جدا بكرامتها وعزة نفسها كما كانت على قدر كبير من الحياء قد يبدو مستغربا من طالبة جامعية فى منتصف القرن العشرين ثم انها لم تقلق قط من عدم التفات حامد اليها أو تحس بأن هناك شيئا

بنفسها . من وجهة نظرها كان يكفيها وزيادة ان تراه امامها بضع ساعات كل يوم وهو يعيش كل حياته وهو يقرأ .. وهو يذيب عصارة مخه على الورق وهو يبتسم .. وهو ثائر .. وهو يمد ساقيه حين يحس بالتعب .. لقد أصبحت تصرف عنه اغلب عاداته ولزماته وكان يسعدها أن ترقبه وترعاه من بعيد لبعيد .

كانت تعرف ماذا سيقرأ الجمهور كل صباح عندما تقرأ هى قبلهم انفعالات وانطباعات مرسومة على وجهه وهو يكتب فهو لم يكن يتاجر فى تلك الكلمات التى كان الناس ينتظرونها ويتلهفون عليها ويلتهمونها التهاما بل كان يعيشها اولا ويعتنقها وينفعل بها فينقلها على الورق ولذا فقد كانت تتصور بل تحس وهى تقرأ بشغف لا حد له خواطره وخلجاته كل يوم كأنه يكتب لها وحدها . ويخاطبها هى بالذات دون كل القراء وكانت تفهمه وتتجاوب معه وتعتنق كل ارائه فماذا تريد أكثر من ذلك !

مرة احدة تمنت لو كانت تعيش معه .. فى منزله حين راته وقد برح به التعب يخرج منديله ليجفف به عرقه .. ولا احد يحس به فتمنت لو كانت بجانبه لتقدم له مع ابتسامتها .. كوبا من عصير الليمون المثلج فينعشانه ويجددان نشاطه .



ولكن أمها كان لها رأى آخر .. رأى واقعى لا يقنع بهـذا الغذاء الرومانتيكى العاطفى وأقلقها ان ترى ابنتها ترفض العريس تلو العريس، وكانت بالطبع تعرف السبب وفكرت فى المثل القائل اذا لم يذهب محمد الى الجبل فليذهب الجبل الى محمد ولكنها عدلته بما يوافق ظروفها وطباعها أيضا فحولته اذا لم يأت حامد الى سعاد فلتحـــاول أمها ان تجعله يحضر

أجل لو أنه يحضر لزيارتهم مرة واحدة فقط اذن لربما بدأت قصة الحب الخالدة التى رواها شوقى والتى لم يكن فى الامكان ان تبدأ عبر النوافذ .. وان بدأت عند ابنتها منها الا ان ابنتها كانت تتمتع بنظر سليم ولا تستعمل عددا من النظارات كما يفعل حامد الذى رأته ذات يوم وقد اثار فضوله الصحفى حادث فى الطريق فنادى على خدمه ليحضر له نظارة أخرى ليبسها بعد ان خلع نظارة القراءة التى كان يلبسها وقتها، والتى يلبسها كلما دخل البلكون وفى يده ـ دائما مجموعة من الاوراق .

واخذت ترسم الخطة التى سوف تمكنها من تقديم حامد لابنتها على صينية من الفضة أو معلقا فى سنارة ، لا يهم .. المهم عندها الا ترى ابنتها العزيزة تتعلق بأوهام فارغة حتى يأتى اليوم الذى يتحطم فيه قلبها الرقيق حين تعلق السمكة المحبوبة فى سنارة أخرى .. واخيرا توصلت الى فكرة ..

اقترحت على زوجها ان يدعوه الى الحفلة الصغيرة التى سوف يقيمونها بمناسبة عودته من الحج وعندما اعترض الزوج بانه لا يعرفه حتى يدعوه ظلت تلح عليه حتى اقنعته بانهم جميعا يعرفونه عن طريق جريدته ، وان الصلة التى بين الكاتب وقرائه المعجبين به وقد كان هو وزوجته وأبناؤها وبناته جميعا من المعجبين به ـ لا تقل عن الصداقة الوثيقة .

وذهب الرجل ، ولكنه بعد توجيهه الدعوة أحس بالحرج فاعتذر له بانه من قرائه المتحمسين وأنه كان من زمان يود ان يحظى بلقائه ليعبر له عن اعجابه وتأييده التام وليهنئه على مواقفه ومن ثم فقد اختلق اية مناسبة ليحضر اليه ، ولكن حامد اخبره برقة وذوق ان مقابلة قرائه تسعده دائما ، وانه يسره ويشرفه ان يحضر ذلك الحفل .

كانت فرحة زوجة الحاج بقبول الضيف الموعود الدعوة لا تقدر فهى « جر لرجله » على أى حال ـ الى زيارة وراء زيارة وقد تنتهى هذه

الزيارات باحدى نهايتين في كل منهما الحل السعيد والقوة التى ستحرك هذا الوضع الواقف المجمد .

فقد يبادل حامد الاعجاب بأكثر من قابل فى حياته اعجابا به وفهما له ثم .. أو ربما صفت سعاد حبها لمعبودها حين ترى ذلك المعبود أوتلك الاسطورة التى كانت تتخيلها بشرا عاديا امامها لا يزيد فى شىء عن الذين تقدموا اليها بل قد يمتاز بعض هؤلاء عنه بالرقة والدمائة التى لا يعرف أحد حتى الآن نصيب حامد منها ، ومن ثم اخذت الام تعد عدتها لذلك اليوم وتتفنن فى ترتيب المنزل ماوسعها التفنن .

وقبل موعد الحفل بساعات وصل الى الخارج كارت من الصحفى الجار يعتذر فيه من الحضور بمهمة طرأت فى الفور خارج البلاد فان موعد الطائرة التى ستقوم الى هناك تسبق موعد الحفل .

لم تيأس والدة سعاد من تلك الصدمة ، وما كادت تعلم بعودة حامد من قراءتها لاخباره ومقالاته التى لم تكن تهتم بها من قبل حتى رتبت حفلة أخرى وهل الذين يقيمون لهم الحفلات عند حصولهم على شهاداتهم بأحسن من ابنها البكرى ؟ وقالت لزوجها اذهب لتدعو جارنا ، وعارض الزوج :

ـ تانى ؟ ياشيخة بلاش كسوف :

ـ بالعكس .. داحنا لو ماعزمناهوش وربما يشوف مظاهر الحفلة عندنا حيفتكر اننا كنا بنعزمه عزومة مراكبية وما صـــدقنا اعتذر عن الحفلة اللى فاتت .

وذابت معارضته أمام الحاحها ، وبنفس الروح قبل حامد الدعوة الثانية ... قبل الحفلة بيوم واحد .. كانت سعاد فى احد المحلات . وفى الاسانسير فوجئت بنفسها مع حامد .. وجها لوجه .. واحست برغبة عميقة فى ان تحدثه وتصف له اعجابها وتقديرها ولكن الخجل شل لسانها ، لقد استنكرت من نفسها ان تبدأه الحديث ، ولكنها استطاعت اخيرا ان تتغلبعلى خجلها عندما اقنعت نفسها بان حامد شخص عام ولن يرى ولا أى شخص سيرى فى محادثتها له عيبا ، وانها قبل ذلك أبدت اعجابها لأديب تقرأ له وموسيقى تعجب بموسيقاه ، ولم تجد فى ذلك أية غضاضة .

لم يستغرق ذلك الاقدام والاحجام اكثر من ثوان ، وكان المصعد

مازال يرتفع وقد نسيت هى الدور الذى كانت تريده عندما قررت ان تحدثه ، ولكنها خشـيت ان ترتبك وتتلعثم فاخذت ترتب فى ذهنها ماستقول . ستبدأ بقولها ٠٠ حضرتك الاستاذ حامد أمين مش كده ٠ تسمح لى بكلمة ٠٠ وفجأة وقف المصعد امام احد الادوار ودخل شخص لم يتردد مثلها وانما تقدم من ضالته مباشرة وبداه بنفس الكلمات التى كانت قد اعدتها فى ذهنها وكأنه كان قد اطلع عليها :

ـ حضرتك الاستاذ حامد امين .. مش كده ؟ تسمح لى بكلمه انت مطلوب القبض عليك بتهمة الدعوة لاسقاط الحكم القائم .. ومعى أمر من النيابة

ظلت سعاد يومين ترتعش فى فراشها كالمحمومة ٠٠ لقد اخذوه أمامها٠٠أمام عينيها، الجلادون٠٠الذين لايقدرون حرية النقد وحرية الرأى لقدوجدت نفسها تثور على الاوضاع الفاســدة التى تجعــل من يفعل الفساد يرقى أعلى المناصب ومن يقول الحق يلقى فى غياهب السجون اذا كان هؤلاءالحاكمون بأمرهم يعتقدون انهم علىصواب فلماذا «لايدافعون عن سياستهم بنفس السلاح .. سلاح القلم ؟ واذا كانوا يعرفون انهم موغلون فى الضلال ويخشون اطلاع الشعب على مســـاوئهم ٠٠ فلماذ لايغيرون طريقهم بدلا من تكميم افواه الناس ؟ الا يكفى ما نكب به البلد من استعمار حتى ينكب بعددمنابنائه يمشون فى اذيال المستعمرين حتى يشاركوهم فى خنق حريته واستغلاله ولكن كل من المستعمر والاذناب كان يعرف جيدا أن لا بقاء له بدون زميله ولذا ساند كل منهما الآخر والكثير من الشعب يعرفون هذه الحقيقة ولهذا برزت الى الوجـــود تلك الجمعيات والتشكيلات بين صفوف الجيش والطلبة والعمال وغــيرهـ من فئات الشعب ٠

بهذا حدثت سعاد نفســها وهى تحضر لاول مرة اجتمــاع احــدى الجمعيات الوطنية التى تكونت داخل نطاق الجامعة وكانت كل وسائل الجمعية سلمية وأهمها طبع وتوزيع عدد ضخم من المنشورات التى تدل الشعب على حقوقه المهضومة وتبصره بما يدبر ضده وتحثه على المقاومة وكانت تعرف بأمر هذه الجمعية من شقيقها الأكبر الذى كان عضوا فيها وتؤيدها من قلبها ثم انضمت اليها بعد اعتقال حامد . أجل لم تكن رؤيتها لهذا الجزاء الذى يصيب العاملين وراء الرسالة الكبرى بمرهب لها أو دافع كى تؤثر السلامة ٠٠ بل على العكس كان مشجعا لها على الاقدام للأخذ بنصيبها فى خدمة وطنها مهما كانت العواقب ٠

لم تكن تلك هى المرة الأولى التى يعتقل فيها حامد كما لم يكن يعتقد انها ستكون الاخيرة ولكنه لم يكن ليهتم فهو الذى اختار بمحض ارادته ذلك الطريق الصعب وكان يسعده ويقر ضميره أحساسه بان كل تلك المتاعب التى يلقاها هى ضريبة صغيرة يؤديها فى سبيل حرية بلده ، بل ان المتاعب قليلة الآن ·· فقد أصبح يحارب فى جبهة واحدة فقط منذ ان تولى رياسة تحرير هذه الجريدة ·

ولم يكن طريقه الى هذا المنصب بالطريق السهل ابدا ·· بل كانت مملوءة الأحجار والأشواك التى أدمت يديه وقدميه ، أشواك من كل نوع وعلى كل لون لم يكن اكبرها تأنيب يصيبه من رئيس تحرير حريص على مركزه .. او خطاب فصل من صاحب جريدة يخشى على ماله : ان عرقه قد اختلط بحبر أغلب الجرائد التى تصدر فى مصر · قوبل فى كل منها عند دخوله بالابتسام والترحيب بقلم يسيل بالسحر ويجذب القراء كالمغناطيس سواء كتب فى السياسة او الفن او الحياة ·· وخرج مشيعا بالاستنكار والدهشة لتصميمه على موقفه ورفضه كل تلك الاموال التى عرضت عليه ، والتى كانت تضاعف كلما رفض ·

وبالرغم من كل المغريات التى كانت تلوح بها يد والمرهبات التى كانت تهدد بها الثانية فانه هزأ بالاثنتين ولم يقبض مليما واحدا ··· حتى ولا من أجره ولماذا يدفعون له أجرا وثلاثة أرباع مقالاته كانت تدمغ بتلك التأشيرة الحمراء « لا تنشر » ·

لقد اضطر بعد ان فقد ما كان يدخره ان يبيع اثاث منزله مرة وأن يقترض من عمته مرات ، وكانت تلك العمة تعزه جدا ·· بل كان فى نيتها ان تزوجه ابنتها ·· لولا استقالته من وظيفته المحترمة ذات المستقبل الزاهر ثم نزوله الى ميدان الصحافة غير المضمون بالرغم من ان البنت نفسها كانت موافقة بل ومؤيدة لهذا الاتجاه ، ولكن ماذا تفعل موافقة واحدة امام اعتراضات كل افراد الاسرة وسلم هو بالامر الواقع فكل شئ نصيب ·

بل ان أسفه يوم خطبتها لشخص آخر كان يخالطه الكثير من الراحة والسعادة فهو لم يكن يحب لها ابدا ان تشاركه ذلك الكفاح الطويل الشائك لا هى ولا أى سواها وحتى الآن رغم مرتبه الكبير واسمه اللامع ومنزلته الكبرى سواء فى جريدته او لدى القراء فانه يأبى ان يربط مصير اية فتاة بريئة بمصيره ، وما ذنبها هى فى القلق الذى يصيبها وهى تعرف ان البوليس يتعقبه ·· او الرعب عندما يقتحمون منزلها بعد انتصاف

الليالى لينتزعوه من بين احضانها ٠٠ أو العسرحين يعطلون الجريدة أو يغلقونها ٠٠ او الارهاق وهى تبحث عن مكانه وتستعلم من كل مسئول ولا مطمئن ولا مجيب٠٠ أو الحيرة والالم وهى لاتعرف له سجنا ولا مصيرا واذا قبل أنيتقاضى الوطن ضريبتهالمفروضة على زوجته قلقا وعذابا فان ما خفى كان أعظم ٠٠ وما خفى كان يعلمه هو جيـدا بحاسته الصحفية لقد كان يحمد الله فى كل اعتقـال او تحقيق ان لا اخت له ولا زوجـة يمكن ان يخدعها أحد الذئاب التى كانت تتربع على بعض الكراسى الكبرى بوعود الاقناع من مصير العزيز الغـــائب والرفق به او الافراج عنه ومشاكله وحدها كانت تكفيـه فلا داعى لان يزيدها بذلك القلق الممض الذى كان يحس به يمـلأ قلوب بعض زملائه فى الاعتقال على زوجـاتهم وقريباتهم ٠

ولذلك كان دائمـا يرفض فكرة الزواج كلمـا هفت نفســه الى الاستقرار مع شريكة تمسح عنه متاعب عمله ، وان كان قليلا ما فكر فى ذلك فهو فى الفترة التى كان يمضيها فى جريدته وكانت حوالى ثلاثة أرباع وقته لم يكن يحس ابدا بأى شيء ينقصه كان يشعر كأن جميع العاملين فيها من زملاء وعمـال هم أسرته وأولاده ٠٠٠ كان ضجيج (ماكينات) الطباعة هو سمفونيته المفضلة التى يطرب لها ورائحة الحبر هو بارفانه الاثير الذى ينتشى منه ٠٠ وكانت الجريدة هى عروسه التى تزف اليه كل صباح فى ثوب جديد ، والتى كان ينتظر لحظة خروجها من المطبعة كما ينتظر العريس الواله لحظة خروج عروسه من غرفتها ٠

أما فى اللحظات القليلة التى كان يقضيها فى منزله وسط الفوضى وعدم الترتيب فقد كان يحس بان حياته فى حاجة الى أنامل رقيقة تدخلها فتجملها وتجعل لها طعما ٠٠ اكثر من فتاة راقت له واحداهن كانت بنت جاره الحاج الطيب ٠٠ اشياء كثيرة رآها منها كانت ضمن مواصفات فتاة احلامه الثقافة والاطلاع ٠٠ الحشمة والحياء ٠٠ والابتسامة الحلوة وطيب الاصل ورقة الطبع ٠٠ حدثته نفسه بأنها خير من تصلح زاوجة له ، ولكنه رفض مناقشة هذه الفكرة ٠٠ الى حين ٠٠ الى ان تتغير الاحوال ٠

كان واثقا ان أجل الفساد بات قريبا وكلمـا مرت الايام ازداد الظلم والكبت ٠٠ فكان يردد المثل القـائل « اشـتدى ازمة تنفرجى » وبات ينتظر هذا الفرج بثقة السائر فى عتمة الليل ينتظر طلوع الفجر٠ فالبلد كلها تغلى ، والشعب بأجمعه غير راض عن هذا الحال ، صحيح ان بعض النفوس قد ضعفت ورضيت أن تساير الجو مادامت تقبض الثمن٠٠

ليس فقط بين موظفي الحكومة بل حتى وسط حملة الأقلام ولكنها كانت قلة من الخاسرين ٠٠ أصابها اليأس وملت الأخلاص فسلمت ٠

أما الاغلبية ـ حتى الساكتين فكانت ساخطة ولكن مسئوليات بعضهم العائلية وظروف معيشتهم اضطرتهم ان يكونوا من ضعاف الايمان الذين يكتفون بمحاولة تغيير الكفر بقلوبهم ولكن كان بجوارهم الكثيرون الذين أبوا الا أن يكونايمانهم أشد وأقوى فاندفعوا برغم بشاعة الارهاب يهزون بأيديهم والسنتهم وأقلامهم قوائم الفساد وكلما شعر الجالسون فوقها ٠٠ المتمسكون بها بالهزات تشتد من تحتهم كلما ازدادوا طغيانا وتنكيلا .. فيزداد الآخرون عزما وعددا كانها حلقة مفرغة ولهذا اصبح الكل يؤمن بان نهاية الظلم قد تقررت ولكن متى ٠٠ متى ؟ هذا هو السؤال ٠٠

وهو نفسه السؤال الذى كان يطوف بذهن زوجة الحاج وان كان كل يغنى على ليلاه ٠٠ فهى كانت تتساءل ٠٠ متى يزورنا ذلك الجار العنيد ؟ لقد رتبتأكثر من عشر خطط كانت كل منها تبدو لها انها مؤكدا سوف تنتهى بقدمى حامد تخطران عتبة منزلهم ولكنها جميعا فشلت لسفر مفاجىء أو مرض طارىء أو مؤتمر لم يكن فى الحسبان ٠

ولكنها لم تيأس على الرغم من أنه لم يكن مؤكدا أن زيارة حامد لهم ستعقبها حتما اعجابه بسعاد أو تقدمه لطلب يدها ، ولكن ٠٠ ربما كان هو الامل ٠٠ او العناد المهم ان فكرة هذه الزيارة قد تسلطت على تفكيرها وسيطرت على عقلها حتى اصبحت شغلها الشاغل ٠

ولم تشعر سعاد قط بمحاولات امها ولكنها شكت فى احدى المرات فابتسمت فى استخفاف ٠

وفجأة منحت أم سعاد هذه الفكرة اجازة طويلة لتخلى كل شعورها وتفكيرها لابنها الذى قبض عليه بتهمة الشيوعية وهو منها براء ، وسعاد أول من يعرف أن هذا الشقيق لم يكن قط شيوعيا ، فهى تشترك معه فى جماعته ومعتقدات تلك الجماعة هى أبعد ما تكون عن الشيوعية ولكنه التلفيق ، ومن ثم زاد احساسها بالظلم الذى وقع على شقيقها من تحمسها لعملها ، وزاد نشاط الجمعية بشكل عام لدرجة أقلقت المسئولين ولكنهم برغم ذلك لم يستطيعوا أن يجدوا شيئا ضد الشقيقالمعتقل فأفرجوا عنه ٠

ووفت والدته بنذرها بأنه اذا خرج قبل يوم عاشوراء فستوزع

أطباق العاشورة على جميع الجيران فقيرهم وغنيهم . وقالت في نفسها وهي تنتقي طبقا كبيرا قد زوق وجهه بالمكسرات وكتب عليه بحبات اللوز كلمتي « عام سعيد » ثم ترسله مع خادمتها الى جارهم الصحفي الكبير ، بأن المفروض اذا كان عنده ذوق ــ والظاهر انه كذلك ــ أن يحضر لتهنئة الحاج بخروج ولده من الاعتقال عندما يسمع بهذه القصة من الخادمة ٠٠ وربما تمت الزيارة هذه المرة ٠٠ قلبي يحدثني بذلك ، فكل الترتيبات السابقة كنت أنا التي اصطنعها اصطناعا ، أما هذه المرة فهي من وحي الله ٠

وذهبت الخادمة بالطبق الأنيق ، ولكنها لم تجد الأستاذ في الشقة وقال لها خادمه انه سيحفظه له حتى يعود ، ولكنها عادت في اليوم التالي تطالب بالفارغ ، وكان حامد نفسه هو الذي فتح لها وشكر لها كرم أسيادها معه برغم تقصيره ، فأفهمته أنه كان نذرا على سيدتها وان الجيران جميعا قد شملهم هذا النذر ، فقال لها باهتمام :

ــ آه ٠٠ أهي دي فرصة عشان أروح أبارك للحاج ، والله أنا من زمان عايز أزوره بس المشاغل ٠٠ وأنا مشغول لدرجة اني لسه ما دقتش العاشورة بتاعتكم ، تصوري ٠٠ اقعدي بقى قدامي لحد ما أكلها عشان تاخدي الطبق ٠٠ بس مع الأسف بقى يا شاطرة انتي اللي حاتغسليه لان عبده مش هنا ٠٠ وأنا بقى خيبان قوي في المسائل الخطيرة اللي زي دي ٠

وتربعت أمامه وهو يأكل ويتكلم في نفس الوقت ، أخذ يحكي لها بعض مشاكله ونوادر حياته ومدى ضخامة مشغولياته لدرجة ان له عدة أعوام لم يفصل بدلة جــديدة لأنه لا وقت لديه للذهاب الى الترزي ، وكيف أنه كان سباحا ممتازا ولكنه اضطر أن ينقطع عن السباحة منــذ مدة طويلة حتى انه يخيل اليه الآن أنه قد يغرق اذا ما حاول الاستحمام في (بانيو) منزله العامر ٠

وتجرأت هي لما رأت من بساطته معها وسألته :

ــ مش حقك تتجوز بقى يا بيه ٠

ــ يا ريت يا ٠٠ انت اسمك ايه ؟

ــ خدامتك عريفة ٠

ــ عاشت الاسامي ، كنت باقول ياريت ياعريفة .. من بقك لباب السماء ..

ـ يوه .. طب لما انت لك غرض .. مستنى ايه بقى ؟ والا مشغول مش فاضى تتجوز ؟

وضحك عاليا وهو يقول :

ـ لا حلوه دى ياعريفة .. طيب ياستى متشكرين على الاكلة اللذيذة دى وسلمى على الحاج والست ، وقولى لهم انى ضرورى حافوت عليهم الاسبوع ده عشان ابارك دى مناسبة سعيدة ومش ممكن رح يفوتنى أأدى واجبى ناحية الراجل الطيب ده . ومؤقتا قولى له على لسانى الف مبروك .

نقلت عريفة الحديث بأكمله الى سيدتها الكبيرة وسيدتها سعاد ، وكان اهتمام كل واحدة منها ينصب على جـزء من ذلك الحديث .. سعاد اهتمت بحكايات حامد عن نفسه وذكرياته وشددت عليها فى الاسئلة حتى لا تنسى حرفا واحد مما قال وكأنه حديث مقدس وظلت تسمع الى تلك الذكريات بشغف وهى مندهشة :

ـ قالك كل الكلام ده .. بنفسه ؟

ـ امال يعنى كان حيوكل عنه السكرتير بتاعه .

ـ لامش قصدى .. انما يعنى .. هو قعدك معاه وقعد يدردش معاكى كده بدون تكليف ؟

آه ـ والنبى ياست .

وتنهدت سعاد وقد منعها الحياء من النطق بالكلمات التى كانت على طرف لسانها « يابختك .. ياريتنى كنت انا » وعادت عريفة تؤكد :

ـ كان قاعد على السفرة والحكايات والضحك غالبية الاكل .. كان بياكل معاقة .. ويضحك ضحكتين .. ويقول عشر كلمات .. زى اللى كان تعبان من الشغل وما صدق ان حد يتسلى معاه ..

اما الام فكان اهتمامها محصورا فى نهاية الحديث :

ـ طيب وبعدين .. قالك ايه .. على الماشورة يعنى مش على نفسه ؟

ـ قال تسلم ايدين الست . وباركى لهم وهو لابد حيفوت عليكم الاسبوع ده .

ـ أهلا وسهلا

ثم اكملت فى نفسها « على الله يكون آن الاوان ويفوت صحيح ...

قبل مضى الاسبوع كان حامد فعلا يدق جرس الحاج .. وان لم تكن التهنئة هى الغرض من زيارته ، وانما كان ذاهبا ـ تقوده غريزته الصحفية ـ وراء خبر ،ولم تقابله سعاد .. فقد كانت هى بنفسها ذلك الخبر ، كانت الام هى التى فتحت له الباب ، ولم تستطع عندما رأته ان تقول أكثر من كلمة واحدة « انت » ؟ لم يكن فى المنزل سواها فجلست معه واجمة ولكنها اخيرا أقنعت نفسها بانه لا ذنب له فيما جرى ، وفكرت فى ان سعاد لو كانت موجوده لرحبت به كل الترحيب فحاولت ان تتبسط معه .. قالت له أ

ـمتشكرين ياأستاذ .. ما حدش يجيلك فى سوء أبدا .

وقال هو بحرارة :

ـ يؤسفنى ويشق على جدا انى انطق بكلمة عزاء .. وانا عارف ان المصاب أكبر من كل عزاء .. لكنه فى سبيل مصر كل شىء يهون .. الحريات والاموال والارواح وياما قبلها كثير وياما بعدها أكثر .. كنا تتمنى نضحى بأرواحنا عشان الأجيال اللى بعدنا يقدروا يقفوا على أرض مستوية ... ويقولوا اللى فى قلبهم بحرية ويتنفسوا ... هوا نقى ، يقدروا يعيشوا عيشة كريمة .

ـ فعلا هى ماتت شهيدة ، وربنا يجعل لتضحياتها هى وزملاءها فايدة .. عشان ارواحهم ماتروحش هدر

ـ ضرورى .. مش عايزه شك .. باذن الله

وساد الصمت بينهما برهة حتى سألته فجأة :

ـ انت شفت سعاد بنتى ؟

ـ شفتها طبعا كثير .. بس بعيد وما اخدش بالى منها قوى ..

وقامت الأم من مكانها ثم عادت وفى يديها مجموعة من صور ابنتها ، وفغرفاه ، وهو يشاهد الصور :

ـ ياه .. دى كانت رائعة .. فى منتهى الجمال

ـ ثم تنهد وهو يقول :

ـ خسارة ٠٠ خسارة زهرة زى دى فى الموت ٠

لقد تحقق ظنها .. واعجب بها من أول نظرة .. تماما كما قدرت ، فهى كانت تعرف كم هى فاتنة ، وقالت وفى صوتهـا الى جانب الحسرة بعض الزهو :

ـ كانت أجمل من الصور كمان ٠

ولم يرد كان لا يزال يتأمل فى الصور .. بأسف ، وسأل :

ـ لكن الحكاية دى حصلت ازاى ؟

ـ اصلهم لما افرجوا عن ابنى عادل ، كانت لهم نية ثانية .. انهم يراقبوه عشان يوصلوا لبقية زملائه ، ويوم الحادثة شـافوه هو واخته بالعربية فطاردوه لحد شبرا ، وبعـدين عربية المطـاردين يظهـر عطلت وخافوا ليهرب عادل منهم قاموا راحـوا ضاربين بنادقهم على العجـل فالعربية اختل توازنها منه ومالت ووقعت فى النيل ، ولما خـرج عادل لقى الباب اللى جنب اخته مفتوح فعرف انها خرجت..لكن التيار غلبها ولمحها عادل بعيد شوية فلحقها وطلعها ، لكن كانت ياروحى مسخسخة يادوب قالت لاخوها كلمتين .. قالت له «قول لبـابا وماما مايحزنوش على ... أصولهم يفرحوا زى مانا فرحانه لانى حاموت فى سبيل وطنى» وبعد دقائق .. آه ..

واحترم حزنها فصمت الى ان قالت بألم :

ـ تصور يابنى ان البوليس .. بعد ما انتهت سعاد .. فتشـوا العربية وفتشوا عادل ٠٠ وحتى فتشوا شنطة ايدها ٠٠ ويمكن لو كانوا لقوا فيهاحاجة ما كناش طلناها ودفناها بكرامتها ، لكن كتر خيره النيل اللى حفظ سرهم وبلع فى جوفه كل اللى كان معاهم ..

لقد دهشت أم سعاد من نفسـها فـرغم حـزنها الذى لايوصف وجدت لسانا تقص به القصـة كلها على حـامد .. أجل القصـة كلهـا بحذافيرها .. عدا شيئا واحدا لم تقل له ان آخر مانطقت به سعاد .. كان اسمه .

الموسيقار

ـ أف .. ياحفيظ .. ماهذا الصوت النشاز ..؟

وتلفت حولى فرايته ، ورفعت يدى افرك عينى فى ذهول .. يخيل الى انه هو .. بل انه هو بكل تأكيد .. الموسيقار الكبير الاستاذ بنجر..

انه مازال كما كان .. وكأنه لم تمر عشر سنوات منذ رأيته آخر مرة .. نفس طربوشه الطويل الزاهى اللون .. وشعره المنكوش .. وسوالفه الطويلة التى تكاد تصل الى ذقنه .. (والفيونكة) العجيبة الفاقعة التى يربطها فى عنقه .. ووجهه مازال شاحبا كما الفته .. بل يخيل الى أنه ازداد شحوبا ..

الشىء الوحيد الذى تغير فيه ، هو هذا الهدوء الصامت الذى كان يغلف نظراته وحركاته فانه كان شعلة لاتستقر ، نظراته زائغة تدور فى كل اتجاه .. يديه لاتكفان عن الحركة والاشارة .. تخرج الكلمات والصيحات من فمه بأسرع من طلقات (المتراليوز) .. كان يحدث وحده من الدوشة والضجيج أكثر مما تفعل فرقة موسيقية كاملة وقطار سكة حديد اجتمعا معا فى قهوة بلدى .

كان الكل يشكون منه ويضجون به .. ويسخطون عليه ، وكنا نحن اكثر الشاكين الساخطين فقد كان يسكن فى الشقة المقابلة لنا تماما .. وقد كان معه عقد ايجار موقع من والدى صاحب البيت ولولا ذلك لقذفنا به الى الطريق من زمان ..

كانت اكثر الشقق فى منزلنا والمنازل المجاورة تحوى تلاميذ من كل سن .. بعضهم مع أسرهم .. وبعضهم مغتربون من الأرياف وكانت منطقتنا هى المفضلة لديهم فى السكن اذ كان يقع بها أغلب مدارس المديرية ـ مديرية المنصورة ..

وكان الاستاذ بنجر واحدا من هؤلاء التلاميذ المغتربين وظل طوال العامين اللذين قضاهما فى منزلنا ·· وهو فى رابعة ابتدائى ·· وامتحن فى تلك الشهادة اربع مرات وسقط فيها بتفوق .. اربع مرات أيضا .. وكفاية عليه الموسيقى .

كان يسمع الموسيقى فى الصباح والظهر والعصر والمغرب والعشاء. كأنها الفروض الخمسة عند عابد مترهب .. بل ان تقديسه للموسيقى فاق تقديس اى عابد لصلواته ..

وكان بين الفترات يعطى جراموفونه العتيق استراحة قصيرة ولكنه كان يأبى أن نشاركه نحن ايضا الاستمتاع بتلك الاستراحة فيأخذ فى مداعبة أوتار عوده .. ولكن يبدو ان العود لم يكن يستسيغ تلك المداعبه فكانت تصدر منه بدل الانغام أصواتا تشبه صرخات الاحتجاج المصحوب بالالم وكأنه يتوسل اليه ان يكف عن ضربه .. ولكنه وهو الذى لم يستجب قط لتوسلاتنا .. لم يكن يستجيب ايضا لتوسلات العود المسكين ..

وقد تعب جميع الجيران من الذهاب اليه فى شقته يرجونه أن يكف عن هذه الضجة او حتى يقلل منها . ولكنه كان يصيح فيهم وهو يشوح بيديه :

بدال ما تشكرونى !! حد منكم عمره استمع للموسيقى العالميه

الرفيعة دى قبل كده ..؟ مش تحمدوا ربنا اللى باسمعكم موسيقى ترفع مستواكم .. وتسمو بأذواقكم .. وتهذب نفسيتكم .. بدل ماتيجوا تسألونى عن محال الاسطوانات والمكتبات اللى بتبيع المراجع والتراجم الموسيقية عشان تقلدونى فى هوايتى .. او تطلبوا منى انى أعيد على أسماعكم بعض المقطوعات الرائعة اللى اتحفتكم بها ·· تقوموا تطلبوا منى انى ماسمعش موسيقى .. ياللجهل انعدام الذوق الفنى ..

وفى كل مرة كان التفاهم بينه وبين جيرانه ينتهى بخناقة يختتمها هو بأن يصيح فيهم بأعلى صوته :

ـ انا ماباروحش عند حد فى شقته . انا حر فى شقتى .. انا حر .. انا حر ، انا حر ؟ حتى والدى كثيرا ما يذهب اليه بنفسه ليرجوه.. وانا واخواتى .. بل ووالدتى .. ولكن ولا هو هنا ، وفى احدى المرات هدده اخى الاكبر بأن يلقى له عفشه من الشقة .. فقال الاستاذ فى سخرية :



ـ شقة .. ! الجحر ده بتسميه شقة .. ؟ بعد سنين حتجيكوا الناس بالميات ومن العالم كله عشـان يشوفوا المكان اللى هبطت فيـه العبقرية على الموسيقار اللى حيهز اسمه اركان الدنيا .. بكرة الحكومات حتعمل البيت ده متحف عشـان يزوره عشاق الموسيقى ... وحيكون مصدر ثروة لكم وللبلد كلها .. بكره انتم واولادكم حاتفتخروا بانه فى يوم من الايام سكن معاكم فى بيت واحد .. الاستاذ ..

وقاطعه اخى ساخرا :

ـ عارفين .. عارفين الاستاذ بنجر ..

وانفجر غضبه مرة واحدة كما يحدث فى كل مرة يسمع فيها هذا الاسم وراح يردد كالمجنون بنجر .. بنجر ؟ فى عينك ..

وبالطبع لم يكن هذا اسمه ولكن كان لهذا الاسم قصة ، وكان يذكر دائما اسم الموسيقار العالمى فاجنر ، ويردد انه سوف يصبح فاجنر آخر .. او فاجنر مصر .. كان يعجب بجميع الموسيقيين العـالميين ، ولكن اعجابه بفاجنر كان يكاد يصل الى مرتبة التأليه ٠

وقد حدث ذات يوم ان ذهبت اليـه ارجوه ان يخفض صـوت جرامو فونه قليلا لانى اريد ان اذاكر استعدادا لامتحان الغد ، وكنت اعلم انه يحب من الجميع ان ينادوه بالاستاذ فحاولت ان اتملقه وخاطبته بذلك اللقب .. برغم انى لم أسمع من قبل عن استاذ فى السابعة عشرة من عمره .. ولكن للعبقرية احكام قلت له بكل رقة وتوسل !

ـ ممكن يا استاذ تبطل الجرامو فون .. والا توطيه الليلة ..؟

ـ ليـه ..؟

ـ عشان والله يا استاذ عندى امتحان ..

ـ امتحان فى ايه .. ؟

ـ علوم وجغرافيا وتاريخ ياأستاذ ..

وانطلق يضحك ساخرا :

ـ هه .. علوم وجغرافيا وتاريخ .. بذمتك ايه اللى تستفيديه من العلوم اذا كانت الفرخة لها منقار .. والا الوطواط بينام بالمقلوب ..؟ ويهمك ايه من عملية التمثيل الكلوروفيللى فى النباتات ..؟ والجغرافيا .. احنا مالنا ومال بلاد العالم مساحتها ايه وحاصلاتها ايه ومناخها ازاى ؟.. وتقع فين .. ماتقع مطرح ماتقع .. هو احنا حنسافر لها على رجلينا ، والا التاريخ اسخف حاجة خلقها ربنا .. احنا مالنا ومال ناس ماتوا وانتهوا من زمان .. ؟

ـ لكن الدروس دى هى اللى بيديها لنا المدرسون ..

ـ مغفلين ..؟

ـ وهم جايبينها من عندهم ..؟ دى اللى وضعوها كبار المفتشين

ـ برضه مغفلين ...؟

ـ وأجازتها لجان وزراء المعارف .

ـ ياسلام ياستى .. تشرفنا .. ودول اكثر الكل تغفيلا .. ايه الداعى نذاكر ونتعب فى حاجات سخيفة ومملة ولافيش لنا فيها أى فايدة؟

ـ يعنى مافيش حاجة مفيدة غير الموسيقى ..؟

ـ طبعا .. الموسيقى غـذاء الروح والعـاطفة .. كان لازم يكون

تعليمها اجبارى عشان تسمو بأذواق الناس وترفع وعيهم ٠٠ ايه رأيك تيجى اديكى دروس فى الموسيقى ..؟

ـ انت .. ؟

ـ طبعا .. انت الظاهر ماتعرفيش مكانتى فى عالم الموسيقى .. انتى مش عارفه ان جميع أساتذة الموسيقى اعترفوا بنبوغى وعبقريتى لما سمعوا الحانى على فكره دا انا لحد دلوقت الفت اثنين وعشرين مقطوعة .. وقربت انتهى من سمفونية كاملة ..

ـ وقلت له وانا اتظاهر بالاعجاب :

ـ يعنى بقيت زى عبد الوهاب ؟ ...

فاذا به يقلب شفتيه فى احتقار وهو يدق كفا بكف :

ـ عبد الوهاب ..؟ هو عبد الوهاب ده موسيقى ..؟ الشوية الطقاطيق والمونولوجات دى بتعتبريها موسيقى .. الموسيقى مش هى اللى لما يسمعها الناس يهزوا رءوسهم من الطرب وينتهى كل شىء .. الموسيقى هى اللى تخلى الواحد يحلق مع آفاق النغم ٠٠ هى اللى تدخل فى نفسه معانى جديدة وتصور له مشاعر جديدة .

ـ زى مين يعنى ...؟

ـ لحد دلوقت ما فيش ولا واحد مصرى .. أنا حكون اول موسقيى مصرى يقدم اوبرات مصرية وسمفونيات مصرية ، زى بتهوفن وتشايكوفسكى وشوبان .. وبالتحديد زى فاجنر .. انا حاكون فاجنر مصر .. عارفه فاجنر .. ؟

ـ لا والله ..؟

ـ وكأننى كفرت .. انقلبت سحنته وجحظت عيناه واقترب منى وقد مد اصابعه الى راسى وكأنه يهم بخنقى ..؟

ـ فاجنر .. فاجنر .. ازاى ماتعرفيش فاجنر ..؟

وصحت بأعلى صوتى من الرعب :

ـ يا ٠٠٠ نى ٠٠٠

فاذا به يفتح فمه مذهولا ثم تتراخى ذراعاه الى جانبيه وهو ينظر الى بامعان ، ثم قال لى بهدوء واحترام :

ـ قوليها تاني ·· قوليها تاني كده ·· قولي ورايا ·· أووهو ·· هو هو ·· أها وانطلق يجعر وهو يطلب مني ان اقلده ولكني رفضت

ـ ليه ·· هو أنا مجنونة ؟

ولم يغضب لاهانتي ·· ولكنه قال نافذ الصبر :

ـ اسمعي ·· أقسم لك بشرفي انك لو قلتي زي ما بقولك مش حادور الجرامافون الليلة دي خالص ·

ولم أكذب خبرا ·· وانطلقت أعلل هووو أو هوهو ·· وانتهيت وهو يصفق لي بحماسة شديدة :

ـ مدهشة ·· دانتي عندك صوت عظيم ·· سوبرانو ·· سوبرانو · مافيش كلام ·· اسمعي أنا حاجعل منك أعظم مطربة أوبرا في مصر كلها ·· بس لازم تبتدى التدريب من دلوقت ·

وخبطت على صدري في استنكار :

ـ مطربه ·· أنا مطربه ·· أنا عايزه أبقى مدرسه ·

ـ مدرسه ·· خساره ·· خساره ·· الا مدرســـــه دي ·· دانت مجنونه بالتأكيد أنا لازم أكلم والدك في الموضوع ده ·

ـ طيب ابقى كلمه ·

ـ وانطلقت أجرى من أمامه قبل أن يتطور أكثر من ذلك · ودهشت العائلة للسكون الذي ساد المنزل تلك الليلة · فقصصت عليهم ما حدث وعلقت امي على ذلك بقولها :

ـ ده باين عليه مجنون ·

وقال والدي :

ـ دا مغرور مش مجنون · والكلام الي قاله عن الفرق بين موسيقانا والموسيقى الغربية أنا قريته امبارح كاتبه ناقد في مجلة فنية ·· وتلاقيه بيردده من غير مايفهم معناه زي البغبغان ·· وقلت أنا :

ـ ده بيقول انه حايبقى بجنر ·· ولم اكن وقتها استطيع نطق الاسم صحيحا ·

وقالت خادمتنا

بجنر ده ايه ·· ؟ فيه حاجة اسمها بجنر ·· ؟ لازم ياستي قصده بنجر ·· وانفجرنا جميعا ضاحكين · وقالت والدتي :

ـ والنبى الاسم ده لايق عليه ٠

ومن يومها أطلقنا عليه ذلك الاسم ٠٠ وعن طريقنا انتقل الى الجيران، وعن طريق خادمتنا انتقل الى جميع الخدم وصبيان المكوجية فى الحى ٠٠ حتى نسى الجميع اسمه الحقيقى وأصبحت كلمة الاستاذ بنجر علما عليه ٠

واقترب موسم الامتحانات ، وبدأت روائحه تهل واستعداداته تتم ٠٠ المدرسون يخرجون من هذا المنزل ليدخلوا ذاك ٠٠ جميع الشرفات والنوافذ ظهر فيها الطلبة يروحون ويجيئون وفى يد كل منهم كتاب يحاول أن يتملقه عله يغفر له الخصام الطويل ٠٠ الامهات لزمن البيوت وقللن من الزيارات ليوالين تموين الادمغة المراهقة بالقهوة والشاى ٠٠ الراديوهات بدأت تخفض من صوتها أو تصمت نهائيا وكأنها عرفت أخيرا أن السكوت من ذهب ٠٠ والبسكلتات كادت تنقطع من الشارع ولم نعد نرى التحدى بين من يستطيع أن يسيب أيد واحدة ومن يسيب الاثنين ٠

أما استعداد الاستاذ بنجر للامتحان فقد كان فريدا فى بابه ٠٠ عاد ذات يوم الى المنزل وخلفه عربة كارو تحمل بيانو قديم صغير الحجم ٠٠ وكأنه لم يكفه دوشة العود والجراموفون بل أراد أن يعزز هجومه فى حرب الأعصاب التى يشنها على الجيران جميعا بلا سبب بمدفعه البعيد المدى ٠

وكدنا وكاد الجيران جميعا نصعق ، ولكن لم يكن بيد أحد منا أن يفعل أى شىء سوى أن يمقته من كل قلبه ٠

مرة واحدة أحسست بالرثاء له ٠٠ كانت والدتى قد وضـــــعت مولودا فاقمنا فى سبوعه حفلا دعونا له الاقارب والجيران جميعا ، وكانت عندنا صالة واسعة جدا رصصنا فيها الكراسى فى شكل دائرى وأقبل الاستاذ بنجر ضمن المدعوين ٠٠ وفجأة خطرت له فكرة فاســـتأذن من والدى أن يحيى هو الحفل حتى يتمرن على مواجهة الجمــاهير ٠٠ ووافق والدى فان الفرقة التى كان قد استدعاها لذلك الغرض كانت قد اعتذرت فى آخر لحظة ٠

ذهب « الاستاذ » الى شقته وعاد ومعه صديقين له يبدو انهمـــا قد أخذا عنه عدوى الموسيقى يحملون جميعا البيانو الصغير ،ثم عاد هو ومعه العود وآلة عجيبة للنفخ لا أعرف اسمها وقد كان ظهورها مفاجأة للجيران الذين لم يكونوا يعلمون بوجودها لديه ٠

ويبدو أنها كانت داخلة هى الأخرى فى برنامج التسليح ولــكنه

احضرها الى المنزل فى الظلام كعادة الدول التى تجعل من صفقات تسليحها سرا ٠٠ ثم تفاجىء بها أعداءها عندما تعلن الحرب ٠

وكانت الحرب قد أعلنت ليلتها وجاء يوم الاسلحة ٠٠ وفى بداية الحفل أعلن الاستاذ بنجر أنه سيسمعنا أولا مقطوعة من تأليفه ثم كونشرتو رقم ٢ لبيتهوفن ٠

وبدأ أحد الاصدقاء بالنفخ فى الآلة العجيبة ، فكانت بداية موفقة تماما ٠ ٠فهل سمع أحد من قبل عن غارة لا تسبقها أولا صفارات الانذار ٠٠ ثم بدأ الصديق الثانى يعزف على العود عزفا بطيئا واطئا وصل الى اسماعنا وكأنه أزيز الطائرات المغيرة ٠٠ وكدنا نطلب من الاستاذ بنجر أن يتصدى لردها ولكنه سبقنا وفعلها بعزفه على البيانو بقوة وحماسة فخرجت الانغام كأنها قصف المدافع الثقيلة ٠

كان اللحن فى مجموعه ٠٠ نشازا فظيعا محطما للاعصاب ، موسيقى ليس فيها وحدة ولا ترابط ولا انسجام ولا ٠٠ موسيقى ٠

وظل المدعوون ينظرون الى بعضهم مذهولين يتشاورون فى أحسن الطرق لدفع هذا البلاء وبدأ بعضهم ينسحب والبعض الآخر يسد اذنيه حتى انتهى الجزء الأول بخسائر طفيفة ، ثم وقف ليعلن عن الجزء الثانى ٠٠ ولكن انهالت عليه الطلبات ثم الاحتجاجات وأخيرا التريقة ٠

أصوات تصيح طالبة أغنية البسطجية ، وأخرى تطلب الصبر وثالثة تريد « ياوله ياوله » وكاد الاستاذ بنجر يصعق ، وصاح فيهم باحتقار :

ــ ياوله ياوله ٠٠ أنا آسف للدرجة دى ٠٠ ؟

ورد عليه أحد المستمعين :

ــ ما هو لو فضلت تضرب لنا المزيكة دى حاخليك « تسف » من الأرض ٠

وقالت ثانية :

ــ والنبى لو جبنا الحلل من المطبخ وخبطنا عليهم ٠٠ لنسمع أحسن من كده ٠

ــ وقالت الثالثة :

يابنى ليه تفول على جيرانك الفال الوحش ده ٠٠ داحنا فى مناسبة فرايحى عاوزين نفرح مش نتصدع ٠

ـ وعشرات التعليقات اللاذعة والتشنيعات الساخرة ٠٠ حتى لقد صعب علي أنا نفسى ٠٠ وخاصة عندما احضرت احدى الفتيــات طبلة ثم جلست تطبل وتغني « البسطجية » ، وتحزمت أخرى وأخــذت ترقص وأمسك الباقون الواحدة بالتصفيق وسرت فيهم البهجة بعد الاكتئاب ٠٠ فأخذ الاستاذ بنجر وأصدقاؤه آلاتهم وخرجوا وكأنهم بقايا جيش مهزوم ينسحب حاملا جرحاه وقتلاه ٠٠ ؟

ومن يدرى ٠٠ ربما أفاده ذلك الموقف فأوحى اليــه بمقطــوعة موسيقية تعبر عن هذا المشهد الفاجع ٠٠ وحدث يوما أن زاره والده ، ولم يكن هو بالمنزل فجاء عندنا ، وجاء بعده ابنه ٠٠ وثار غضب الأب عندما اطلع على شهادة الفترة الثانية ٠٠ وقال والدى انه لايذاكر ولا يدع غيره يذاكر ٠٠ أيضا ٠٠ وناداني لكي أقول لعمي العمدة كيف أنني اضطر الى الذهاب الى احدى صديقاتي كل يوم حتى أستطيع استذكار دروسي رغم مافي ذلك من عناء لي ٠

وسألني العمدة عن سني وفرقتي ، وزاد غضبه على ابنه عندما علم انني في الحادية عشرة من عمرى وفي سنه أولى ثانوى ٠٠ ودافع بنجر عن نفسه بأنه ليس خائبا ولكن هذا النوع من التعليم لايناسب استعداده ٠

ـ وأنا ياببابا قلت لك كده ٠

ـ طيب يابني في الاجازة اللي فاتت مش اخدتك معهد الموســـيقى وجميع أساتذته والاساتذة الخارجيين وكل واحد بيفهم في الموســـيقى رفض انه يعطيك أى درس رغم الأجور اللي عرضتها عليهم ٠٠ وقالوا انك ماعندكش اية موهبة ولا استعداد ونصحوك ٠٠ بأنك تنصرف عن الهواية دى بدل ماتضيع وقتك ؟

ـ دول كلهم جهله ٠٠ ولما شافوا عبقريتي خافوا لاغطي عليهم وأنا نفسي أرفض اني آخد دروس من أى واحد فيهم لأن آنا مستواى أعلى منهم كلهم ٠٠ أنا حافضل أوالي التدريب بنفسي وبعدين أسافر النمسا رأسا ٠

ـ يابني نمس ايه ونمسة ايه ٠٠ ربنا يهديك ٠٠ شايف نفســك بقيت ازاى ٠٠ خاسس ووشك مخطوف ٠

وقالت والدتي :

ـ على فكره مرات البواب ـ وهي اللي بتعمل له طلباته ٠ قالت لي انه كل اكله حاجات تافهة ماتغذيش ، وأنا أعرف انك بتبعت له فلوس

كتيرا ٠٠ لكن الظاهر انه بيحرم نفسه من كل حاجة ويشــــترى كتب موسيقى واسطوانات ٠

واحتد بنجر :

ـ أكل ايه وتفاهات ايه ؟ ٠٠ الموسيقى غذاء الروح ٠٠ وأنا افضل انى اغذى روحى عن انى أتخم معدتى ٠٠ وقال والده :

ـ أى والله فكرتينى ياست هانم ٠٠ قوللى يابنى ٠٠ البواب قاللى انك اشتريت بيانو ٠٠ يعنى ماقلتليش عليه فى الجوابات ٠٠ جبتـــه منين ٠٠ ؟

ولم يرد بنجر ، فعاد والده يسأله :

ـ اياك تكون بعت أودة النوم الجديدة اللى وصيت لك عليها ٠٠ ؟

ـ أنا مابعتهاش لأنى ماجبتهاش أصلا ٠٠ أنا رحت يوم عند محل الموبيليات لقيت البيانو ده معروض فأخذته بدل الأودة ٠٠ ودفعت الفرق من الفلوس اللى كنت مديها لى لكسوتى ٠٠

ـ وبتنام على الارض ٠٠ ؟ يا نهار اسود ياولاد ٠٠٠

ـ الفلوس دى مش طلعت من ذمتك وخلاص ٠٠ ؟ أنا عايز آكل موسيقى وأنام على موسيقى وألبس موسيقى ٠

ـ بقى انت عمرك حاتنفع ٠٠ آدى دقنى ان فلحت فى المـــدارس وبقيت ضابط والا دكتور زى ما كان فى نفسى ٠٠ والا فى الموســيقى حتى ٠

وأنا باقولك يابابا انى حاكون أكبر موسيقى فى مصر وبكره أفكرك بتقدير ٠٠ واعجاب الجماهير ٠

ولم يمض على ذلك التحدى أربعة أشهر حتى توفى الأب وورث الابن أرضه، وعندئذ جاء الينا ليخلى الشقة قائلا انه سيبيع الأرض ويذهب الى القاهرة ليتلقى علومه الموسيقية فى معاهدها العالية وعلى يد اساتذتها الكبار تمهيدا لسفره الى الخارج ، وكان هذا هو آخر عهدنا به ٠

ومرت عشر سنوات أكملت فيها دراستى وعينت بالتدريس ، وكنت اليوم فى حفلة ٠

أوه تانى ؟

مرة ثانية انبعث الصوت العالى الصارخ فقطع على أفكارى ، وتلفت حولى فاذا الجميع حولى يجلسون فى مقاعدهم بهدوء وان ظهر عليهم الضيق لذلك الصوت العالى وتلك النغمة النشاز ولكن احدا منهم لم يحـــاول الانصراف أو التكلم ٠

ولم يكن معنى هذا ان نبوءة الاستاذ بنجر قد تحققت ، بل كانت نبوءة والده هى التى تحققت مع أسفى الشـــــديد ٠٠ فاننا لم نكن فى مسرح أو حتى شبه مسرح كالذى اقمناه يوما فى منزلنا ولكننا كنا فى ٠٠

واسرعت اقطع أفكارى مرة ثانية وأغادر مقعدى ، فقد لمحت الاستاذ بنجر يهم برفع آلته الى فمه من جديد ٠٠ فاسرعت اعترضه واذكر له رغبتى فى الانصراف ، ولم يتضـــايق هذه المرة كما حدث يوم كان فى منزلنا ، فلم يعد يهمه الآن ان يسمعه الناس أولا ٠

بكل هدوء أحنى لى رأسه موافقا ٠٠ وتنحى لى عن الباب ٠٠ نزلت من الاوتوبيس ثم التفت خلفى فرأيت الاستاذ بنجر واقفا على السلم ٠٠ ينظر بعناية الى باب الدرجة الثانية فلما فرغ الصاعدون والهابطون رفع صفارته الى فمه ونفخ فيها ٠٠ ومرة أخرى مزق السكون ذلك الصـوت العالى النشاز ٠٠ فانطلق الاوتوبيس يسير ٠

عُقبال عِنْدُكُمْ



انسابا الى المقهى فى وقت واحد تقريبا ٠٠ هو ٠٠ واللحن الجميل، أما اللحن فقد انساب من جهاز الراديو الموضوع فوق الرف ٠٠ أما الاسطى سيد فقد انساب من الباب والتشبيه مع الفارق البعيد ٠٠ البعيد بقدر البعد مابين الانغام الرقيقة و ٠٠ الزوابع العاصفة ، تكومت الزوبعة فى مقعد وتلفتت حولها كأنما تبحث عن المسكين الذى سينفخها فتهب فى وجهه ولكن النفخة المرتقبة لم تصدر عن احد من الجالسين ولكنها صدرت عن جهاز الراديو ، انقطع اللحن الجميل لينساب صوت أجمل يقــول : « تستمعون الآن الى برنامج عقبال عندكم » تقــدمه لـكم آمال فهمى ، انتفض الاسطى سيد صارخا فى صبى المقهى :

ـ حموده ٠٠ ولد ياحموده ٠٠ سد ياولد الراديو ده ٠٠ بلاش دوشة دماغ ٠

دوشة دماغ ؟٠٠ حد يقول علىالبرنامج ده ٠٠ برنامج عقبال عندكم ٠٠ اللى بيذيع الأغانى الفرايحى دوشة دماغ ؟ دا حتى فال جميل وانت خصوصا عندك أربع بنات يعنى الواحد يقدر يقول لك ٠٠ عقبال عندكم٠

ـ مش عايز ٠٠ مش حاجــــوزهم ٠٠ رح أوظفهم أحسن ، اقفل الراديو بقى وبلاش لماضه وارتفعت الاصوات محتجة ايه ده عايزين نسمع سيب الراديو ياحموده اللى مش عايز يسمع يروح ٠

ـ اهم الزباين كلهم عايزين الراديو ٠٠ اعمل ايه انا بقى ؟ قال مش عايز يبقى عقبال عنده طب انشالله يارب عقبــــال عندى أنا ٠٠ لما اقعد فى الكوشه والعوالم يغنوا لى ٠٠ وواحد ابن الحلال من حتتى يبعت للبرنامج ده عشان يقولوا اسمى ٠٠ الى حموده ابو طاقية وعروسه ٠٠ ياساتر مالك مكشر كده يا اسطى سيد ؟ أوعى يوم فرحى تبقى معكنن كده ٠٠ لازم تكون رايق عشان تحلق لى حلقه كويسه تليق بعريس ٠٠ هيه ٠٠ قريب يارب ٠

كان الاسطى سيد يستمع اليه وشيطان فى داخله يحدثه بان يقوم ويحطم رأسه ليسكته ٠٠ أم هل من الأفضل ان يحطم الراديو ٠٠ ويشتم الزبائن الذين اصروا على سماع البرنامج ٠٠ ؟ لكن ايه ذنب الراديو وبرنامج عقبال عندكم ٠٠ دا حتى برنامج جديد لم يمض عليه أكثر من خمسة أو ستة أشهر ، يعنى غير معقول ان ام محمود قد نقلت عنه هذه الكلمة ٠٠ لأنها ترددها لنا من حوالى أربع سنين ٠٠ كلا اعتقد مايكملوش أربع سنين ٠٠ دا من أربع سنين ماكناش لسه شفنا وشـــها العكر ٠٠ وحتى ماكناش لسه بنينا البيت كنا ساكنين بالاجرة ٠

وعادت به ذكرياته الى تلك الايام ٠٠ ولم يجد عناء فى تذكر مناكفة زوجته أيامها فانها لاتختلف كثيرا عن مناكفاتها هذه الأيام ٠٠ من يوم خمسه وعشرين من الشهر حتى خمسه أو عشره فى الشهر الذى يليه ، وبعدها تستريح قليلا قبل ان تدير الأسطوانه مرة أخرى ، حســـاب البقال ٠٠ أجرة البيت البواب جاب الوصل ٠٠ صبى البقـــال رجليه حفيت علينا ٠٠ شغلك ما ينفعنيش ٠٠ ريال وخمسين قرش كل كام يومماينفعوش ٠٠ انا عايزه عشرين ولا خمستاشر جنيه على الأقل يوم واحد فى الشهر فاهم والا لأ ؟ ٠٠ انت طول النهار فى الدكان عمال ترغى مع زباينك وانا اللى قاعده هنا فى وش المدفع ٠٠ انا ما اكسفش نفسى ٠٠ أنا عايزه الفلوس تكون جاهزة فى ايدى أول الشهر ٠ خمستاشر جنيه حته واحده ؟ اهى دى مش معقوله ٠٠ هو أنا مستوظف في الحكومة أنا راجل رزقى يوم بيوم ٠٠ طب ماتحوش ٠٠ أحوش ازاي ؟ ياما حاولت والله ياما كتير ، لكن بقى ٠٠ يوم نفسى تهفنى على الكباب ٠٠ ويوم تانى يفوت قدام المحل بياع فاكهه لسه جديدة والفرارجى معاه فراخ زى الفل ٠٠ والا بتاع السمك الطازه ٠ شوية شوية حاينط من المشنه ، يعنى غلطان انا اللى مااحبش احرم العيال من حاجة ؟ أنا راجل فنجرى ولا أحبش أخش على أولادى بايدى فاضيه ٠

ـ بس كده ؟ ويوم تزود حاجات فى الدكان ٠٠ والا تبيضه ، ويوم تانى تجيب لك حته صوف جديده والا جزمه ٠

ـ ويعنى انتى اللى نماطره قوى ؟ ، كام مرة كنت باديكى عشان تحوشى انتى ٠٠ فلحتى والا البركه فى الدلاله وبياعة المفتقة ٠٠ ودولاب الشعريه ٠

ـ وانا مالى هو أنا راس البيت والا انت ؟ انا ما اعرفش احوش ٠٠ أنا عايزه الفلوس كاملين أول الشهر لما يجينى وصل البيت ونوتة البقال٠

وصل البيت .. ونوتة البقال كانت كأنها شياطين تطارده وتتمثل أمامه فى كل مكان يذهب اليه ولكن كيف الغناء عنهما هل يستطيع أن يستغنى عن شقته ؟ واين يذهب بأولاده انهم ليسوا طيورا حتى يسكنهم عشا بأعلى شجرة باسقة .. أو فيرانا حتى يضعهم فى جحر عميق بخرابة مهجوره .. ونوتة البقال أيضا لم يكن على استعداد حتى لمجرد التفكير فى الاستغناء عنها فخناقة كل شهر أهون بكثير من خناقة كل يوم .

فهو منذ أصاب الروماتيزم ساقه لم يعد فى وسعه أن يفتح دكانه كل صباح وأفواه أطفاله لم يكن فى وسعها هى الأخرى ان تنتظر يومين أو ثلاثة حتى تتحسن ساقه ويرتفع صوت زوجته عايزين .. وعايزين.. حتى هداها الله او اضطرتها الظروف الى الجر على النوته واستراح من المناكفة اليومية ، فدكان البقال يحوى كل شىء .. رز .. سمن .. عيش فول .. عدس .. بيض .. سجاير .. جبنه .. وحلاوه وسردين .. وغيره كل مايلزم المنزل عدا اللحم والخضار ولم تكن هذه الأشياء ملحة كغيرها فلا بأس من الحياة بدونها يومين أو ثلاثة .

وهكذا استراح الأسطى سيد وأصبح يسمع من زوجته كلمة صباح الخير بدلا من عايزين فلوس ولكنها كانت راحه الى حين الى أول الشهر اللعين ، حيث تطلب زوجته النقود ويفتح هو درجه فيجده خاويا أو شبه



خاو ، فيصرخ فيها « عشرين جنيه حته واحده ؟ ليه قالولك مستوظف حكومه ؟ ماتحوش ٠٠ ادينى كل شهر بانوى لكن أعمـــل ايه ؟ أنتى ماعندكيش نظر ٠٠ ما انتيش شايفه مصاريف العيال ومطالب المعيشة ؟ حكاية التحويش دى مستحيل ٠٠ مستحيل ٠

أجل ٠٠ كان فى استطاعة أى انسان ان يدبر أحواله الا الاسطى سيد ٠٠ فهكذا خلقه الله ، سبهلليا يعيش ليومه فقط ، لم يكن قط من الرجال الذين يواجهون مسئولياتهم بحزم ، بعض أحيان يكون معذورا ، فماذا يجدى الحزم أمام مطالب الحياة الصعبة ؟ هذا شهر رمضان « يحب الوسعة » ، وبعده العيد تلو العيد ، ودخول المدارس ٠٠ وكسوة الشتاء والصيف ، أو مرض مفاجىء يصيب احد اطفاله ، أو ضيوف يأتون اليه من البلد فجأة ٠٠ أو ٠٠ أو ٠٠ وأحيانا أخرى لايكون مضطرا ٠٠ ولكن هل كان يستطيع أن يكون حازما عندما يدعوه أحد أصدقائه الى جلسة من جلسات المزاج ثم يهمس له بانه سيرى صنفا ممتازا لم ينزل السوق من قبل ؟ ثم يأتى أول الشهر فيقع بين المطرقة والسندان ٠٠ وصل البيت ونوتة البقال ، ويظل يصبر هذا بجنيه ويرجوه أن يصبر عليه يومين ٠٠ وذاك باثنين ويستعطفه أن يمر عليه بعد ثلاثة أيام حتى يسدد الاثنين بعد ما يسمع مايكره وبعد ماتحترق اعصابه ، ولا تمر أيام حتى يهل أول الشهر من جديد ولا جديد ٠

أحيانا كان يحدث نفسه وهو منشغل بالحلاقة ٠٠ آه لو ارتاح باله من هذه الناحية اذن لتحسنت صحته ولزاد ايراده ، فأيام كثيرة لم يكن يذهب الى عمله لانشغال فكره وانسداد نفسه من هذا القرف على حد تعبيرة لزوجته فيزداد الأمر سوءا ، آه لو حدثت معجزة ولكن على أى وجه ستكون هذه المعجزة ٠٠ لاشىء ٠

كانت هذه المعجزات تبدو ممكنة عندما يحلق مع اصدقائه فى سماء الخيال٠٠ معقول مثلا ان يصعب على ربنا فيبعث اليه النقود مع احد ملائكته ليضعهم تحت وسادته كل شهر ، أو يكسب ورقة يانصيب كل أول شهر، أو تختطفهم له حدأه ذكيه من خزينة رجل غنى وهو بالطبع لن يبخل عليها ببعض كتاكيت زوجته ، ويتذكر زوجته فيضحك فجأة ٠٠ ويقول لاصدقائه بلا مقدمات :

يابنى ٠٠ الستات دول عقلهم ترللى قوى ٠٠ والا عايزه انى أجيب لها فلوس يوم واحد فى الشهر ٠٠ يكونوش قالوا لها انى اتوظفت فى الحكومة ؟

ولا يرد عليه « ابنه » فلا أحد يفهم أو يحاول أن يفهم ماذا يقول وتظل المشكلة كما هي ·· أجل مشكلة ·· مشكلة كبيرة·· أكبر بكثير من جميع المشاكل التى عرضت أمام مجلس الأمن فهذه الأخيرة ـ كما يؤكد للذين يحلق لهم رءوسهم ويصدعها فى الوقت نفسه لم يكن حلها ليستغرق منه أكثر من دقائق ، اما مشكلته هو فقد احتاجت منه الى اعوام قبل أن يصل الى حلها السعيد ·· بل لم يكن حتى هو الذى وصل وانما حماته ·

عاد ذات يوم الى منزله فوجدها هناك ·· ورحب بها وهو يقول فى نفسه ·· اللهم اجعله خير ولكن منظرها لم يكن يوحى بالخير على الاطلاق !! قالت له :

بقى اسمع ·· بنتى ماعدتش تستحمل قرفك ده النهاردة جماعة من بلدك جم عشان عايزين يشتروا السكام فدان بتوعك الى جوز اختك بيأجرهم ·· واللى بالاسم بيأجرهم وهو فى الحقيقة بيسفهم ، ولا بتطول منهم لابيض ولا اسود ، وتبنى بيهم حتة بيت يلم أولادك عشان محدش يخبط عليكم ويقول هات الأجرة ·

ووجد رأيها معقولا ·· أجل أجل يبنى بيتا وليكن بدورين حتى يسد ايجار الدور الثانى حساب البقال ·· ياله من حل سعيد ·· كيف لم ينتبه اليه من قبل ؟ ودهشت حماته لموافقته السريعة ، وكانت تتوقع رفضا وأعدت عدتهاالمعركة تأهبت لهابتلك التكشيرة الضخمة التىرسمتها على وجهها ، ولكن خاب أملها ولم تتم المناقشة وحمدت بنتها ربها الذى كفى المؤمنين القتال ·

ولم تمض أشهر حتى كان العمال قد انتهوا من الاساس وبدأ البناء ·· ويجلس الاسطى سيد ليراقب المبانى ترتفع ·· ودخان المعسل يرتفع هو الآخر ·· وتسابق الاثنين ، فى الارتفاع أمامه ·· ان أهل حارته لابد سينظرون اليه ابتداء من الآن نظرة جديدة فيها الكثير من الاحترام ·· فهو قد أصبح من ذوى الأملاك · لن يعد يحمل هم الايجار ولا حساب البقال ·· سيكون من الآن حرا فى ايراد دكانه فيشترى ويلبس مايشاء ·· ويسهر أيضا كما يشاء ·· ياسلام ·· لن يكون هناك من هو أسعد منه ·

بل سيزيد عليه بالتالى ايراده عندما لاتكون هناك مشاكل تؤرقه ، وسيستطيع التوفير وبعد عام ربما يكون معه مبلغا محترما ·· الاوفق أن يؤجل الحج للعام الذى يليه ويعطى ذلك المبلغ للمقاول فيبنى له دورا

ثالثا ٠٠ وسيخصص ايجار ذلك الدور لتعليم ابنه سمير حتى يتخرج موظفا قد الدنيا فى الحكومة ٠٠ لا لا موظف ايه ؟ ٠٠ حتى الموظفين مش قد كده ٠٠ لماذا لايكون ضابطا يهز الحى كله عندما يسير مثل احمد افندى الذى يسكن فى الفيلا التى على الناصية وكل الناس تعظمه وتقوم له واقفة ، لقد حسد نفسه وحسده الناس يوم جاءه أحمد افندى يحلق له شعره ٠٠ لقد استعان بكل فنه ومهارته ليجعله من زبائنه الدائمين ولكنه لم يعد بعدها ، وعلم من خادمته الصغيرة انه كان يومها فى عجلة من أمره فخشى أن يتأخر ان هو ذهب الى حلاقه الخاص ومحله البعيد ٠

أحمد افندى هذا الذى يستكثر عليه أن يكون حلاقه سوف يرى ابنه ذات يوم زميلا له بل أعلى منه رتبة ٠٠ وسيضطر يومها أن يقف له ويعظمه ، ثم تذكر أن الترقيات فى الجيش تتم بالاقدمية ، ان ابنه مازال امامه سنين وسنين ولكنه عاد وطمأن نفسه بأن بعض الضباط يرقون استثنائيا اذا كانوا من الأبطال الرياضيين الدوليين كأبطال السباحة الطويلة أو الكرة واذن سيصبح ابنه من الأبطال الرياضيين ليلحق بأحمد افندى ويتخطاه ، وهو من الآن فصاعدا سيكف تماما عن زجره على لعبه الكرة الشراب فى الحارة اذ ربما يكون هذا اللعب نواة للبطولة المرتقبة ولا عجب فى احاطته بكل تلك المعلومات فهو يسمع الراديو ويقرأ فى الجرائد بقدر ما يمكنه المامه البسيط بالقراءة ليجد المعلومات التى يرويها لزبائنه ، وربما كان أكثرهم قد قرأها مثله ولكن هذا لايهم كثيرا ٠

وأهل حيه ٠٠ كيف ستكون معاملتهم له ٠٠ والأهم كيف تكون معاملته هو لهم ؟ ٠٠ انه لن يتكبر ولن يركبه الغرور ولا بأس من أن يرد تحية الشعب اذا كانوا يحبون ابنه المفعوص ٠٠ أفلا يحبونه هو ٠٠ أبو البيه الضابط ؟

من قبل أن يصحب زوجته لترى المنزل ٠٠ بعد انتهائه كان قد قرر أن يحتفظ لنفسه بالدور الاول حتى يبتعد بساقه المريضة عن الرطوبة ، ولكن ماكادت أم سمير ترى المنور الواسع حتى صممت على احتلال الدور الارضى لتربى فيه البط والكتاكيت والأرانب ٠٠ اذ كانت من هواة تربية الدواجن ، ولم يكن باستطاعتها أن تأخذ راحتها وتتوسع فى تلك الناحية فى بيوت الاجرة ، أما فى ملكها فتستطيع أن ترضى هوايتها قدر ما يحلو لها ٠ ولما كان زوجها هو الآخر من الهواة ٠٠ هواة الأكل ٠٠ فقد وافقها ونسى ساقه والروماتزم ٠

وما أن وقع عقد ايجار الدور الأول مع الحاج عوضين حتى أعلن

لزوجته ان لها ان تتولى هي أخذ الايجار لتعرف خلاصها مع البقال وتقطع لسانها عنه فلا تسأله عن شيء بعدها ومنى نفسه براحة البال ٠٠ ولكن ٠

منذ أول شهر قالت له زوجته انها تريد فلوس البقال وذهل لحظة انفجر فيها بعدها : هو لازم تعكننى مزاجى أول كل شهر ، هو لسانك لسه واخد على النغمة القديمة ٠

ولكنها سارعت تقاطعه :

الجمـاعة لسه مابعتوش الاجرة والنهارده خمسة فى الشهر ٠

وأسرع يبعث لهم الوصل مع ابنتهم الصغيرة ٠٠ ألم يكن صاحب الملك يفعل معه نفس الشيء ٠٠ ولكنها بدلا من أن تنزل اليهم بالنقـود نزلت بامها التى قالت وسط ضحكات عالية :

معلهش اصبر علينا شوية ياسى سيد ، شايف بيتكم وشه حلو علينا ازاى ٠ اصل عقبال عندكم بنتى اتخطبت الجمعة اللى فاتت ، وعملنا شوية تفاريح كده فانعذرنا شويه ولكن انشاء الله قبل نص الشهر تكون الاجرة عندكم ٠

ولكن البقال لا شأن له بذلك ٠٠ ناداه عصر اليوم وقال له امام الكثيرين :

ـ ماتآخذنيش ياسطى سيد ٠٠ أنا دائما باجيب بضاعة أول الشهر ٠٠ وعشرة جنيه مش شويه ٠٠ انت عارف فى التجارة القرش بيجيب قرش ، لكن لما تركن انت وغيرك الفلوس لاحابيع ولا حاشترى ٠

وصبره بقرشين ، وكل يوم ينقطه جيرانه بقرشين فينقط بهم هو الآخر البقال الساخط وحل الشهر التالى ، وقالت أم محمد لام سمير :

ـ معلهش ياختى عقبال عندكم ٠٠ عزمنا العريس وعيلته الشهر ده كام مره وعشان كده تلاقينا معذورين شويه ، لكن ان شاء الله قبل نص الشهر ٠

وفى الشهر التالت ٠ ياختى عقبال عنـدكم اشتريت للبنت كام فستان ٠٠ العريس كل يوم بيجى وحانقابله بايه ؟ فانعذرنا ٠٠ عقبال عندكم جبت للبنت النحاس ٠٠ عقبال عندكم اشتريت لها حتتين صيغة ٠٠ عقبال عندكم جبنا لها نص طقم ٠٠ عقبال عندكم الشهر ده جبنا الصينى ٠٠ عقبال عندكم اشتريت للعروسة سجادتين ، عقبال عندكم جبت لها

فستان الكتاب ٠٠ عقبال عندكم جبنا بالمرة بقية الهدوم ٠٠ عقبال عندكم الجمعة الى فاتت كانت ليلة الكتاب ، عقبال عندكم كنا بنجد ٠٠ عقبال عندكم ليلة الحنة كانت أول امبارح ٠

سنتين كاملتين وهم يجهزون عروستهم وكأنهم يشترون لها كل يوم فتله وأخيرا ذهبت العروس الى منزل العريس ، ولكن تمنيات أم محمد لام سمير لم تنته ٠

عقبال عندكم وديت لبنتى السبوع ٠٠ عقبال عندكم موسم رمضان وديت لها المكسرات ٠

عقبال عندكم العيد الصغير ٠٠ عقبال عندكم شم النسيم ٠٠ عقبال عندكم العيد الكبير ٠٠ عقبال عندكم عقبال عندكم ٠٠ والاسطى سيد يكاد يفرقع ، أكثر من مرة خلال الجهاز انفجر فى زوجته :

ياستى وأنا مالى ، هم حايجهزوا بنتهم على حساب أعصابى وحرق دمى ٠٠ اشتروا ماشتروش أنا مش ملزوم ، قولى لها كده ٠٠ دحنا عملنا زى المثل اللى بيقول : «طمعنجى بنى له بيت فلسنجى سكن له فيه ٠ ٠ طمعنجى عايز فلوس ٠٠ فلسنجى منين يديه » ٠

ولكن أم محمد كانت تعرف كيف تسكته فى كل مرة ٠٠ ياسى سيد الجيران لبعضهم واحنا ناس متوظفين غلابه ــ وانت راجل صاحب ملك ومقتدر ٠٠ يعنى افرض اننا ماكناش ساكنين فى ملكك وانعـــذرنا فى قرشين ماتساعدناش ؟ مش بيقولوا المليان يكب على الفاضى ٠

كانت تلك الكلمات توزن رأس الأسطى سيد أكثر من جلســات المزاج نفسها ٠٠ كانت أم محمد ذكية ، وفطنت الى نقطة الضعف عند صاحب الملك فارضت غروره وعرفت الوتر الذى يشجيه فكانت تعزف عليه ٠٠ فينسجم الاسطى سيد ويطرب ، ولا يملك الا أن يقول لها :

ــ رقبتى ليكى ياست أم محمد ٠

وذات يوم قالت له زوجته : خلاص يا اســطى سيد ٠٠ من أول الشهر حارتاح مع الجماعة دول ، عشان المواسم كلها خلصت وبنتهم قربت تتم السنة ٠

ــ هم قالوا لك !

ـ لا طبعا ٠٠ لكن أنا ست وأعرف ان الاصول ان أهل العروسة يبعتوا لبنتهم كل موسم لحد ماتتم السنة وخلاص ٠

ـ اشمعنى انتى اللى عارفه الأصول ؟ اهلك ماكانوش عرفينها ليه ٠٠ عمرهم ماجابوا لك موسم ٠

ـ اصل المواسم دى بتبقى رد للمواسم اللى بيبعتهـــا العريس لعروسته وهى مخطوبة وانت اسم الله كنت بتجيب لى ايه ؟

ورأى أن الدور سينقلب عليه فآثر السكوت ويبدو أن زوجته كانت تعرف الاصول فعلا ٠٠ ففى أول الشهر طلب الحاج الوصل ودفع الايجار كله ٠٠ لاول مرة ، وأيضا فى الشهر الذى يليه ، ولاول مرة أيضا يرتاح بال الاسطى سيد ويتنفس الصعداء ٠٠ من أول الشهر والابتسامة مازالت تشرق على وجه زوجته ، والبقال يجيبه باحترام ويحلف عليه بأن يتفضل بشرب الشاى معه ٠

وأحس بالحرية وهو يشترى لنفسه ولأولاده ما تشتهيه أنفسهم ولم يعد يحسب حسابا للغد وارتفعت ضحكاته فى الدكان وعلى القهوة ، ونسى مشكلته القديمة ، ولكن تلك المشكلة كانت أكثر منه وفاء للعشرة الطويلة فعادت تطل عليه برأسها ولما يمض على غيابها عنه أكثر من أربعة أشهر ٠٠ عصر اليوم أرسل ابنته الصغيرة بالوصـــل فنزلت أم محمد بنفسها ونظر اليها بذهول ٠٠ فيه ايه تانى وقالت الساكنة وهى تقطع حديثها بين كل جملة وأخرى بضحكة عالية ؟

ـ معلش ياس سيد ٠٠ أصبر علينا شوية ٠٠ أصل بنتى الصغيرة محاسن ـ تصوروا بتاعة أول امبارح ٠٠ كانت خطوبتها الجمعة اللى فاتت ٠٠ عقبال عندكم ٠٠

فهرست